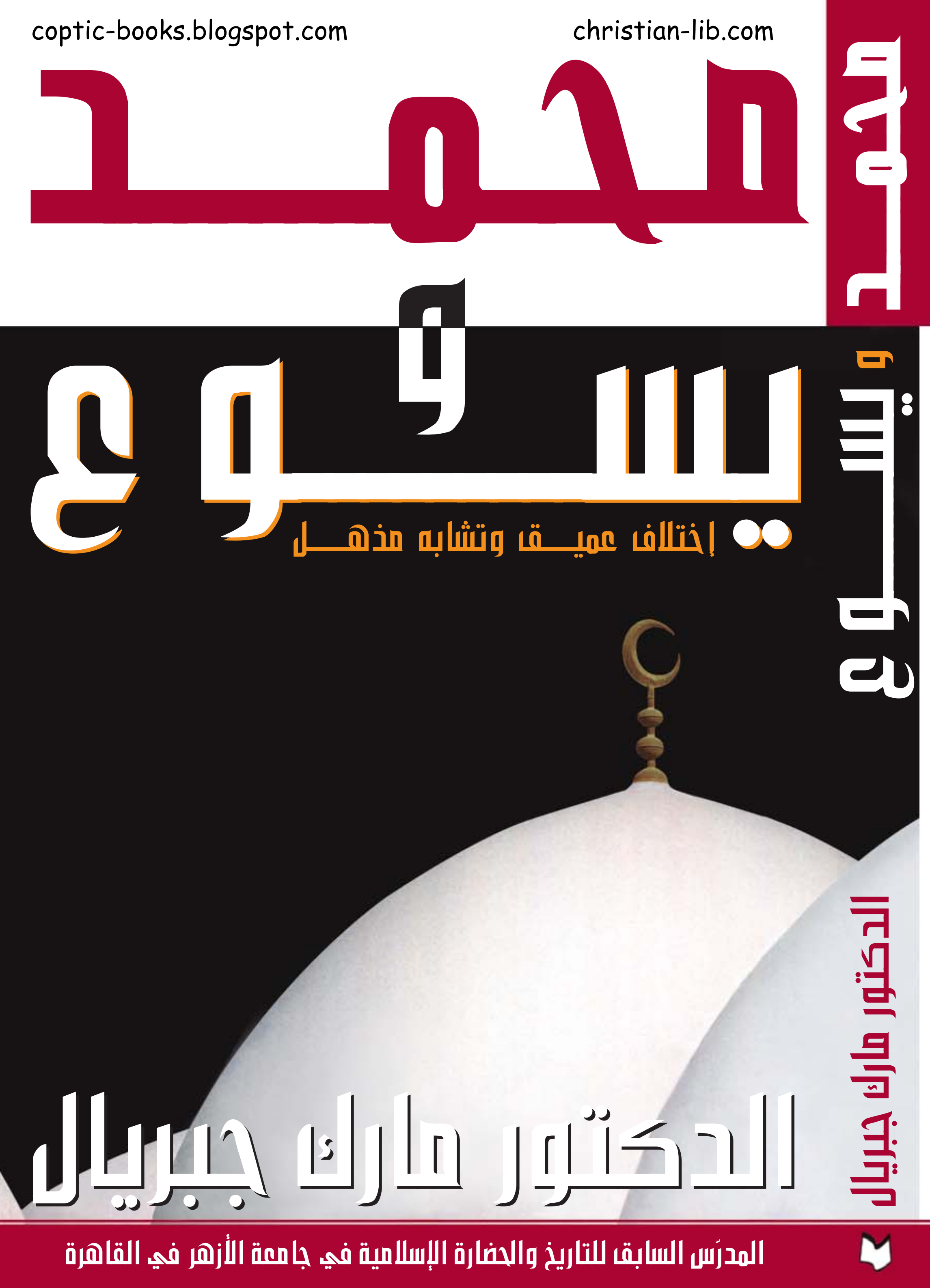

coptic-books.blogspot.com
christian-lib.com
محمد
و
يسوع
إختلاف عميق وتشابه مذهل
محمد و يسوع
الدكتور مارك جبريال
الدكتور مارك جبريال
المدرّس السابق للتاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الأزهر في القاهرة



الدكتور مارك غابريال



«محمد ويسوع» للدكتور مارك أ. غابريال.
JESUS AND MUHAMMAD
دار نشر كاريسما هاوس
٦٠٠ شارع راينهارت
لايك ماري، فلوريدا ٣٢٧٤٦
www.charismahouse.com

Available in other languages from Strang Communications, 600 Rinehart Road, Lake Mary, FL 32746 USA, Fax Number 407-333-7100 www.charismahouse.com

«يسوع ومحمد»
ترجمه من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية حسام الدين العلايلى

تولّى الناشر، شركة سكينرز أ/ج، ترجمة النص من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية. ترجمة جميل يونس كرمه ومترجمين آخرين.

تمّت ترجمة كتاب «يسوع ومحمد» إلى لغات متعدّدة أخرى من قبل شركة «سترانغ» للتواصل، ٦٠٠ شارع راينهارت، لايك ماري، فلوريدا ٣٢٧٤٦، الولايات المتحدة الأميركية.

فاكس رقم: ٤٠٧-٣٣٣-٧١٤٧ أو www.charismahouse.com

فهرس المحتويات

الفصل الأول: خلفيتي

الفصل الثاني: حياة يسوع ومحمد

الفصل الثالث: تراثهما بالكلمات والأعمال

الفصل الرابع: الخاتمة



١ الفصل الأول
خلفيتي



النمو في الإسلام

كان شتاء يوم جميل مشرق في مصر. وعلى الرغم من أن الشمس كانت ساطعة، فالجو كان يميل إلى البرودة وكنت قد انتهيت للتو من تناول وجبة الفطور في بيتنا حيث أعيش مع والديَّ وإخوتي وأخواتي وعمي وجدي. ومع أنّي عندها لم أكن قد تجاوزت الخامسة من عمري، لكنني مازلت أذكر ذلك اليوم حين قال لي عمي: «لنقرأ القرآن سويًا. هل معك نسختك؟» وبكل اشتياق أحضرت الكتيّب الذي سبق أن أعطانيه. لم يكن ذلك الكتاب يتضمن كل أجزاء القرآن بل كان واحدًا من ثلاثين جزءًا. وكان عمي قد تخرج حديثًا من أشهر جامعة إسلامية في العالم، جامعة الأزهر في مدينة القاهرة. وعلى الرغم من أنه كان لم يزل في الثلاثينيات من عمره إلّا أنه أصبح إمام أحد أكبر المساجد في منطقتنا، حيث كان جميع الناس يحترمونه.

سار عمّي بجانبي ممسكًا بيدي عبر الشارع إلى بساتين العائلة التي كانت مزروعة بأشجار العنب والتين والبرتقال. وكانت مياه القناة تجري بجانب المزارع. وعندما كنا نجلس على ضفافها كنا نستطيع أن نشاهد سفن الصيادين وقوارب التجديف وكذلك الفلاحين وهم يسوقون جواميسهم إلى الماء للعوم والارتواء. بدأ عمي بالقراءة وكانت الكلمات مألوفة لدي: فقد كنت أسمعها طوال حياتي سواء في الجامع أو في الإذاعة أو من قارئ القرآن الذي كان يأتي إلى بيتنا ليقرأ مقابل راتب

شهري. قرأ عمي الآية الأولى من السورة الأخيرة في القرآن ثم طلب مني أن أعيد قراءتها له، ففعلت بعد أن صحح لي نطقي بعض الكلمات باللغة العربية الفصحى.

دأبنا على ذلك عدة مرات إلى أن حفظتها أفضل حفظ. ثم بدأنا بالسورة الثانية حيث استطعنا إكمال ثلاثًا أو أربعًا على هذا المنوال. وغالبًا ما كان هدوء جلستنا هذه يقاطعه بعض المؤمنين من أهالي القرية، حيث كان الناس دائمًا يتوجهون إلى عمي بأسئلتهم الكثيرة عن أركان الإيمان الإسلامية لأنه كان أحد الباحثين القليلين الذين يعيشون في منطقتنا. وكنتُ ألعبُ على ضفة القناة بينما أنتظره وهو منشغلٌ بالناس وأسئلتهم. وبعد أن ينتهي من كل ذلك كان يناديني قائلًا:

«عد إلى أمك وقل لها أن تُساعدك في تجهيز نفسك لكي نذهب سويًّا إلى الجامع».

هرعت عائدًا إلى الدار. وبينما هممت بالدخول، إذا بي أسمع صوت جدي يناديني من غرفته ويقول لي: «تعالَ، تعالَ». كان جدي في الثمانين من عمره، وكان قد فقد بصره منذ زمن بعيد. وكنت شغوفًا به أستحث الخطى إلى غرفته وهو منطرح على فراشه لأُقبِّل يده وأثب بعدها على الفراش وأعانقه بحرارة وهو يقول «قل لي هل قرأت القرآن؟» فأجيبه «نعم» فيقول «حسنًا أسمعني!» وكنت أعيد على مسامعه ما قرأناه أنا وعمي. وكان جدي يفرح كثيرًا بالاستماع إليَّ ثم يقول «أنا أشكر الله لأجلك يا ابني، فأنت ستحفظ القرآن كله، وستصبح شمعة فى هذا البيت»، فأومئ برأسي موافقًا ثم أنسلُّ خارجًا من الغرفة لتجهيز نفسي للذهاب إلى الجامع. كان هذا يوم الجمعة، اليوم الديني الكبير في الإسلام وهو يوم إلقاء الخطبة في الجامع. ساعدتني أمي على ارتداء الجلابية البيضاء والطاقية – ملابسنا التقليدية — للذهاب إلى الجامع. وبعد أن انتهى عمي من ارتداء ملابسه سرنا سويًّا مسافة النصف ميل التي تفصلنا عن الجامع. وكان

عمي هو الذي ألقى خطبة الجمعة بعد أن جلسنا جميعًا في صف الرجال الأمامي، أنا وأبي وإخوتي، أما أمي وأختي وأقاربنا النساء الأخريات فجلسْن في الخلف في صف النساء، هكذا أتذكر اليوم الذي بدأت فيه حفظي للقرآن.

طريقة في الحياة

منذ ذلك اليوم أصبح عمي مرشدي الشخصي. فقد كان يعمل معي كل يوم تقريبًا، وعند بلوغي السادسة من عمري ألحقني بالمعهد الأزهري الابتدائي. ولإعطاء القارئ اللبيب فكرة سريعة وشاملة عن أهمية هذا المعهد، فقد كان هناك خمسون مدرسة عامة في منطقتنا، ولكن لم يكن لدينا غير معهد ابتدائي أزهري واحد فقط. وكان هذا المعهد الخاص يركز على التعليم الإسلامي. وعلى الرغم من أن أيًّا من إخواني لم يلتحق بهذا المعهد، غير أنهم لم يكنُّوا لي أيّ غيرة أو حقد بخصوص ذلك، بل على العكس كانوا فخورين وفرحين بما كنت أحققه من نجاح واجتهاد. وبدأ الناس ينادونني بلقب «الشيخ الصغير». أما في المعهد فقد فُقت أقراني بما كان متوقعًا مني للحفظ، وكان عمي يساعدني كي أحفظ القرآن كله (والذى يقارب حجمه حجم كتب العهد الجديد) في عمر مبكر. كنتُ أستيقظ مبكرًا للذهاب مع أبي وعمي لحضور صلاة الفجر في الجامع والتي تبدأ عادة حوالى الساعة الثالثة والنصف صباحًا لتنتهي حوالى الساعة الرابعة والنصف صباحًا (اعتمادًا على التوقيت). بعد الانتهاء من الصلاة غالبًا ما كان أبي وعمي يعودان إلى البيت ليناما ساعتين أخريين قبل الذهاب إلى العمل. أما أنا فكثيرًا ما كنت أبقى في الجامع مع نسختي من القرآن للحفظ. وقبل أن أبدأ بحفظ الآيات الجديدة، كنت أختبر نفسي بالآيات التي سبَق أن حفظتها في الأيام الماضية. وبعد أن أتأكد أن حفظي كان جيدًا، أبدأ بحفظ الآيات

الجديدة. وكنت إذا قرأت الآية الأولى من السورة أغلقت القرآن وأعدتُ تلاوة الآية وأنا أتمشى من زاوية إلى أخرى داخل الجامع. حتى إذا أنهيت السورة الأولى فتحت قرآني وقرأت السورة الثانية، ويستمر الحال على هذا المنوال حتى أنهي ما كنت أنوي حفظه. كنتُ أحرص على أن أستبقي ما تعلمته؛ لذا فقد كنتُ أمضي ثلاثة أيام في المراجعة، حتى إذا ما سُئلت عن شيء مما قد حفظته أشهرًا مضت، كان هذا الشيء راسخًا في ذاكرتي.

بعد سبع سنوات

لم يكن عمي يساعدني في الحفظ فحسب بل كان يصر على أن أفهم اللغة العربية الفصحى – لغة القرآن. فليس كل متكلم باللغة العربية يجيد اللغة العربية الفصحى. وإجادة الفصحى كان جزءًا مهمًا من التعليم الديني. فلفترة سبع سنوات عمل عمي معي آية بآية وسورة بسورة. وفي السنة التي بلغت فيها الثانية عشرة أكملتُ حفظ القرآن، وقد كنتُ صغيرًا جدًا لذلك، إذ إنه، وبحسب النظام التعليمي للأزهر، لم يكن متوقعًا من الطالب أن يختم حفظ القرآن إلاّ بعد إكمال أربع سنوات من درجة البكالوريوس في الجامعة. لذلك فإن عائلتي كانت سعيدة جدًا بهذا؛ فقد أقاموا احتفالًا كبيرًا لهذا النجاح في قاعة الاحتفالات التي شُيدت للمناسبات العائلية الخاصة. وإن نسيت فلن أنسى ما حييت جدي الذى تقدم عمره وذهب بصره حيث كان هناك وهو يناديني ويقول «ابني.. أين ابني؟». هرعت إليه فضمّني إليه والدموع تسيل على خديه، فحفظي كامل القرآن وأنا بعد طفل، وضعني في مكان مميّز من الاحترام. فقد كان الناس يعاملونني كشخص مقدس لأني كنت أحمل الكتاب الشريف في عقلي. ومنذ ذلك الوقت بدأتُ بقراءة القرآن ومراجعته بانتظام حتى لا أنسى ما قد حفظته.

النجاح في الحصول على منحة دراسية

عندما دخلت الثانوية الأزهرية كان واجبنا الأساسي هو حفظ المتون المهمة من الحديث. وحيث إنّ معظم الغربيين ليسوا على معرفة بالحديث فاسمحوا لي أن أعطيهم نبذة مختصرة عن الحديث. الحديث هو عبارة عن تعاليم محمد وأقواله وأعماله. وهذه البيانات كان قد دوّنها أتباعه المقرّبون وخدمه وحتى زوجاته. فمثلًا أحد الأحاديث يمكن أن يصور كيف كان محمد يصلي أو كيف كان يحكم بين مسلمين متخاصمين أو ثمة حادث قد حدث في إحدى المعارك. بعض الحديث قد يتكون من جملة واحدة فقط بينما بعضه الآخر قد يصل إلى صفحة أو صفحتين، ولكن عادةً ما يتكون الحديث من عبارة ذات عدة مقاطع.

كان أتباع محمد ملتزمين أشد الالتزام بكتابة أعماله وتدوين أقواله وحفظها. وبسبب وجود أكثر من نصف مليون حديث (للمزيد من المعلومات راجع الملحق الأول)، فقد كان من البديهي ألّا يتمكن أي منّا من حفظ كل هذه الأحاديث، لذا فإن المعهد الأزهري كان لديه مجموعة معينة من الأحاديث مقررة للحفظ في كل فصل دراسي.

وزّع علينا مدرس الحديث في اليوم الأول الكتاب الذي كان مقررًا حفظه لهذا العام. ومع أنه كان هناك عدة مئات من الأحاديث في كل كتاب غير أننا كنا نحفظ ما بين حديث واحد إلى ثلاثة في كل يوم. وكان عمي يساعدني أيضًا في حفظ أحاديث إضافية. وكنت، بالإضافة إلى كل ذلك، أحفظ بعض الحديث من تلقاء نفسي. كان عمي يعمل جاهدًا على تدريبي على الوعظ في الجامع، حيث كنت أفعل هذا بين الحين والآخر منذ أن كنت في المرحلة الإعدادية. وعندما حان وقت إتمامي لهذه المرحلة، كنت ما بين البرنامج المقرر وجهود عمي وجهودي الشخصية قد حفظت حسب تقديري ما بين خمسة إلى ستة آلاف حديث.

لا شكّ في أنّ التعليم الديني في المرحلة الثانوية كان مفصلًا جدًا، حيث كان من المتعارف عليه أن الطلاب بعد التخرج من الثانوية الأزهرية في سن الثامنة عشر، كانوا يُعتبرون مؤهلين لقيادة المصلين والتدريس في الجامع بدون الحاجة إلى أي تعليم إضافي. كانت أمنية قلبي في هذا الوقت، وكأي مسلم تقي ورع، أن أتبع محمدًا الذي كان مثلي الأعلى وقدوتي في كل شيء أفعله.

دخول الجامعة

بعد تخرجي من الجامعة اقترح عليّ أحد إخوتي الالتحاق بكلية الصيدلة. غير أن باقي أفراد العائلة ألحّوا عليَّ أن أكمل دراستي الدينية، لذا عزمتُ على الالتحاق بالجامعة الأزهرية في القاهرة. وقد وقع اختياري على كلية اللغة العربية كما فعل عمي والذي كان مرشدي من قبل. كلُّ ذي خلفية إسلامية يعرف جامعة الأزهر لأنها أكثر الجامعات نفوذًا في العالم الإسلامي. غير أنه من الصعب بمكان أن تشرح مدى تأثيرها على المسلمين للمواطن الغربي لعدم وجود أيّ مؤسسة تعليمية في العالم ذات مقام مشابه لها. فجامعة الأزهر جامعة ضخمة تحوي أكثر من تسعين ألف طالب في كليات منتشرة في جميع أنحاء مصر. إنها عريقة في القدم – فقد تم بناء جامعها الكبير في سنة **٩٧٢** ميلادية – وبعد حوالى ثلاث سنوات ونصف من ذلك بدأت فيها الدراسة الأكاديمية. إن نفوذها الديني له اعتبار مطلق وقد وُصِفت في الصحافة الإسلامية بـ«أعلى سلطة دينية لدى المسلمين السنَّة».

كثيرًا ما كنت أستمتع بدراسة التاريخ، لذا اخترت أن أتخصص في التاريخ والحضارة الإسلامية. أردت أن أتعلم أكثر عن محمد، صبره وشجاعته وعن التزامه هو وأتباعه، صفاتٍ تحلّوا بها وكانت محل

إعجابي. غير أني، وفي اليوم الأول من المدرسة، فوجئت بنموذج عن ماهية التعليم الذي كنت سأتلقاه هناك. كان الشيخ الذي يُدرِّس الحصة الأولى في ذلك اليوم رجلًا قصير القامة ذا بشرة سمراء داكنة وشارب خفيف ونظارة سميكة. وهذا ما أخبرنا به:

«لن أسمح بأي نقاش في القاعة، ما سأقوله لكم يجب أن يُحمل مَحْمَل الحقيقة وما لا أقوله لا يستحق المعرفة، أصغوا وأطيعوا، ولا تسألوا أية أسئلة.»

استغربت هذا النوع من الفلسفة واضطربت، فوقفت لأتكلم، وقد لاحظ الشيخ ذلك في الحال لأني كنت جالسًا في الصف الثاني، فقلت مخاطبًا إيّاه:

«سيدي الشيخ، كيف يكون هناك تعليم من دون أسئلة؟»

سألني بشدة «من أين أنت يا ولد؟» فأجبته:

«من مصر»، ناسيًا أنه من الطبيعي أن أكون مصريًا.

«أنا أعرف أنك من مصر ولكن من أية منطقة في مصر؟»

فأخبرته باسم منطقتي، فأجاب:

«لذلك أنت حمار ولا تفهم شيئًا!»

قال هذا لأن الناس من منطقتي كثيرًا ما كانوا موضوعًا لنكات المصريين.

«نعم لا بد أن أكون حمارًا لأترك أهلي وآتي إلى هنا لأتلقى الإهانات!»

طغى صمت عميق على القاعة، انسللت خلاله من مقعدي متجهًا صوب الباب لأترك الفصل، فصرخ الشيخ متوعدًا:

«انتظر أيها الحيوان! ما اسمك؟» فأجبته بكل جفاء:

«أنا لا يشرفني أن أخبرك بآسمي!»

عندها اشتد غضب الشيخ وبدأ يهدد بشطب اسمي من قائمة الجامعة وطردي منها إلى الشارع. تركت قاعة الدرس وذهبت إلى غرفة عميد الكلية مباشرةً وأخبرته بما جرى مع الشيخ. وبعد أن انتهى الشيخ من محاضرته، دعاه العميد إلى مكتبه، ولم تمر إلاَّ لحظات حتى تمكن العميد بمهارة أن يقنع الشيخ بمسامحتي وأن يقنعني بأن أكون أكثر صبرًا معه قائلاً:

«اعتبره بمثابة الأب الذي يودّ إرشادك وليس هدفه أن يمس بكرامتك.»

كان هذا هو الدرس الذي قدمني إلى طريقة الصمت والطاعة المطلوبة في هذه الجامعة. أما طريقة الدراسة فكانت أن ندرس الكتب التي كُتبت من قبل كبار الباحثين في الإسلام، قديمًا وحديثًا. ثم علينا أن نعمل قائمة بالنقاط الأساسية في كل كتاب وعلينا أن نحفظها حيث كانت امتحاناتنا تحريرية. وكان بعض المدرسين يطالبوننا بتقارير. إضافةً إلى ذلك كنتُ أقرأ بعض الأدب والشعر لمتعتي الشخصية، وكنت في بعض الأحيان أسأل أسئلة لا يستسيغها أساتذتي، مدركًا تمام الإدراك أنه لم يكن من المفروض أن أفعل ذلك.

أسئلة متعددة

سألت مرة، على سبيل المثال، أحد الأساتذة السؤال التالي:

«لماذا أخبرنا نبينا محمد أولًا أن نتعايش مع المسيحيين ثم بعدها أمرنا بقتلهم؟» فأجابني الأستاذ:

«ما يقوله النبي لك تأخذه كما هو، تمنع ما يمنعه وتسمح بما يسمح به. لا تستطيع أن تكون مسلمًا حقيقيًا حتى تمتثل لكلمات نبيك محمد.»

سألتُ أستاذًا آخر:

«لماذا سُمح للنبي أن يتزوج من ثلاث عشرة امرأة بينما نحن لا نستطيع أن نتزوج من أكثر من أربع؟ فالقرآن يقول إنّ النبي كان بشرًا، إذًا فلماذا كان لديه حقوق إضافية؟»

أجاب أستاذي نافيًا:

«كلاَّ. أنت لو دققت النظر، لرأيتَ أن الله أعطاك حقوقًا أكثر من النبي نفسه، صحيح أن الله يفرض عليك ألا تتزوج بأكثر من أربعة، ولكنك تملك حق الطلاق، فأنت تستطيع أن تتزوج من أربعة اليوم وتطلقهنّ غدًا. وهذا معناه بإمكانك أن يكون لك عدد غير محدود من الزوجات» (وقد كان لمحمد الكثير من المشاكل مع زوجاته، حتى إنّه هدد مرة بأن يطلقهن جميعًا).

بلغ بي الأمر أني سألت الشيخ عمر عبد الرحمن، والمعروف بكونه العقل المدبر وراء محاولة تفجير المركز التجاري العالمي في سنة **١٩٩٣**. كان هو أستاذنا في الأزهر الذي درسنا مادة تفسير القرآن، وكان يتيح لنا الفرصة لنطرح عليه ما لدينا من أسئلة. وهكذا وقفت يومًا أمام خمسمئة طالب وسألت:

«لماذا تُدرسنا طوال الوقت عن الجهاد؟ ماذا عن الآيات الأخرى في القرآن والتي تتكلم عن السلام والمحبة والعفو؟»

وللتوّ احمرّ وجهه، وكنت أستطيع أن أرى الغضب باديًا على محياه. ولكني لاحظتُ أيضًا أنه فَضَّلَ أن يتمالك أعصابه، فبدلًا من أن يصرخ في وجهي استغل الفرصة لتثبيت موقفه، فقال:

«يا أخي، هناك سورة بكاملها تدعى سورة الأنفال وليس هنالك أي سورة تدعى سورة السلام، فالجهاد والقتل هما رأس الإسلام».

لم تقنعني الإجابات التي سمعتها منه ومن أساتذة آخرين. وعلى الرغم من أن بعض الناس بدأوا يطلقون عليّ لقب مثير المشاكل غير أن

آخرين كانوا متفهمين ومقتنعين بأني كنت أبغي التعلم بإخلاص. في هذه الأثناء كنت أتقدم في دراستي. فبعد أربع سنوات تخرجت بترتيب الثاني على دفعتي المكونة من ستة آلاف طالب، وكان هذا الترتيب مبنيًا على درجات من امتحان شفوي وآخر تحريري في نهاية كل سنة دراسية. كان الامتحان الشفوي يُركز على حفظ القرآن والحديث، والامتحان التحريري يشمل المواضيع التي درسناها في الفصل. كان الطالب يستطيع أن يحصل على ما أقصاه ألف وخمسمائة درجة في كل سنة.

شهادة الماجستير والتدريس

قبل أن أتمكن من البدء في دراسة الماجستير، قضيت سنة في الخدمة العسكرية الإجبارية في القوات المسلحة، عدت بعدها إلى الأزهر. وقد اتخذت قراري في هذا الوقت أنه لن يكون هناك أي أستاذ أو شيخ يستطيع أن يساعدني في الإجابة على أسئلتي، فعليَّ أن أجد كل الإجابات بنفسي.

تحضير البحث لأطروحة الماجستير كان الفرصة المثالية لذلك. لم يكن هناك أحد ليخبرني عما أحتاج إلى قراءته، لذا فقد بحثتُ في مجموعة واسعة من مصادر التاريخ الإسلامي، ويا لسخرية القدر؛ فبدلًا من أن أجد أجوبة لتساؤلاتي، وجدت مشكلتي ازدادت تفاقمًا مع الإسلام، حيث ومن دون مبالغة، أستطيع أن أقول بأن التاريخ الإسلامي ليس إلا رواية متكررة من القسوة والعنف وإراقة الدماء، منذ زمن محمد إلى وقتنا الحاضر. وعندما نظرتُ إلى تعاليم القرآن ومحمد، استطعت أن أرى سبب تطور التاريخ الإسلامي بهذا الأسلوب الدموي، فسألت نفسي: أي إله هذا الذي سيتغاضى عن تدميرٍ حياة البشر بهذه البشاعة؟ ولكني وجدت من الحكمة الاحتفاظ بهذاً النوع من التساؤلات لنفسي.

خلقت أطروحتي ضجة كبيرة. وعلى الرغم من أني استطعت ضبط نفسي من التشكيك في الإسلام، لكنني تعرضت لمسألة أخرى لا تقل حساسية عن الأولى، ألا وهي أي نوع من الحكومات يستطيع أن يُمثل الشعب الإسلامي؟ وهذا في حدّ ذاته مسألة مثيرة للنقاش. أعجِبت الحكومة المصرية بأفكاري وقررتْ بثّ مناقشة الأطروحة على الهواء من محطة إذاعة القرآن الكريم. وعلى أثرها طلبت مني الجامعة أن أبدأ بالتدريس في مجال اختصاصي ألا وهو التاريخ والحضارة الإسلامية. كنت أبدو للناظر مدرسًا ناجحًا جدًا، وكيف لا وأنا الذي كنت في الثامنة والعشرين من عمري أصغر محاضر في تاريخ الجامعة، بالإضافة إلى أني كنت أعِظُ وأقيم الصلاة في أحد مساجد ضواحي القاهرة. ولكن على الرغم من كل ذلك كنت أبحث عن الحقيقة. في هذا الوقت لم أكن أنا الآمر الناهي في حياتي، فلم يكن بإمكاني أن أترك الجامعة وأبحث عن وظيفة أخرى. كان هذا التصرف سيثير الكثير من التساؤلات في الجامعة وبين أهلي ومعارفي عن سبب ذلك؟ ولن يكون من المنطق أن أترك كل هذا التعليم ورائي، فلم يكن أمامي إلاَّ أن أستمر في هذا الطريق، فبدأت بالتحضير لشهادة الدكتوراه.



مغادرة الجامعة

قضيت مدة سنتين في بحثي لشهادة الدكتوراه. خلال هذه الفترة كان لديَّ مسئوليتان رئيسيتان، أولاهما كانت التزامي بالتدريس في جامعة الأزهر في القاهرة بالإضافة إلى جامعات أخرى في بلدان مختلفة في الشرق الأوسط، وثانيتهما كانت مسؤوليات الإمامة والوعظ. فقد كنت إمامًا لجامع صغير أقوم فيه بالصلاة الأولى والرابعة والخامسة كل يوم، أما أيام الجمع فأخطب خطبة الجمعة وأقود المسلمين فى الصلاة طوال اليوم.

أحببت التدريس والتفاعل مع الطلبة. فبعد فترة وجيزة بدأت طريقة جديدة للتدريس حيث أتحت المجال فيها للنقاش المفتوح وتركت للطلبة حرية طرح الأسئلة بدون أيّ قيود. كانت هذه سابقة خطيرة خاصةً عندما تطرقت في مجمل حديثي عن قواد الإسلام الأوائل إلى موضوع معاوية (الذي كان موضوع أطروحتي). وقصته مع ابنه يزيد. ومعاوية هو أحد الذين نسخوا الوحي لمحمد الذي كان أميًا (وقد أصبح معاوية في ما بعد الخليفة الخامس في العالم الإسلامي بعد محمد). قبل موته، نصح معاوية ابنه أن يطارد ويقتل أربعة رجال، وهم على وجه التحديد الذين يعرّضون للضياع فرصته في أن يصبح خليفة المسلمين القادم.

اتبع الابن وصية أبيه، وقد فاق ما أوصاه به أبوه فقد ذهب أبعد من ذلك وقام بقتل حفيد محمد لتأمين مركزه، فقلت للطلاب في هذا الصدد:

«لنبحث عن الله والرحمة والمحبة في هذا الموقف.»

كان هدفي أن أحثهم على التفكير وخلق روح جديدة فيهم، وهو الذي لم يكن مسموحًا لنا به عندما كنت في سنهم. كنت أريدهم أن يكونوا أحرارًا في تفكيرهم وأن يستخدموا منطقهم من دون وجل أو خوف من العواقب. كان معظم الطلبة مؤيدين لهذا الأسلوب من التفكير النقدي، حيث سأل أحدهم:

«هل حدث هذا الشيء فعلًا؟ أليس ممكنًا أن يكون قد اخترعه أحدهم؟»

عدت به إلى المصدر وأجبته:

«كلا، هذا الكلام حقيقي وليس تلفيقًا!»

فحثهم السؤال على التفكير، ولكن الطلبة المتطرفين شعروا وكأني أتهم الإسلام بأسلوبي هذا، فصرخوا قائلين:

«نستغفر الله، أنت أستاذنا ويجب أن تعلمنا عن الإسلام فقط لا أن تشوش أفكارنا.»

وكان أولئك الطلاب هم الذين ذهبوا إلى إدارة الجامعة وقالوا:

«هذا الأستاذ مصدر خطر علينا فنحن لا نعرف إذا كان ما زال مسلمًا أم أنه قد ارتد؟»

وهذا في حدّ ذاته كان شيئًا خطيرًا، فقد كان الأزهر في خوف شديد من أي تدخل أجنبي يغزوه من الداخل. دعاني عميد الكلية إلى الاجتماع به، وبدا لي أن الجامعة سوف تتخذ خطوات رادعة ضدي. غير أني قلت لنفسي: هؤلاء الأساتذة يعرفونني ويعرفون رغبتي الصميمة في التعلم منذ التحاقي بالجامعة وأيضًا يعرفون أن أسئلتي ليست بالشيء الجديد.

اكتشف العميد في اجتماعنا هذا التطور الذي حصل في أفكاري، فبدا الخوف جليًا عليه وقال:

«يا بني، نحن لا نستطيع أن نتعامل مع هذه القضايا بهذه الطريقة، فهناك قواعد عامة علينا اتباعها. فنحن لا نستطيع أن نفكر أكثر من النبي نفسه ولا أكثر من الله نفسه. عندما لا تكون متأكدًا، عليك القول، الله ونبيه يعرفان الحقيقة، عليك أن تضع هذه الأشياء في أيدي طلابك وأكمل تدريسك».

لكنه أدرك أن شيئًا ما يجب أن يُفعل بهذا الخصوص، فدُعيت إلى اجتماع آخر مع لجنة شكلتها الكلية بخصوص تنفيذ اللوائح. في البداية كان كل شيء على ما يرام، فهم لم يريدوا أن أغادر الجامعة وأنتقد الإسلام.

فى بداية الأمر مارسوا ضبط الأعصاب فسألوني عن حياتي، وعائلتي وبيتي، ثم تكلموا عن دروسي وطلابي، وأخيرًا: تحدونني قائلين:

«لماذا تسأل أسئلة مثل هذه؟ ألا تدرك أن عليك التعامل مع هذا الموضوع بالطريقة التي نتعامل بها كلنا؟ أنت تعرف الكثير ولكن مهما تعلمنا فسنبقى بعيدين عن الحقيقة. يجب أن يكون لك انضباط ذاتي. تكلم عما تفهمه وعندما تواجهك أية صعوبة تقول: الله ونبيه أعلم.»

سألوني: هل قرأت كتاب «السيف المسلول على شاتم الرسول؟»

كان هذا كتابًا يدعو المسلمين إلى قبول تعاليم محمد دون جدل. أجبتهم:

«قرأته أكثر من مرة لدرجة أني حفظته كما حفظت القرآن.»

في هذا الوقت كان علي أن أختار! كان لدي الخيار أن أعترف بغلطتي وأن أوافق على التدريس بالطريقة التقليدية، وكل شيء سيكون على ما يرام، غير أني بدلًا من ذلك أخبرتهم بأني أفكر في الأمر بصورة جدية. وقلت:

«اسمعوا يا أساتذة، الذي أقوله لكم الآن ليس بسبب اتهامي الإسلامَ أو النبيَّ، فأنا مؤمن بهذا من كل قلبي وبكل إخلاص، فأنتم تعرفونني، وتحبونني، أرجوكم ألا توجهوا إصبع الاتهام إلي، ولكن أستحلفكم بالله أن تجدوا طريقة تساعدونني بها لأتمكن من إيجاد الإجابة على أسئلتي هذه، فنحن نقول إن القرآن هو وحي مباشر من الله، ولكنني أشك في ذلك، إني أراه أفكار إنسان وليس كلام إله حقيقي.»

وفجأة تكهرب الجو داخل الاجتماع ففقد أحدهم أعصابه وهبَّ واقفًا من مقعده، ووقف أمامي وبصق في وجهي مزمجرًا:

«أنت كافر، أنا أقسم بأن أمك بنت زنى.»

تيقنت من النظرة التي ارتسمت على وجهه بأننا لو لم نكن في اجتماع مع أناس آخرين، لكان قتلني في تلك اللحظة بالتأكيد، فقال آمرًا وهو يصرخ:

«أخرج من هنا!»

نهضت لأغادر وجسدي يتصبب عرقًا وكانت كل أوصالي ترتجف للحظةٍ خلتها دهرًا. أدركت أن الكلمات التي تفوهت بها في هذه اللحظة أصبحتْ قرار موتي، فسألت نفسي: يا ترى هل سيقتلونني؟ وكيف؟ ومتى؟ ومن؟ هل ستقتلني عائلتي؟ أم سيكونون أناسًا من المسجد؟ أم سيكونون طلابي؟

كانت هذه اللحظة من أشد اللحظات العصيبة في حياتي. فقد تركتُ الاجتماع وتوجهتُ إلى البيت. وعلى الرغم من أني لم أتفوه لعائلتي بشيء البتة عمَّا جرى، ولكنه كان واضحًا لهم أن شيئًا ما كان يضايقني ولم يكن يبشر بالخير، لذا فقد أويت إلى فراشي مبكرًا تلك الليلة على غير عادتي.

الرحلة إلى السجن

في الليلة نفسها، في الساعة الثالثة صباحًا، سمع والدي طرقًا شديدًا على باب البيت. وحال فتحه إذا بمجموعة من الرجال المسلحين (كانوا أكثر من خمسة عشر رجلًا برشاشات الكلاشينكوف الروسية) يهرعون إلى الداخل ويتوجهون مباشرة إلى الطابق العلوي، يوقظون كل من فيه بوقع أقدامهم الثقيلة باحثين عني إلى أن وجدني أحدهم نائمًا في فراشي. كانت كل عائلتي في هذه الأثناء قد استيقظت والكل يبكون مرتعبين وخائفين، بينما المسلحون يدفعونني أمامهم عبر الباب الخارجي إلى الشارع حيث وضعوني في مؤخرة سيارة كانت تنتظرهم، فاستقلوها وغادرنا مسرعين. كنت وقتها ما أزال في صدمة مما حدث. ولكني سرعان ما استعدتُ رباط جأشي وأدركت أن ما حصل الآن كان نتيجة لما حدث بالأمس في الجامعَة. أخذوني إلى مكان يبدو وكأنه أحد السجون حيث وضعتُ في زنزانة من الأسمنت مع سجين آخر كان هناك قبلي.

حاول أهلي في الصباح التالي جاهدين أن يعلموا ماذا جرى لي. وقد ذهبوا مباشرةً إلى مركز الشرطة وطالبوهم قائلين:

«ماذا فعلتم بابننا وأين وضعتموه؟»

ولكن لم يكن هناك أحد من الشرطة أو غيرها لديه أيّ معلومات عني لأني ساعتها كنت في أيدى المخابرات السرية المصرية.

اتهامي بالمسيحية

لم أذق الطعام لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع بدأ أفراد الشرطة السرية عملية الاستجواب ولمدة أربعة أيام متتالية. كان هدفهم من كل ذلك هو أن أعترف لهم بأني قد تركتُ الإسلام وأن أشرح لهم كيف حصل

ذلك. كان الروتين الذي يتبعوه معي هو أن يستجوبوني خلال النهار بطريقة ودية مسالمة ويأتوا لأخذي من زنزانتي أثناء الليل للاستجواب بطريقة أخرى. وكانت أول ليلة للاستجواب في غرفة ذات طاولة كبيرة وقد جلس المحقق من خلفها وسيجارته المشتعلة بين أصابعه يتلاعب بها وكأنه يعدها بإطفاءة مثيرة. وكنت أنا جالسًا مُقابِلَهُ على الجانب الآخر ولسبب ما كان يبدو متأكدًا أني قد تحولت إلى المسيحية، لهذا فقد كان يسألني ويلح في سؤاله قائلًا:

«لماذا خُنتَ الإسلام؟ وإلى أي كنيسة تذهب؟»

كانت كلماته جارحة ولكنها لم تَفُقْ أفعاله معي، حيث آثار إطفاء سيجارته في جسدي ما زالت شواهدَ حية في كفي وساعدي ووجهي من جراء حروق سيجارته وآثار الكيّ بالنار الذي يشهد بذلك أيضًا.

أرادني أن أعترف بأني ارتددت، ولكني قلت:

«أنا لم أخُن الإسلام، أنا إنسان أكاديمي مفكر وأعتقد أن لي الحق في أن أناقش أي موضوع عن الإسلام وهذا جزء من طبيعة عملي. أنا حتى لا أجرؤ أن أتحول عن الإسلام، فالإسلام في دمي، وهو لغتي وحضارتي وأهلي وكل حياتي. ولكن إن كنتَ تتهمني بالتحول عن الإسلام بسبب ما أقوله لك فهيا إقصِني عن الإسلام فأنا لا اعتراض لدي على ذلك».

أمسك بي الحراس واقتادوني إلى زنزانتي فى هذا اليوم. أما جاري في الزنزانة فقد منحني شيئا من مائه وطعامه ظنًا منه أني أعاقَب بسبب كوني من الإسلاميين. في الليلة الثانية أُخذتُ مرة أخرى إلى غرفة تحتوي على سرير من الحديد وكان الحراس يهينونني دائمًا ويكيلون لي الشتائم في محاولة منهم للحصول على اعتراف مني. هذه المرة قيدوني إلى السرير وبدأوا بضربي على قدميَّ بالسوط حتى فقدتُ الوعي من الألم والإعياء.

اقتادوني عندما أفقتُ إلى حوض فيه ماء بارد كبرودة الثلج وأجبروني على الخوض فيه. ولم يطل بي الوقت حتى فقدت رشدي مرة أخرى. عندما أفقتُ هذه المرة إذا بي مستلقيًا على ظهري فوق السرير ذاته الذي أشبِعت ضربًا عليه من قَبل وأنا مازِلت في ثيابي المبتلة. أمضيتُ يومًا آخرَ في الزنزانة. وفي المساء التالي أُخذتُ إلى الخارج، إلى خلف البناية حيث رأيت ما تراءى لي غرفة من الأسمنت من دون أبواب أو شبابيك ذات فتحة وحيدة والتي كانت كوة في سقف الغرفة.

أجبرني الحراس على تسلق سلم وضِع على الحائط إلى القمة وأمروني بأن:

«أسرع وادخل هنا»

تزحلقت داخل الفتحة إلى أسفل وشعرتُ بالماء يزحف على جسدي وبدأ يغمر أوصالي. ولذهولي وعدم توقعي أحسست بأرض صلبة تتجسم تحت قدمي.

وعندما غمرني الماء حتى مستوى كتفي، لاحظت شيئًا جعل الدم يتجمد في عروقي، فقد لاحظتُ أجسامًا صغيرة تتحرك في الماء والكثير الكثير منها؛ وكان هذا أكبر تجمع للقوارض شاهدته في حياتي، كانت فئرانًا ذات رائحة نتنة كريهة. وسمعت أحد الحراس يعلق ساخرًا:

«هذا مفكر إسلامي، ولذلك سنجعل الفئران تأكل دماغه.»

وفجأة أغلِقت الكوة، وساد الظلام الدامس الغرفة ولم أستطع أن أرى شيئًا. وقفتُ أتوجس في الظلام والماء يغمر ما تبقى من جسدي المتعب. مرت الدقائق خلتها سنين ثم تبعتها الساعات وكأنها دهورٌ لا تنتهي.

جاء الحراس في الصباح التالي ليروا إذا كنتُ ما أزال حيًا، ولعمري لا أستطيع أن أنسى منظر الشمس تلفح ناظريَّ حالما فُتحت الكوة؛

فطوال ذلك الليل البهيم واللامتناهي في الامتداد، كانت الفئران تتسلق كل موضع من أكتافي ورأسي. لكن، ولدهشتي، لم أتعرض لأي أذى من هذه القوارض ذات الأسنان القاضمة. اقتادني الحراس مُشمئِزين من منظري ورائحتي إلى زنزانتي. وفي آخر ليلة لي في هذا المكان اقتادني الحراس إلى غرفة ذات باب صغير قائلين:

«هناك من يرغب فى مقابلتك وقضاء بعض الوقت معك».

ظننت أن يكون هذا الشخص من عائلتي أو صديقًا جاء يتفقدني أو يخرجني من السجن.

فتحوا الباب المؤدي إلى داخل هذه الغرفة فصُعقت لما رأيت. كان في الزاوية البعيدة من هذه الغرفة كلب كبير خلته حصانًا، كان أكبر كلب رأيته في حياتي.

دفعوني بقوة إلى داخل هذه الغرفة الخالية من كل شيء إلا من هذا الكلب وسمعت دوي الباب يغلق ورائي، فصرختُ من أعماق قلبي المفعم بالهلع صرخة لم تتجاوز أضلعي ترددت أصداءها بين جوانحي المنهكة، صرخة لم تتجاوز غشاء قلبي المملوء بالإيمان بخالقي الذي لا أعرفه بعد، فوَلَولتُ صامتًا:

«أنت ربي وإلهي، إلى متى تتركني في هذه الأيادي الشريرة؟ لا علم لي بمصيري! ولكني على يقين أنك ستكون معي، ويومًا ما سأرى وجهك وأحيا معك.»

خطوتُ خطوات بطيئة وجلستُ على الأرض، فجاء الكلب وجلس قبالتي وأخذ يتفحصني. مرت الدقائق الطويلة وهو مازال مركزًا نظراته عليّ، ثم نهض من قبالتي وبدأ يدور حولي في دوائر لا تنتهي، وكأنه وحش يتهيأ للانقضاض على فريسته. وأخيرًا جاء إلى ناحيتي اليمنى ليلعق أذني ويجلس بجانبي. بعدها سرقني سلطان النوم من شدة الإنهاك دون أن أشعر. وعندما استيقظت من نومي، وجدتُ الكلب جالسًا في

إحدى زوايا الغرفة، فهرع إليَّ وجلس إلى جانبي الأيمن ثانية. وعندما فتح الحرس الباب وشاهدوني أصلي والكلب بجانبي، بدوا في حيرة من أمري، وكان هذا اليوم آخر أيام التحقيقات.

بعدها نقلتُ إلى سجن الترحيلات الكائن فى منطقة القلعة بجنوب القاهرة، عندئذٍ أيقنت أن قلبي كان قد رفض الإسلام بصورة كاملة. في هذه الأثناء كان أهلي ما زالوا يحاولون أن يعرفوا ماذا جرى لي، ولكن من دون جدوى! حتى عاد خالي – والذي كان عضوًا مهمًا في البرلمان المصري – من إحدى زياراته في الخارج. اتصلت به أمي وهي تبكي وتقول:

«ابننا اختفى منذ أسبوعين ولا نعرف عنه شيئًا.»

كان خالي يملك السلطة اللازمة للتدخل، بما في ذلك من فنون المحسوبية الشهيرة التى تفوقت فيها بلادنا على سائر بلاد الدنيا. فبعد اختطافي بخمسة عشر يومًا، جاء خالي شخصيًا إلى السجن حاملًا أوراق إخلاء سبيلي، وأخذني معه إلى البيت.

تحول جذري

قد يقول بعضهم، لاعجب أن هذا الرجل ترك الإسلام؛ فقد كان غاضبًا لأنه قد عذّبه المسلمون. وللإجابة على هذا التعليق أقول: «نعم، هذا صحيح». فعندما عُذِبتُ باسم حماية الإسلام، لم أميز بين المسلمين والتعاليم الإسلامية، لذا فالتعذيب كان القشة التي قصمت ظهر البعير والهوة الأخيرة التي فرقت بيني وبين الإسلام. ولكن الحقيقة أني كنت أشكِكُ في الإسلام لسنوات عديدة حتى قبل أن أدخل السجن. ولم تكن شكوكي مستندة إلى تصرفات المسلمين بل إلى أعمال محمد وأعمال أتباعه وتعاليم القرآن؛ فوجودي في السجن ساعد في تعجيل خطواتي إلى حيث كان مقدرًا لي أن أتجه.

عدت إلى منزل أهلي لأفكر في خطوتي القادمة وما عساها تكون. وفي هذه الأثناء جاءت الشرطة وأعطت والدي التقرير التالي:

«استلمنا رسالة من جامعة الأزهر تتهم ابنك بترك الإسلام، ولكن بعد خمسة عشر يومًا من التحقيقات والمتابعة، تبين لنا أنه لا صحة لذلك».

تنفس والدي الصعداء عند سماعه ذلك. فهو لم يكن يشك ولو للحظة أني سأترك الإسلام يومًا. لم أكن وقتها قد أخبرته بحقيقة شعوري، فنسب والدي كل ذلك إلى حسد شخصي من قبل بعضهم في الجامعة تجاه المكانة الدراسية والعلمية التي حصلت عليها والتي كان يتمناها الجميع. وأنا بدوري شجعته على الاقتناع بفكرته هذه فقال:

«نحن لسنا محتاجين إليهم!» قال هذا وهو يعرض عليَّ العمل معه كمدير مبيعات لمعمله الكبير، وسألني أن أنسى ما حدث، دون أن تكون لديه أي فكرة عن البركان الذي يغلي أجيجه بين جوانحي.



اليوم الذي رأيت فيه يسوع ومحمد جنبا إلى جنب

كانت الساعة تقارب الثالثة صباحًا، وكان قد حان وقت نهوض أهل البيت. وكنت أنا مستيقظًا أيضًا ولكني لم أكن أنوي أن أغادر غرفتي.

كان هذا بعد عدة أشهر من إطلاق سراحي من السجن حيث توقفت عن الصلاة في المسجد. وبدلًا من الذهاب إلى المسجد خمس مرات في اليوم كنت أجلس على فراشي أو إلى مكتبي أصلّي إلى الإله الحقيقي ليكشف لي عن نفسه، أيًا كان هذا الإله الذي أبقاني على قيد الحياة في السجن. أحيانًا كثيرة لم تكن لدي كلمات أتفوه بها حيث كنت أجلس وأبكي، فذكرياتي في السجن كان كابوسها يطاردني.

طرقت أمي بابي برفق وقالت:

«ألن تذهب إلى الجامع اليوم يا ولدي؟»

فأجبت:

«أنا لا أريد أن أرى أحدًا.»

وفي التقاليد الإسلامية، إذا كان الشخص يصلي في غرفته فإن أحدًا لن يشك في إيمانه لأنه مازال يصلي إلى الله وهذا يعني أنه مازال مسلمًا.

فقد ظنت عائلتي أني أحتاج إلى بعض الوقت لأرتاح؛ ظنوا أنه لم تكن لي الرغبة في الكلام مع الناس، فقط لا غير.

صراعي الداخلي

أطلق سراحي من السجن وكلي غضب على الإسلام وشكٌّ فيه. ولكنني كنت على تمام اليقين بأن هناك قوة جبارة أبقتني على قيد الحياة. ومع كل يوم يمضي كان شوقي إلى اكتشاف هذا الرب يزداد. وكنت طيلة الوقت أسائل نفسي، ترى من عسى هذا الإله أن يكون؟ ولم يجل بخاطري أبدًا أن يكون هو إله المسيحيين أو اليهود! والسبب في ذلك هو أني كنت لم أزل تحت تأثير القرآن وتعليم محمد، فالقرآن يقول إن المسيحيين يعبدون ثلاثة آلهة، الله الآب ويسوع الابن ومريم أم يسوع. كنت أبحثُ عن ذلك الإله الحقيقي الواحد وليس ثلاثة، وقد قال القرآن أيضًا بأن اليهود كانوا أشرارًا، قد حرفوا كتبهم وقتلوا أنبياءهم لذلك لم أكن لأنظر إلى إلههم.

كل هذا دفعني إلى البحث في ديانات الشرق الأخرى – الهندوسية والبوذية، وكنتُ قد تعلمتُ عن هذه الديانات الكثير إبّانَ دراستي لشهادة الليسانس، والآن وجدت كتبًا أكثر للدراسة عنهم. عجبًا فهل هو إله الهندوسية؟ أم هو إله البوذية؟ وبعد الدراسة استنتجتُ أنه لم يكن هذا ولا ذاك.

كنت عندما أريد أن أفكر أو أصلي أجلس على حافة النهر وأنظر إلى ما أبدعت يد الخالق حيث الماء والنباتات الخضراء والسماء والطبيعة. فهذه كلها أشياء أعطتني الأمل أنه سيكون هناك نوعٌ من الاستجابة لصلواتي!

كنت معتادًا كل يوم، بعد أن أُنهي عملي مع والدي، أن أعود إلى بيتي وأتناول طعام العشاء مع أفراد عائلتي. وبعد عشاء الخميس، كعادتي،

كنت أقص عليهم قصصًا من الحديث والتي كان إخوتي يحبون الاستماع إليها. غير أن هذا كله تغير بعد مغادرتي السجن، وكنتُ قد توقفت عن ذلك. وكان إخوتي الأصغر مني سنًا يسألونني باستمرار عن ذلك بقولهم:

«لماذا لم تعد تقص علينا القصص كالسابق؟»

وبعد أن ننتهي من تناول وجبة العشاء أخرجُ لأتسلى مع أصدقائي. فأحيانًا كنت أجلس في أحد المقاهي وأزاول بعض الألعاب كالشطرنج والدومينو، وأحيانًا كنت أشاهد البرامج الرياضية على التلفزيون، وأحيانًا أخرى أتمشى في الشارع الرئيسي الواقع على ضفاف النيل، لأعود عند منتصف الليل. وعندما كنت أنفرد بنفسي كنت أحس مرة أخرى وكأني الشخص الأكثر يأسًا في العالم وذلك لأني لم أكتشف بعدُ مَنْ عساه أن يكون هذا الرب! كنت أقضي ما يقارب الساعة أو الساعتين محاولًا أن أنام دون جدوى، لأنهض كالعادة مبكرًا. كان جسمي شديد التعب لدرجة الإرهاق. وبدأتُ أحس بنوبات من الصداع الشديد، فراجعت الطبيب ملتمسًا إجراء بعض الفحوصات والتحاليل والأشعة. فخلال النهار كان الصداع على الرغمٍ من شدته لا يمنعني من العمل والحياة الطبيعية؛ فطالما كنت مشغولًا كنت لا أشعر به. ولكن حالما أختلي بنفسي في الليل محاولًا النوم، عندها كنتُ أحس بألم لا يطاق. وكنت كدأبي كل ليلة أتناول المزيد من الأدوية التي وصفها لي الطبيب لتسكين الألم.

وصفة جديدة

عشتُ على هذا المنوال لمدة سنة. وفي أحد هذه الأيام داهمني صداعٌ شديد فذهبت إلى الصيدلية مرة أخرى طالبًا المزيد من الأدوية. وكمعظم الصيادلة في مصر فقد كانت هذه الصيدلانية

مسيحية. وحيث إني كنت أتردد عليها لفترة طويلة فقد أحسست بأني أستطيع أن أتكلم إليها بارتياح، فبدأت أشتكي لها وأقول: إن هذه الحبوب لم تعد تسكن الألم كالسابق. أجابتني بالقول: أنت في مرحلة خطيرة الآن، يبدو لي أنك بدأت تدمن هذه الحبوب وأنت لا تأخذها لكونك تحتاج إليها بل لأنك لا تستطيع التخلي عنها. ثم بادرتْ بالسؤال وبرقّة: ماذا يجري في حياتك؟ كانت تعرف أني من عائلة محترمة وأني خريج الأزهر، فأخبرتها بأني أبحث عن إلهي الذي خلقني. فاستغربت وقالت: ماذا عن إلهك ودينك؟ عندها بدأت أسرد لها قصتي.

مدّت يدها تحت طاولتها وسحبت كتابًا وقالت بهدوء: خذ هذا الكتاب. ولكن قبل أن تأخذ حبوبك هذه الليلة حاول أن تقرأ فيه شيئًا وعندها لاحظ كيف تشعر! أخذتُ الكتاب بيد والحبوب باليد الأخرى. كان كتابًا ذا غلاف جلدي أسود كُتبَ على الغلاف الإنجيل المقدس باللغة العربية، فقلت:

«حسنًا لا مانع عندي من تجربته».

تركتُ الصيدلية بعد أن أدرت غلاف الكتاب الأمامي نحو جسمي كي لا يراه أحد، ثم قفلت راجعًا إلى بيتي وذهبت رأسًا إلى غرفتي. كنت حينها في الخامسة والثلاثين من عمري، وكانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أحمل فيها إنجيلاً.

قراءة الإنجيل

كانت ليلة من ليالي الصيف الساحرة في مصر. وحوالى الساعة العاشرة انتابتني نوبة شديدة من الصداع لكني لم أتناول دوائي فقد تركتهُ على الطاولة وأنا أنظر إلى الكتاب المقدس. كانت هذه النسخة الشخصية للصيدلانية وكنت أستطيع أن أرى ملاحظاتها على

الصفحات. لم أدرِ أين أبدأ، لذلك فقد فتحته بدون سابق تعيين، ففُتح الكتاب على صفحات إنجيل متى الإصحاح الخامس.

وجدتني أقرأ في موعظة الجبل، واستطعت أن أتصور يسوع على الجبل يعلم الجموع حوله. ومن شدة انغماسي في القراءة نسيت أني في غرفتي، ولم أعد أشعر بما حولي وكأني قد فقدت إحساسي بالوقت، فقد أخذني الإنجيل من قصة إلى قصة خلال كتاب متى.

بدأ ذهني يعمل كجهاز الحاسوب. ففي الكتاب الموضوع فوق الطاولة أمامي رأيت صورة يسوع، وفي عقلي كانت صورة محمد. لم يتوقف عقلي عن إحضار المقارنة وبإلحاح، فقد كنت متشبعًا بالقرآن وحياة محمد لدرجة أنني لم أبذل أي جهد لتذكُّر هذه الأشياء؛ فقد كانت منقوشة كالوشم في ذاكرتي.

إقرأ معي

وصلنا عزيزي القارئ الآن إلى تلك المرحلة الحرجة في حياتي والتي أردتك أن تراها. وإذا أردت أن تعرف ماذا حدث لي بعد هذه الليلة تستطيع أن تقرأ عن ذلك في نهاية الكتاب، ولكني أريد أن أتوقف معك هنا الآن وأراجع هذا الموقف بالذات معك.

لم أعش الإسلام فقط بل درسته وتعمقت فيه وحفظته عن غيب كباحث وأكاديمي أمضى ثلاثين عامًا في دراسته ودراسة حياة محمد. والآن ولغرابة الأطوار أحْمِلُ في يدي إنجيلاً يُعَرِّفني بيسوع.

في الصفحات التالية التي ستقرأها أريدك أن تمر بالتجربة نفسها وترى الذي رأيته تلك الليلة في غرفة نومي في مصر، والذي دأبت على اكتشافه خلال الإحدى عشرة سنة الأخيرة، دون لاهوت ودون تعليق ودون كلمات براقة. لم أحتج إلى أحد يأخذ بيدي ويقول لي «هذا ما يعنيه الإنجيل»، فقد قرأت ما يقوله بنفسي ولم أحتجْ إلى شخص ليخبرني

«هذا ما قاله محمد أو هذا ما فعله» فأنا قد حفظت كل ذلك عن ظهر قلب ومن المصادر الأصلية.

والآن، عزيزي القارئ، وبكل تواضع أدعوك أن تسمح لي أن أقدمك إلى يسوع ومحمد.



الفصل الثاني

حياة يسوع ومحمد



مرحلة الطفولة

محمد: ولد في سنة ٥٧٠ ميلادية
يسوع: ولد في سنة ٦ أو ٥ قبل الميلاد

عندما كنت أقرأ ولأول مرة عن حياة يسوع في الإنجيل. كنت أتعجب لكثرة الأحيان التي يحدث فيها حادث ما في حياة يسوع ويكون لهذا الحادث ذِكرٌ مماثل في حياة محمد. في هذا الفصل سنستعرض طفولة كلا الرجلين لنكتشف مجموعة من هذه الحقائق المتماثلة والمتكررة في أكثر من واقعة. لنبدأ بحقيقة تتعلق بولادتهما، ألا وهي أن كلًا منهما كان الابن البكر لعائلته.

ولادتهما

ولد محمد في مكة بالجزيرة العربية في ٢ آب سنة ٥٧٠ ميلادية والموافق للثاني عشر من شهر ربيع في التقويم القمري. توفّي أبوه قبل أن يولد وكان هو الابن البكر والوحيد الذي ولد لأمه. ولا يذكر التاريخ الإسلامي إلا بعض التفاصيل القليلة الأخرى في هذا الصدد، ولكن هناك رواية عن ليلة ولادته كانت قد رُويَتْ عن أحد أتباع محمد الأوائل والذي قال فيها:

«حدثتني أمي بأنها شهدت آمنة بنت وهب أم رسول الله تلد، وفي الليلة التي ولد فيها محمد قالت (أي آمنة) «لم تنظر عيني أي شيء في تلك الليلة إلاَّ وكان من نور. رأيت النجوم تقترب مني حتى خِلتها تسقط علي».

فيما معناه أنه عندما ولد محمد قالت أمه إنّ تلك الليلة كانت مليئة بالنور وكأنَّ النجوم قد نزلت إلى الأرض.

دعنا عزيزي القارئ نتوقف هنا لهنيهة ونعود إلى قصة ولادة يسوع. فقبل هذا بحوالى ستمائة سنة كانت هناك عذراء يهودية تدعى مريم قالت إنّ الملاك جبريل أتي إليها بخبر أنها ستلد ولدًا وتدعو اسمه «ابن اللهِ» (لوقا ١: ٣٥). وتحقق ما أخبرها به الملاك فقد حبلت مريم على الرغم من حقيقة كونها عذراء، وكان حملها غير مقبول في المجتمع التقليدي الذي كانت تعيش فيه لأنها كانت آنذاك مخطوبة فقط ولم يتم الزواج بعد. أما خطيبها يوسف فإنه فَكر بأن ينهي علاقته بها ولكن بدون عِلم أحد لأنه كان رجلًا بارًا ولم يكن يرغب في تشهيرها. وفي خضم هذا التفكير إذا بملاك يظهر له في المنام ليخبره بأن مريم قد حملت من الروح القدس، وفي أشهُرِ حملها الأولى زارت مريم قريبتها اليصابات وأخبرتها بما حدث، ويذكر الإنجيل تسبحة الشكر التي رددتها مريم حينها:

فَقَالَتْ مَرْيَمُ:

«تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ»

(لوقا ١: ٤٦–٤٩)

كانت اليصابات حبلى أيضًا بصبيّ أسمته يوحنا عند ولادته. وكان مكتوبًا لابنها – يوحنا – أن يلعب دورًا مهمًا وبارزًا في حياة ابن مريم.

بقيت مريم عند قريبتها إليصابات لفترة ثلاثة أشهر ثم عادت إلى بيتها وإلى خطيبها يوسف. وعندما قاربت فترة الحمل على الانتهاء، كان على يوسف ومريم أن يغادرا مدينة الناصرة في الجليل إلى المدينة التي كانوا يعيشون فيها، إلى بيت لحم مسقط رأس يوسف، إنصياعًا لأوامر هيرودس للتسجيل في التعداد الروماني. وبينما كانا يبحثان عن مكان للمبيت، أكملت عدتها وتم زمانها لتلد، فولدت مريم ابنها البكر في بيت لحم وأسمته يسوع. ويحدثنا الإنجيل بالتفصيل عن الظروف التي رافقت الميلاد.

نبوءات عن الطفل يسوع

قصتا يسوع ومحمد كلاهما تحتويان على نبوءات حول طفولتهما. نبوءات عن يسوع تحققت وهو مايزال طفلًا، فإنجيل لوقا يخبرنا:

> «لَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أورشليم لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ:، ... وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً»
>
> **(لوقا ٢: ٢٢ و٢٤)**

وحدث أن كان في الهيكل نبي اسمه سمعان. فلما رأى يسوع هناك، أخذه إليه وقال:

> «ٱلآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ ٱلَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ».
>
> **(لوقا ٢: ٢٩–٣٢)**

وبينما مريم ويوسف على هذا الحال مأخوذين بما يبصران، إذا بنَبيةٍ اسمها حنة حضرت إليهما في تلك الساعة و«وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أورشليم.» (لوقا ٢: ٣٨).

وسنقرأ في ما بعد عن نبوءة مماثلة ذُكِرت عن محمد وهو شاب يافع.

قصة محمد المشهورة عن التطهير الداخلي

على الرغم من أنه ليس هناك الكثير من القصص عن محمد وهو طفل، غير أن هناك قصة واحدة اشتهرت عن طفولته. وإذا كنت عزيزي القارئ مسلمًا تعيش في الشرق الأوسط، فمن المؤكد أنك قد سمعت عن هذه القصة باستمرار. وفي اعتقادي، ومن دون مبالغة، فإنها تُذْكَرُ في أكثر من **٢٥** ٪ من الخطب المنبرية، وهي تُروى على النحو التالي عن أنس:

> «أنه قال إن جبريل جاء إلى رسول الله يومًا بينما كان يلعب مع أترابه. فأمسكه وألقاه أرضًا وفتح صدره وانتزع قلبه وأخرج منه خثرةً من الدم قائلًا: «كان هذا جزءًا من إبليس فيك». ومن ثم غسل قلبه في إناءٍ ذهبيّ بماءٍ من بئر زمزم، بعدئذٍ ضم أوصاله إلى بعض وأعادها إلى مكانها. هرع أقرانه يسرعون الخطى إلى أمه (أو مرضعته) قائلين لها إن محمدًا قد قتل، فأسرع الجميع إلى حيث كان ملقى ليجدوه حيًا يرزق، إلا أن لونه كان قد تغير».

وتروى هذه القصة لتعزيز مكانة محمد الخاصة في الإيمان الإسلامي.

طفولة محمد حول الكعبة

أخذت آمنة محمدًا ابنها وذهبت لتعيش مع أهلها بعد موت زوجها. وقدِّر لهما أن يعيشا سويًا لمدة ستّ سنوات فقط إلى أن أصيبت بالحمى ووافاها الأجل، فذهب محمد عندئذٍ ليعيش مع جده لأبيه، وكانت عائلة أبيه جزءًا من قبيلة قريش، أقوى القبائل في مكة. وكانت هذه القبيلة تسيطر على المكان الرئيسي للعبادة في الجزيرة، وهو عبارة عن معبدٍ مملوءٍ بالأوثان يعرف بالكعبة، حيث كان لجد محمد الشرف في أن يعتني بالكعبة، وكان مسؤولًا عن رعايتها وصيانتها.

كان المعبد مكوّنًا من ساحة فسيحة محاطة بسياج وفي الوسط بناء مكعب، حيث كلمة الكعبة تعني المكعب. وكان البناء على شكل مستطيل ومغطى بغطاء مصنوع من أفخم أقمشة ذلك العصر.

حتى قبل مجيء الإسلام كان الناس يعتقدون بأن إبراهيم هو الذي بناها. وكان هذا البناء أيضًا يسمى بالحجر الأسود، استنادًا إلى حجر صغير أسود كان قد هبط من السماء وخُبِّئَ في داخل هذا البناء. وكان جد محمد يغير غطاء الكعبة مرة في السنة ويغسله ويضع بدله غطاءً جديدًا.

كانت كل القبائل تؤمن بالإله الواحد ولكنهم لم يكونوا متيقنين من ماهية هذا الإله. وكانوا دائمي البحث عن وسيطٍ ليوصلهم إلى هذا الإله «الأحد». لذا فقد صنعوا العديد من الأوثان للتقرب إليها، حيث يقول القرآن بصدد هذه الأوثان:

«أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ.»

(سورة ٣٩:٣)

وعلى الرغم من أن كل قبيلة كان لها إلهها الذي تعبده، فقد كان الكل يطوفون بالحجر الأسود كجزء من طقوس العبادة. وعلى الرغم من أنهم لم يؤمنوا بأن الحجر الأسود كان يمثل الإله الواحد، إلّا أنه كان لكل قبيلة تقاليدها الخاصة بها للحج السنوي أيضًا. لذا فقد كانت قبائل مختلفة تزور الكعبة لأداء مراسم الزيارة جالبة معها تقدمات من المال والطعام والذبائح والتي كانت تأخذها قبيلة قريش والقائمون على خدمة الكعبة.

كان محمد يزور الكعبة وهو طفل مع جده أو أحد أعضاء عائلته باستمرار. فالعناية بالمعبد كانت مسؤولية عائلته لعدة أجيال إلى أن مات جده (وهو مازال طفلًا) وانتقلت العناية بالكعبة إلى أحد أبنائه وهو أبو طالب. كذلك انتقلت رعاية محمد إلى أبي طالب فذهب محمد للعيش مع عمه وأبناء عمومته.

كان محمد ينمو ويترعرع معتادًا قضاء الكثير من الوقت حول الكعبة، حيث يراقب الناس يسجدون للأصنام ويرى التجار الذين يغتنون من بيع تماثيل هذه الأصنام. وكان لكل هذه التجارب الأثر الكبير على تفكير محمد عندما أصبح يافعًا، فأقسم بأنه عندما يكبر لن يسجد لأي صنم يوجد في مكة وفي الجزيرة أبدًا. لذا فنحن نرى تأثير الدين السائد آنذاك عليه. لنر الآن كيف أثر دين أهل يسوع عليه.

يسوع يزور الهيكل في طفولته

لم يتمكن يوسف ومريم من أن يعودا إلى قريتهما الناصرة بعد أن أنهيا التسجيل للتعداد الروماني، وكان هذا بسبب أن بعض الحكماء من الشرق شاهدوا نجمًا جديدًا وأوعزوا ذلك إلى أن ملك اليهود الذي كانوا ينتظرونه قد ولد. فذهبوا إلى الملك هيرودس في أورشليم وسألوه عن مكان ولادة هذا الملك! وهيرودس هذا كان قد عيّنته روما كمحافظ

ولم يكن من أصلٍ يهودي. غير أن فكرة ولادة ملك آخر لم ترق له، فدعا أحبار اليهود واستفسر منهم عن قول الكتب والنبوءات! فقالوا له: بأن الملك سيولد في أورشليم (متى٥:٢). فأعطى الملك هيرودس أوامره للحكماء بأن يجدوا الصبي ومن ثم يعودوا لإعلام الملك عن مكانه. وعلى الرغم من أن الحكماء استطاعوا الاستدلال إلى مكان يسوع، غير أنهم لم يخبروا هيرودس عنه وعادوا إلى بلادهم عن طريقٍ آخر.

عندما أدرك هيرودس بأنّ الحكماء قد خدعوه، غضب غضبًا شديدًا فأرسل وقتل جميع الصبيان في بيت لحم وضواحيها، من ابن سنتين فما دون. وكاد يسوع أن يقتل في ذلك الوقت غير أن ملاك الرب أعلم يوسف بأن يأخذ عائلته ويرحل إلى مصر. ومن هناك عاد يوسف ومريم ويسوع إلى الناصرة بعد وفاة هيرودس.

كان يوسف ومريم، كدأبهما كل عام، يذهبان إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح هناك، حيث كانا يزوران الهيكل العظيم والذي كان قد أقامه هيرودس الملك محاباة منه للشعب اليهودي ولنيل استحسانه وتأييده.

كان بناءً فخمًا رائعًا مصنوعًا من الحجر الأبيض ومحاطًا بباحة فسيحة يدور حول محيطها صف متراص من الأعمدة الشامخة من جميع جوانبها.

بعد الزيارة، كان يسوع يعود كل عام إلى الناصرة مع أهله. وفي إحدى هذه الزيارات – وكان حينذاك لا يتجاوز الثانية عشرة من العمر، حدثت له هذه الحادثة الفريدة: فبينما كان يجالس المعلمين في ندوتهم في المعبد، يَعُبُّ من ينبوع معرفتهم وينهل من حكمتهم ويسأل الأسئلة التي أدهشتهم، غادرت عائلته في الوقت المتفق عليه مسبقًا. ولكنه لم يستطع أن ينسحب فتأخر عن ركب عائلته الذي ترك أورشليم من دونه.

وفي مساء يوم السفر الأول افتقده أهله وأدركوا بأن يسوع لم يكن موجودًا مع أقرانه عند مغادرتهما، فأسْقِطَ في أيديهما. وفي فجر اليوم التالي عادا إلى أورشليم سائلين مستفسرينَ عنه وهما في غاية القلق عما إذا كان أحدٌ قد شاهد ابنهما. وأخيرًا وبعد ثلاثة أيام من البحث في المدينة والسؤال عنه عثرا عليه؛ فقد كان في الهيكل في إحدى حلقات الدارسين يتناقش معهم ويأخذ عنهم. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ:

«يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!» فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟».

(لوقا ٢: ٤٨-٤٩)

نرى مما تقدم عزيزي القارئ، بأن يسوع كان لديه ما يشده إلى الهيكل بينما خاب أمل محمد في الكعبة، والآن دعنا ننتقل إلى مسألة أخرى في حياة محمد لنرى ماذا كانت تنبوءات الراهب بخصوصه.

نبوءات الراهب بخصوص محمد

كان أبو طالب، عم محمد، غالبًا ما يسافر مع ركب قوافل تجار مكة. فعند بلوغ محمد اثنتي عشرة سنة من عمره، أخذه عمه في إحدى هذه الرحلات وكانت القافلة ذاهبة إلى بلاد الشام.

مرت هذه القافلة قرب وصولها إلى سورية بصومعة راهبٍ مسيحي في دير على الطريق. كان اسم هذا الراهب بحيرى. وكان في الجزيرة آنذاك الكثير من الطوائف* التي ادعت المسيحية غير أنهم أنكروا حقيقة

* الجنوسية: وهي مبادئ لحركات دينية ظهرت في فترة ما قبل المسيحية المتأخرة وفترة المسيحية المبكرة وهي تؤمن بنقاء الروح وفساد المادة وأن القناعة تأتي بالمعرفة وليس بالإيمان، ومن هؤلاء طائفة الإبيونيين، الذين اعتنقوا المسيحية مع احتفاظهم بالشريعة اليهودية.

كون يسوع ابن الله الذي هو محور المسيحية، كطائفة الجنوسيين ومنهم الإبيونيين.

ويذهب التاريخ الإسلامي إلى القول بأن القافلة وصلت إلى هذا الراهب الذي طلب منهم أن يتوقفوا عنده ليأخذوا قسطًا من الراحة. كان الراهب مهتمًا جدًا بمحمد حيث وجه له كثيرًا من الأسئلة، قال بعدها بأن أجوبة محمد طابقت بالضبط ما قالته كتبه عن نبي كُتِبَ أنه سوف يأتي. ثم بحث عن علامة بين كتفيه، وعندما وجدها أخبر عم محمد بذلك وقال له: «أصغ إلي، إن هذا الفتى سيكون النبي الأخير لعالمنا هذا وهذه علامة النبوءة»، ثم حذره قائلًا: «لا تدع اليهود يسمعون عن هذا أو يشاهدوا هذه العلامة على كتفيه لئلا يقتلوه».

ما قدمته لك عزيزي القارئ هو سردٌ أمين لما يورده التاريخ الإسلامي عن هذا الحدث بالذات، غير أن هناك اختلافًا مبدئيًّا وبعدًا تاريخيًّا لا يتوافقان. وهذا التباين يتجلى في أن لدينا كثيرًا من الدلائل عما كان أولئك الرهبان يؤمنون به، لكن ليس هناك أيّ أدلة تدعم فكرة أنهم كانوا يبحثون عن نبي آخر.

الخلاصة

ماذا نستطيع أن نستخلص من نظرتنا إلى حياة يسوع وحياة محمد في سنيها الأولى؟ فكلاهما كانا متأثرين بديانة آبائهما وقد أمضيا وقتًا في مراكز عبادتهما، وكان لكلاهما نبوءات بخصوصهما وهما ما زالا طفلين.

في الوقت الذي احتضن يسوع معتقدات آبائه، أصابت محمد خيبة أمل من معتقدات آبائه وبدأ يشكك بعبادة الأصنام في أيامه. كل هذا لعب دورًا مهمًا ومهد الطريق لبداية حياتهما العلنية.



بداية نزول الوحي

يسوع وعمره ٣٠ ومحمد وعمره ٤٠

في هذا الفصل سترى عزيزي القارئ ماذا كان يسوع ومحمد يفعلان عندما كانا شابين وماذا حدث لهما عندما بشرا بالتعليم بطريقة جديدة لفهم الرب.

محمد يعمل ويتزوج

كما هي عليه الحال اليوم، فقد كانت الجزيرة عبارة عن صحراء قاحلة* ممتدة الأطراف حتى في أيام محمد. ولانعدام الزراعة فيها درج الناس على التجارة والمقايضة مع البلدان والمناطق المجاورة للحصول على ما يقتاتون به لأنهم لم يستطيعوا أن يزرعوه بأنفسهم. فأهل قريش، قبيلة محمد، كانوا تجارًا بالفطرة. فقد كانوا تجارًا كبارًا في مكة حيث كانوا يرسلون العديد من قوافل الجمال إلى بلاد الشام شمالًا أو اليمن جنوبًا محملة بالبضائع لبيعها. وعندما كان قواد القافلة يصلون إلى هذه البلدان كانوا يبيعون بضاعتهم ويستعملون المال الذي حصلوا عليه لشراء الطعام وأشياء أخرى يحتاجون إليها ويحَمّلونها على الإبل ويعودون بها إلى مكة.

* إلا في بعض المناطق المتفرقة والمتباعدة عن بعضها حول ينابيع الماء والتي تسمى بالواحات.

كانت إحدى أكبر قوافل الجمال هذه تملكها امرأة تدعى خديجة، المرأة الأغنى والأكثر سطوة في مكة. ويذكر التاريخ الإسلامي أنها عندما شاهدت صدق محمد وأمانته، استخدمته ليقود قافلتها إلى بلاد الشام. ولدى وصوله هناك، بيعت البضاعة بحوالى ضعفي ثمنها. وعند عودة محمد، كانت خديجة راضية عنه كل الرضى ومعجبة به جدًا. وعلى الرغم من كونها قد تعدت سن الأربعين ومطلقة لأربع مرات ولديها أولاد من زيجاتها الأخرى، فقد فاتحت قائد قافلتها محمدًا ذا الخمسة والعشرين عامًا بالزواج على ما بينهما من فارق في السنّ. فقد ينظر بعض الناس إلى هذا ببعض الاستغراب عندما يسمعون بأن خديجة هي التي طلبت محمدًا للزواج. غير أن هذا هو بالضبط ما دوِّن في التاريخ الإسلامي. وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهت بها عائلة محمد وعائلة خديجة، هذا الارتباط فقد تم الزواج.

كان عم محمد (أبو طالب) وأبو خديجة معارضين للزواج؛ هنا نرى التاريخ يذكر لأول مرة شخصية مهمة في حياة محمد ألا وهو ورقة بن نوفل ابن عم خديجة. كان ورقة أحد أهم رجال الدين البارزين وذا مركز مرموق في مكة لأنه كان أسقف أكبر كنائسها.

قد تستغرب، عزيزي القارئ، عندما تسمع عن وجود كنيسة في الجزيرة العربية في زمن محمد. فكل الكتابات التاريخية الإسلامية ولا سيما تلك المتعلقة منها بالمكانة الدينية لمكة في ذلك الوقت تتكلم عن وصول المسيحية من سوريا ومصر وأثيوبيا واليمن. واحتضنت عدة قبائل عربية في الجزيرة المسيحية واتخذتها ديانة لها، غير أن هذا التعليم من المسيحية كان يختلف تمام الاختلاف عما ذكره الإنجيل في العهد الجديد، وأكبر هذه الطوائف كانت طائفة الأبيونيين*.

* الذين كما أسلفنا، ادعوا المسيحية غير أنهم أنكروا حقيقة كون يسوع ابن الله، واعتنقوا المسيحية مع احتفاظهم بالشريعة اليهودية. (المترجم عن معجم Webster)

عندما أرادت خديجة الزواج بمحمد، أيَّدهما في ذلك ابن عمها ورقة بن نوفل. وتمكن من إقناع كلا العائلتين بالموافقة. وقد قام بنفسه بإجراء مراسم الزواج. وكان هذا من أبسط صلاحياته كأسقف مكة، لذا فإنه من الممكن جدًا أن يكون محمد قد تزوج زواجًا مسيحيًا، وزوجته أيضًا كان من المحتمل أن تكون قد اعتنقت مذهب الأبيونيين المسيحيين أيضًا.

استمر محمد في إدارة تجارة خديجة. فالتاريخ الإسلامي يذكر أنهما عاشا سوية ليرزَقا بستة أطفال، ولدان* وأربع بنات؛ غير أن الولدين توفيا في سن مبكرة.

يسوع يعيش في هدوء

ليس لدينا الكثير من التفاصيل عما كان يسوع يفعله عندما كان شابًا. فإذا كان قد حصل على تعليمه كأي طفل يهودي، فقد كان سيبدأ بتعلم القراءة والكتابة وهو في عمر الخامسة. وفي العاشرة كان سيبدأ بتعلم الشريعة اليهودية أو التوراة حيث كان سيكمل تعليمه الرسمي في الثامنة عشر. ولأن يوسف كان نجارًا فإن يسوع على الأرجح كان قد أخذ هذه المهنة عنه وبدأ بممارستها. (يشار إليه بابن النجار كما في مرقس ٦: ٣)

قبل أن يبدأ يسوع بنشر رسالته، كان يوسف قد توفي، لأنه قد ورد ذكرٌ لأم يسوع عدة مرات في الإنجيل. غير أن يوسف لم يذكر، حيث شعر يسوع بالمسؤولية تجاه أمه لرعايتها (يوحنا ١٩: ٢٦–٢٧).

* وتذكر بعض المصادر ابنيه وهما الطيب والطاهر، أما بنات النبي فكنَّ رُقَيَّة وزينب وأم كلثوم ثم فاطمة. أما مريم القبطية فقد أنجبت له إبراهيم القاسم وبه يكنى، وقد توفي أبناؤه وهو مازال في مكة، وقام محمد بتبني زيد بن حارثة بعد ذلك (عن «سيرة النبي» لأبي محمد ابن هشام ج١.)

أما بالنسبة إلى حياته الدينية فنستطيع أن نستخلص بعض الاستنتاجات عنها. فعلى سبيل المثال عندما ذهب إلى الهيكل في الناصرة كان قد أعطِيَ الفرصة للقراءة من التوراة، وهذا يشير إلى أن تواجده في المعبد كان مألوفًا إبان اشتراكه في العبادة مع باقي اليهود في منطقته (لوقا ٤: ١٦).

يقول الإنجيل، بعد أن بدأ يسوع بتعليم الجموع، كان عادة ما يختلي للصلاة. وهنا نستطيع أن نقدّر أنه كان يفعل هذا قبل تبشيره وخدمته العلنية أيضًا.

هذه كانت هي الجوانب الرئيسية لحياة يسوع الدينية. أما محمد فقد كان هو الآخر يشارك في الحياة الدينية في ذلك الوقت في مكة وفي الكعبة وأيضًا كان يقضي وقتًا خاصًا في التأمل.

والآن لنلقِ نظرة مستفيضة على كيفية تطور هذا إلى أول وحي للإسلام.

الوحي ينزل على محمد

كفتى في العشرين من عمره كان محمد يختلي إلى غارٍ صغيرٍ في أحد الجبال المحيطة بمكة لقضاء وقت في التأمل والصلاة إلى الإله غير المنظور راغبًا في رؤية وجهه. كان يقضي يومًا أو يومين أو ثلاثة أيام في الصلاة كل شهر، وكانت زوجته خديجة تأتي له بالماء والطعام.

كان محمد متأثرًا جدًا من خلال زوجته وابن عمها ورقة بن نوفل بالأبيونيين، فدعا الناس لمناقشة آرائهم عن الله. وأصبح ورقة مُرشِدًا لمحمد يُعَلِّمهُ عن المسيحية. ويذكُر أحد الأحاديث بأن ورقة كان معتادًا أن يكتب أجزاءً من الإنجيل بالعربية. وتذكُر بعض المراجع التاريخية بأن إنجيل متى كان الكتاب الوحيد المترجم آنذاك، لذا فإنه من المحتمل أن تكون معلومات محمد قد جاءت من إنجيل متى فقط. كذلك من

المحتمل أن يكون قد درس تعاليم اليهود؛ فالعهد القديم ربما كان مقتصرًا على التوراة فقط (الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم والتي كتبها موسى) والمزامير، والتي كانت تدعى أناشيد داوود. وفي الوقت نفسه، فإن محمدًا استمرّ في التردد على الكعبة. فقد ذكَر أحد المؤرخين بأن محمدًا التقى ورقة مرةً يدور حول الحجر الأسود في مركز الكعبة.

وكان محمد في هذه الفترة من حياته متزوجًا ويعمل في قيادة القوافل، يتعلم من ابن عم زوجته ويمارس تأمله الشخصي في الكهف. استمر على هذا المنوال لمدة أكثر من خمسة عشر عامًا حتى بلوغه الأربعين (٦١٠ ميلادية) حيث مر بتجربة أرعبته وتركت في نفسه الأثر العميق. فخلال شهر رمضان، وبينما كان محمد يتأمل كعادته في غار حراء، وكما ادعى بعد ذلك بأن «الحق قد نزل عليه»، فقد ظهر الملاك جبريل له وقال:

«إقرأ»! فأجاب محمد:

«لست بقارئ».

فأمسكه الملاك وضغطه بقوة حتى لم يستطع محمد أن يتحمل فقال الملاك آمرًا:

«إقرأ»!

فأجاب محمد:

«لست بقارئ».

فضغط عليه ثانيةً ومن ثم تركه قائلًا له ما سيقرأ:

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ».

وكانت هذه هي آيات القرآن الأولى التي نزلت عليه، والمكتوبة في السورة (٩٦: ١–٣).

فكيف استجاب محمد لهذه التجربة؟ قال بأن قلبه بدأ يخفق بشدة أو كان قلبه يرتجف وكانت عضلات عنقه ترتجف من الرعب، فهب مسرعًا إلى زوجته وهو يصرخ قائلًا «دثريني... دثريني» فغطته إلى أن ذهب عنه الخوف، عندها أخبر زوجته قائلًا:

«يا خديجة ماذا حدث لي؟ ماذا جرى لي؟ أنا خائف على نفسي» وأخبرها بكل ماحدث له في الغار فأدركت زوجته أنها تحتاج إلى نصيحة.

قس مسيحي يؤيد وحي محمد

هنا نرى ابن عم خديجة يعود إلى الصورة ثانية، فخديجة ذهبت إليه وأعلمته بما جرى لمحمد. وكان ابن عمها قد أصبح شيخًا وفقد بصره. فأجاب ورقة:

«قدوس، قدوس، قدوس – والذي نفسي بيده، أقسم يا خديجة بأن هذه هي العلامة العظيمة التي جاءت إلى موسى، ومحمد هو النبي لهذا الشعب العربي. تجلدي واصبري».

عادت خديجة إلى محمد وأخبرته بما قال ورقة. وفي الغد التقى محمد بورقة في الكعبة وأقسم له ورقة مجددًا:

«والذي نفسي بيده أنت هو نبي هذه الأمة، وقد أتتك الإشارة العظيمة من الله والتي جاءت إلى موسى في الماضي.

سيرفضك الناس ويضطهدونك ويطردونك من مدينتك وإن بقيتُ حيًا سأدافع عنك بشكل لا يعرفه إلا الله وحده.»

وأحنى رأسه لمحمد وقبَّل محمدًا على وجهه وعاد محمد بعدها إلى البيت. وعلى الرغم من أن ورقة كان قد وعد بنصرة محمد غير أنه لم يتمكن من الوفاء بوعده، حيث وافته المنية بعدها ببضعة أيام.

من كل ما تقدم نرى أن موقف محمد من تجربة الكهف هو موقف غير المتأكد من أهميتها. أما زوجته وابن عمها فكلاهما أيدا فكرة كونه قد اختير كنبي للإله الحقيقي. لنر الآن ماذا حدث عندما قدم يسوع نفسه كنبي.

يسوع ويوحنا المعمدان

كان يسوع ويوحنا المعمدان مرتبطين من قبل ولادتهما. فعندما حبلت أم يسوع به، ذهبت لزيارة ابنة خالتها (أم يوحنا) للكلام معها بخصوص ما قد حدث لها (لوقا ١: ٣٩–٤٥).

وعندما كان يسوع ويوحنا كلاهما في بداية الثلاثين من عمرهما، كان يوحنا هو الأول الذي بدأ بدعوته، حيث خرج إلى صحراء اليهودية وبدأ التبشير بضرورة توبة الناس عن خطاياهم والرجوع عنها. فجاء الكثيرون من أورشليم واليهودية لمشاهدته. وعند اعترافهم بخطاياهم قام بتعميدهم في نهر الأردن.

ظن الشعب اليهودي أن يوحنا قد يكون هو المسيح الذي ينتظرونه، لذا فقد أخبرهم يوحنا:

«قَالَ يُوحَنَّا لِلْجَمِيعِ:

> «أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ وَلَكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ.»
>
> (لوقا ٣: ١٦)

ثم ترك يسوع الناصرة وجاء إلى حيث كان يُعمد يوحنا. ويذكر الإنجيل:

وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلًا عَلَيْهِ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!».

مرقس (١: ١٠–١١)

ومنذ ذلك الوقت اعترف يوحنا بأن يسوع هو النبي (المسيح) الذي قالت عنه الكتب. ثم أعطى يوحنا هذه الشهادة:

وَشَهِدَ يُوحَنَّا قائلًا:

«إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابن اللهِ.»

(يوحنا ١: ٣٢–٣٤)

استمر يوحنا بالتبشير والتعميد، ولكن الناس بدأوا ينصرفون عنه ويذهبون إلى يسوع، وعندما تذمر أحد تلاميذه بسبب ذلك، قال يوحنا له:

«أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَنِّي قُلْتُ: لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ بَلْ إِنِّي مُرْسَلٌ أَمَامَهُ. مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحًا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذًا فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ. يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ.»

يوحنا ٣: ٢٨–٣٠

رسالة يوحنا للغفران لم تتوقف عند الناس العاديين. فقد انتقد الملك هيرودس علنًا لاقترانه بزوجة أخيه. ونتيجة لذلك ألقى هيرودس القبض على يوحنا ورماه في السجن، وأخيرًا أمر بقطع رأسه. (مرقس ٦: ١٤–٢٩)

وهنا فأننا نرى بعض التشابه الملفت للنظر، فكلاهما كانا قد اعْتُرِفَ بهما كنبيّين من قِبَلِ أبناءِ عمومتهما وكلٌّ من أبناء عمومتهما توفّي بعد ذلك بوقت قصير.

توقف في نزول الوحي

إبان وفاة ورقة بن نوفل، حدث توقف في نزول الوحي على محمد، حيث لم يعد يزوره الملاك جبريل. وقد تحدث محمد عن ذلك لاحقًا بقوله:

«بأنه وبسبب ذلك أصبح حزينًا وكانت تراوده فكرة الانتحار برمي نفسه من قمة الجبل، وكان كل مرة يذهب إلى قمة أحد الجبال ليفعل ذلك، يظهر الملاك جبريل أمامه ليثنيه عن عزمه بقوله «يا محمد، أنت حقًا رسول الحق»، فيهدأ باله ويطيب خاطره فيكر عائدًا إلى البيت.»

كان محمد يقضي شهرًا واحدًا من كل سنة في غار حراء ناشدًا المزيد من الوحي، ثم يأتي إلى الوادي، وبينما كان سائرًا ذكر محمد أنه سمع وكأن شخصًا يهتف بندائه:

«نظرتُ أمامي وخلفي، وتلفتُّ إلى يميني وإلى يساري فلم أرَ أحدًا فأكملت المسير، غير اني دُعيت ثانية فنظرت حولي ثانية فلم أرَ أحدًا، فدعيت مرة أخرى فرفعت

> هذه المرة رأسي وإذ به (يقصد جبريل) على العرش في السماء المفتوحة جالسًا، فبدأتُ أرتعش من الخوف حتى جِئتُ إلى خديجة وقلت لها: دثريني، وسكبوا ماءً عليَّ وغطوني، والله العلي المجيد أنزل هذا: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ».

هذه الآيات مذكورة في القرآن في سورة ٧٤: ١–٥. بعد أن حدث ما حدث بدأ الوحي بالنزول على محمد بصورة أقوى من ذي قبل وبتكرارٍ لا انقطاع له، فيمكن لهذه التجربة أن تعتبر أول اختبار لمحمد كنبي. كذلك فإن يسوع جرب الاختبار مباشرة بعد أن قدمه يوحنا المعمدان كنبي ودعاه «حمل الله». والآن حان الوقت لنلقي نظرة على ذلك.

تجربة يسوع في البرية

بعد أن عُمِّدَ يسوع من قِبَلِ يوحنا المعمدان في الأردن، ذهب إلى البرية وصام أربعين يومًا وأربعين ليلة وفي نهايتها، يقول إنجيل متى، بأن الشيطان حاول إغواءَهُ ثلاث مرات:

> فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابن اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا». فَأَجَابَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابن اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ». ثُمَّ

أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ٱذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ».
(متى ٤: ٣–١٠)

«وَبَعْدَ مَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإنجيل».
(مرقس ١: ١٤–١٥)

هنا نستطيع أن نرى بأن يسوع كانٍ واثقًا من غايَتِهِ ومتيقنًا من هويَتِهِ منذ البداية؛ فلم يكن مضطربًا متشككًا في وقت الاختبار، بينما أصبح محمد انتحاريًا عندما توقف عنه نزول الوحي. والآن لنر كيف استجاب الناس للرسالة الجديدة التي جاء بها كل من يسوع ومحمد.



استجابة الناس إلى الرسالتين

محمد: أول ثلاث عشرة سنة في مكة
العمر: ٤٠ إلى ٥٣ عامًا
يسوع: أول سنة أو سنتين من خدمته إلى الوقت الذي أرسل فيه تلاميذه للتبشير من دونه.
العمر: بداية الثلاثينيات

في هذه الفترة من حياتهما، كان كلٌّ من يسوع ومحمد قد أعلنا أنهما قد دُعيا لتقديم رسالة من الله إلى العالم. فإذا نظرنا إلى أيامهما الأولى في التبشير، سنرى تشابهًا مثيرًا للدهشة في رد فعل مدينتهما، متداخلاً مع فروقات مميزة في كيفية رد فعل يسوع ومحمد على ذلك.

بدايات محمد الهادئة

كانت خديجة، زوجة محمد، أول من جاء إلى الإسلام. جاء بعدها ابن عمه علي بن أبي طالب والذي كان يعيش معهما. المتحول المهم الثاني كان عابدًا سابقًا للأصنام واسمه أبو بكر. وكان أبو بكر داعيًا ناجحًا للإسلام حيث حوَّل خمسة وعشرين شخصًا إلى الإسلام، من

ضمنهم رجلٌ يدعى الأرقم*، حيث أصبح لبيت الأرقم أهمية خاصة؛ فقد اتخذه محمد، كما سنرى فيما بعد، مركزًا لنشر رسالته.

أخبر محمد عمه أبا طالب الذي رباه عن تجربته. وعلى الرغم من أن عمه كان قد وعد محمدًا بحمايته غير أنه لم يقتنع بتعاليمه.

فماذا كانت تعاليم محمد في هذا الوقت؟ كان قد أخبر عمه أنه، لكي يصبح مسلمًا، وجب عليه أن يشهد بأنه ليس هناك إله إلاَّ الله وحده ولا شريك له وأن ينكر اللات والعزى وأن يتخلى عن مبدأ الثأر. وذكر محمد أيضًا بأن جبريل علّمه طريقة خاصة للصلاة، علَّمها لأتباعه لاحقًا. وكان محمد يضيف إرشادات جديدة يجب أن تُتبَع لكي يكون المرء مسلمًا.

في البدء، كان محمد والمسلمون لا يظهرون أنفسهم كثيرًا، فكانوا يذهبون إلى وديان الصحراء خارج مكة للصلاة لكي لا يراهم الناس. وقد استمر محمد بنشر دعوته خفية لمدة ثلاث سنوات.

بداية يسوع المثيرة

تعطي بداية قصة يسوع في الإنجيل صورة مختلفة عن بداية خدمة محمد. فبعد أن عُمِّدَ يسوع وخلال عدة أيام فقط كان هناك ما لا يزيد على خمسة رجال يتبعون يسوع أينما ذهب (يوحنا ١: ٣٥–٤٠)، حيث ذهبوا إلى اوروشليم معًا لعيد فصح اليهود (البصخة). وعندما دخلوا باحة الهيكل، قام يسوع بعمل شد انتباه قادة اليهود الدينيين وجعله مركز اهتمامهم لبقية حياته. فعندما رأى يسوع باعة الخراف والبقر والحمام والصيارفة وموائدهم في الهيكل، غَضِبَ جدًا، فقام بصنع سوطٍ من الحبال وساق كلًّا منهم وحيواناته خارج باحة المعبد: «وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ٱرْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا. لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ».» – (يوحنا ٢: ١٦)

* وهو الأرقم ابن الأرقم المخزومي.

ارتاب القادة الدينيون بسلطته، ولكنهم لم يستطعوا أن يوقفوه. فبقي في أورشليم عدة أيام إلى حين حلول عيد الفصح قام خلالها بالعديد من العجائب جعلت الكثيرين يؤمنون به (يوحنا ٢:٢٣). عندها بدأ القادة الدينيون اليهود (الفريسيون) يراقبونه عن كثب. (يوحنا ٤:١)

بدأ يسوع يُعلِّم في معابد اليهود وبدأت «أخباره تنتشر في كل البلاد.... والكل أثنى عليه». (لوقا ٤: ١٤–١٥). بعد أن علَّم في عدة مدن عاد يسوع ليعلم في موطنه الناصرة والتي كانت قرية زراعية صغيرة تضمّ مئتي نسمة.

إذن ماذا كان يسوع يعلِّم في هذا الوقت؟ عندما وقف يعلِّم في المعبد في الناصرة، كان قد أُعطي سفر إشعياء، فقرأ على الملأ:

> «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ»..
>
> (لوقا ٤: ١٨–١٩)

«فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ». (لوقا ٤:٢١)

قبل هذا بيومين فقط أخبر يسوع أحد القادة اليهود في أورشليم أنه «هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يوحنا ٣:١٦). إمرأة قرب البئر أخبرت يسوع أنها كانت تبحث عن مسيح اليهود الآتي، فقال لها يسوع «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ». (يوحنا ٤: ٢٦). باختصار، يسوع قال إنه ابن الله الذي يحمل العلاقة الصحيحة مع الله والتي تقود إلى الحياة الأبدية. كانت هذه هي رسالة يسوع ابتداءً من هذه اللحظة وحتى

نهاية حياته. (سوف نقوم بمقارنة رسائل يسوع ومحمد بتفصيلٍ أكثر في الفصل العاشر.)

محمد يرفضه أهل مدينته

نشر محمد رسالته بطريقة سرية لمدة ثلاث سنوات حتى أعلن بأن جبريل تكلم معه آمرًا إياه بأن يُعلن الرسالة على الملأ. وكان آنذاك في الثالثة والأربعين من عمره، فقرر محمد أن يدعو القادة من قبيلة قريش ويجتمع بهم ليخبرهم عن رسالته. هنالك بعض الأشياء التي يجب أن نعرفها عن قريش لندرك دورها القيادي:

١– إن عائلة محمد هي جزء من هذه القبيلة، وفخذها كان يدعى بني هاشم.

٢– هذه العائلة غنمت ثروتها وسطوتها بإدامتها للكعبة، والتي كانت مركز عبادة الأصنام في شبه الجزيرة.

لذا، عندما أخبرهم محمد برسالته استاءوا استياءً شديدًا وقالوا لعم محمد «يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سفه آلهتنا واستهان بديانتنا وسَخرَ بطريقة حياتنا واتهم آباءنا بالخطأ، فإما أن توقفه عند حده أو تدعنا ننال منه».

ولأن محمدًا كان محميًا من قبل عمه أبي طالب، لم يتمكن أهل مكة من قتله، فبدأوا يضايقونه. فعلى سبيل المثال، بالإضافة إلى تحذيرهم لزوار مكة منه ونصحهم هؤلاء الزوار بغض النظر عنه، فقد اعترضوه وأهانوه عندما كان يدور ويتجول في الكعبة.

أما المتحولون إلى الإسلام فكانوا في خطرٍ أشد مما كان فيه محمد نفسه، حيث وضعت قريش ضغطًا شديدًا على المتحولين لتجبرهم على ترك إيمانهم. وإذا كان المتحول شخصًا ذا مركزٍ مرموق في المجتمع بدأوا بالسخرية منه. وإذا كان تاجرًا هددوه بالمقاطعة

التجارية. أما إذا كان من الطبقة الفقيرة فكانوا ينهالون عليه بالضرب المبرح.

كان معظم المتحولين إلى الإسلام من الطبقة الفقيرة أو من العبيد. ولكن على الرغم من ذلك وبمرور الوقت تبع اثنان من الرجال الأشداء محمدًا، وهما عمر وحمزة (أحد أعمام محمد). هذان الرجلان كانا من المغامرين الأشداء وهو ما أخاف قريشًا، فقررت أن تقاطعهما وتقاطع كل عائلة بني هاشم بهدف إضعاف المسلمين. فوقَّعت على اتفاقية مقاطعة تنص على أن الباقي من رجال عشيرة قريش لن يتزوج نساء بني هاشم ولن يعطوا نساءهم لهم بالزواج، وأيضًا عليهم ألا يتاجروا معهم بالبيع ولا بالشراء.

وكان على رأس خطة المقاطعة هذه شخص يدعى أبا لهب، وهو أحد أعمام محمد. وقد ذهب إلى السوق وقال: «يا تجار، إرفعوا أسعاركم عاليًا لكي لا تستطيع جماعة محمد أن تشتري أي شيء منكم، وإذا كان فيكم من كان خائفًا من فقدان تجارة أو فساد بضاعته فإن لدي من المال ما يكفي لتعويضه عن كل خسارة تنوبه من جراء ذلك».

وقد ذكر محمد أنه تلقى آيات من الملاك جبريل يتبرأ بها من هذا الرجل (سورة١١١).

ترك محمد وأتباعه المدينة بعد ذلك بفترة وجيزة وذهبوا ليعيشوا في وادي الصحراء القريب منها. بدأ اليأس يدب في قلوبهم. فعندما ذهب أحد المسلمين إلى المدينة ليشتري طعامًا لعائلته، طُلب منه ضعف وضعفان وثلاثة وحتى أربعة أضعاف السعر العادي للسلعة. وحيث إنه لم يستطع أن يدفع لذا فقد عاد إلى أهله بخفَّي حنين. ويذكر التاريخ الإسلامي بأن جماعة محمد كان قد بلغ بهم الجوع مبلغه إلى درجة أنهم كانوا يأكلون أوراق الأشجار وروث الحيوانات، وقد عُرِفَ هذا العام بعام المجاعة.

تصور محمدًا وزوجته خديجة مشردين في الصحراء وليس بقدرتهما أن يشتريا أي طعام. ويحتمل أنه كان معهما أيضًا بعض الأطفال الصغار، فعاشوا على بعض المؤونة التي زودهم بها بعض الأصدقاء والمتعاطفين. وخلال كل هذا كان محمد يتكلم عن الوحي من الملاك جبريل. هذه الآيات جُمعت وأصبحت الكتاب الذي يعرف الآن بالقرآن، وتضمنت هذه الآيات القرآنية الكثير من الهجاء للناس الذين عادوه واضطهدوه.

يسوع يرفضه أهل مدينته وأحبار اليهود

رأينا كيف رُفض محمد في مدينته، والآن لننظر إلى الناصرة، القرية الصغيرة التي ترعرع فيها المسيح. رأيتَ في الفصول السابقة عزيزي القارئ، كيف وقف يسوع في المعبد في الناصرة ليقرأ التوراة. والآن لنر كيف كان رد فعل أهالي الناصرة.

استمر يسوع بالتعليم بعد أن قرأ مقطعًا من سفر إشعياء. فتكلم عن رغبة الناس في مدينته الناصرة أن يصنع لهم العجائب كما فعل في كفرناحوم. وَقَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ. وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا وَلَمْ يُرْسَلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلاَّ إِلَى أَرْمَلَةٍ إِلَى صِرْفَةِ صَيْدَاءَ. وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ». فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هَذَا فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلُ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.

(لوقا ٤: ٢٤– ٣٠)

بالإضافة إلى مدينته فقد رُفِضَ يسوع في مدن ومجاميع أخرى أيضًا. وعلى الرغم من قيام يسوع بعدة عجائب في مدن الجليل، رَفض أهل تلك المدن رسالة يسوع (كفرناحوم في متى ١١:٢٣وكورازين وبيت صيدا في لوقا ١٠: ١٣). كانت رسالة يسوع هجومية تجاه أحبار اليهود على وجه الخصوص، بالضبط كما كانت رسالة محمد هجومية بالنسبة إلى قادة عبدة الأصنام في مكة.

كان قادة الدين في زمن يسوع يحاولون قتله أيضًا، ولكنهم سلكوا مسلكًا آخر غير الذي سلكته قريش في مكة. فبدلًا من قتل يسوع مباشرةً بحثوا عن طريقة لجره لمخالفة الشريعة، عندها يستطيعون محاكمته وقتله «بموجب القانون». فعلى سبيل المثال، إذا وُجِدَ مدانًا بجريمة الكفر، فإن القانون اليهودي ينص على الحكم عليه بالقتل. وإذا ارتكب جريمة الخيانة العظمى ضد الحكومة الرومانية عندها أيضًا سيحكم عليه بالقتل. (متى ٢٢:١٥).

في مواجهة هذا الرفض كان أسلوب يسوع هو أن يقول ما هو بصدده ويمضي في حال سبيله (لوقا ٩: ٥١–٥٩)، وكلما تقدمنا في حياة كل من يسوع ومحمد سنرى أن رد فعل محمد كان يختلف كليًا عن رد فعل يسوع. لنر الآن كيف تخلص محمد من المقاطعة التي فرضتها عليه قبيلته.

إلغاء المقاطعة ومحمد ينشد الحماية

قرر قادة قريش التراجع عن المقاطعة وإلغائها بعد سنتين أو ثلاث سنوات من بدايتها ومن دون أي تدخل مباشر من محمد. فقد كان قرارهم من منطلق أنه من الخطأ أن يعاملوا أبناء عمومتهم بهذه الطريقة القاسية، وقرروا تمزيق صحيفة الاتفاقية. عاد محمد ورجاله إلى مكة واستمروا بممارسة الإسلام غير أنه كان ما زال هناك نوع

من الاضطهاد ضدهم. فقد قدم محمد رسالته إلى الناس عن طريق إخبارهم بأنه يجب أن يقبلوا محمدًا على أنه نبي الله. وكان يستشهد بآياتٍ من القرآن لدعم ذلك. وعندما كان الناس يطالبونه بعلامة كان يجيبهم:

«القرآن هو العلامة لكم» وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

(سورة ٢٩: ٥٠–٥١)

أما أحداث السنوات التي تلت، فقد أظهرت أن محمدًا كان يخطط لاستراتيجية جديدة ويعمل على تطويرها لحماية نفسه أولًا ومن ثم ترسيخ الإسلام.

خلال فترة السنتين التاليتين فَقَدَ محمد اثنين من المقربين إليه واللذين لعبا دورًا مهمًا في حياته. أولهما كان عمه أبا طالب الذي حماه ودافع عنه، وثانيهما كان زوجته خديجة التي ساندته ووفرت له كل ما يحتاج إليه من الدعم المادي والدعم المعنوي. يعلمنا التاريخ الإسلامي بأن قريشًا بدأت تعامل محمدًا الذي كان يبلغ الخمسين من عمره آنذاك (عام ٦٢٠ ميلادية)، بطريقةٍ أشد عدوانية من ذي قبل. فهناك قصة الصبيّ الذي رشقه بالتراب على رأسه مرةً، ولكن ما عدا ذلك فإنه لم يتعرض لأي اعتداء جسدي كالضرب أو محاولات التصفية الجسدية أو أي شيء من هذا القبيل. غير أننا نستطيع القول بأن محمدًا كان بالتأكيد قد شعر أنه مُهدد وأن حياته في خطر، لأنه طفقَ يبحث عن أناس يتعاونون معه أو قبائل تحميه؛ حتى أتباعه كانوا يبحثون عمن يحميهم أيضًا. ويعلمنا التاريخ الإسلامي بأنه سافر خارج مكة وقصد

أهل ثقيف ومضارب الكندة ومضارب كلب غير أن جميعهم رفضوا حمايته وردوه خائبًا.

عندما جاء قادة القبائل لزيارة مكة اجتمع بهم محمد. وكان يقول لهم إنه نبي ويطلب منهم «أن يؤمنوا به وأن يحموه إلى أن يوضِّح الله لهم الرسالة التي جعلها لنبيه».

لم تؤتِ هذه المحاولات ثمارها وباءت جهوده بالفشل عدا بعض الأشخاص من الطبقة الفقيرة، إلى أن وجد فرصته أخيرًا في الصراع المزمن الدائر بين اثنتين من أكبر قبائل العرب في المدينة ألا وهما الأوس والخزرج. فهاتان القبيلتان جاءتا إلى الكعبة في مكة للحج السنوي ولعبادة أوثانهما. وبعد أن انتهتا من مراسم عبادة أصنامهم جاء بعض من ينوب عنهما في الليل إلى محمد فقال لهم: «أنا أرحب بمحالفتكم شرط أن تحموني كما تحمون نساءكم وأولادكم». فأجابه أحد القادة قائلًا:

> «وحق الذي أرسلك بالحق سندافع عنك كما ندافع عن عوائلنا، وقِّعْ هذه الاتفاقية معنا يا رسول الله، أقسم إنَّا لأولاد الحرب، ورثنا هذا من جيل إلى جيل.»

هكذا نرى أناسًا قد خَبِروا الحرب لسنوات طويلة يقدمون الولاء والطاعة لمحمد. كان واضحًا أن محمدًا يفكر بعقد اتفاقية عسكرية مع هذه القبائل، فقد أخبرهم «سأحارب من يحاربكم وأسالم من يسالمكم.»

في هذه النقطة نستطيع أن نرى تشابهًا يثير الاهتمام، فمحمد أخبر الناس الذين التقى بهم، «أجلبوا لي اثني عشر؟؟ قائدًا والذين سيكونون المسؤولين عن إدارة شؤون أهلهم». فرشحوا تسعة أشخاص من إحدى القبيلتين وثلاثة من الأخرى، فاختار محمد اثني عشر شخصًا مهمًا ليعملوا معه، كما دعا يسوع اثني عشر تلميذًا ليسيروا معه.

في هذا الوقت كان محمد قد أمضى ثلاثة عشر عامًا في نشر الإسلام. والآن حان الوقت ليبدأ بالتخطيط لتغيرات جذرية.

لنقارن هذه الصورة من حياة محمد مع الصورة التي قدم بها يسوع رسالته.

يسوع يعتمد على التبشير والشفاء

قدمنا خلال ما مضى من هذا الكتاب القسم الأول من حياة محمد كنبي، أما الآن فسنركز على الفترة الأولى من خدمة يسوع، وهي السنتان الأوليان؟؟ اللتان أمضاهما في تعليم الجموع والعمل مع تلاميذه قبل أن يرسلهم للخدمة.

فكيف عرض يسوع رسالته؟ عرضها بالتنقل والذهاب من مدينة إلى أخرى بين مدن الجليل واليهودية وعَلَّمَ فيها. وكيف نجح في إقناع الناس برسالته والإيمان به؟ آمنوا به بعد أن شاهدوا بأم أعينهم ما صنعه من عجائب خارقة، وشفاءه المرضى، وإخراجه الأرواح الشريرة. فعلى سبيل المثال، في البدايات المبكرة لخدمته، أخرج روحًا شريرة من الرجل الذي قاطع حديثه في هيكل كفرناحوم (لوقا **٤: ٣٣)**. ثم عاد يسوع إلى بيت بطرس وشفى حماته التي كانت مصابة بحمى شديدة، وعند حلول المساء تجمع حشد غفير من الناس أمام بيت بطرس وقد جاءوا إلى يسوع بكل الأشخاص المصابين بمختلف الأمراض والعلل، وشفاهم يسوع «فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ.» **(لوقا ٤: ٤٠)**

هذا النوع من الممارسات أكسبه تجاوبًا مشجعًا من الناس أينما ذهب وأينما حلَّ، فتهافت الجموع عليه يحملون إليه «جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ فَشَفَاهُمْ.» **(متى ٤: ٢٤)**

وكان الرجل الذي شفاه يسوع من البرص يروي ما حدث له وينشره في كل مكان، حتى إن يسوع لم يستطعْ أن يدخل علانية إلى أية مدينة بسبب الجموع، بل كان يبقى خارجًا في أماكن «منزوية» ومع ذلك كانت الجموع تأتي إليه هناك. (مرقس ١: ٤٥)

بعد معجزة إطعام الجموع، بدأ الناس بالقول «من المؤكد أن هذا هو النبي الآتي إلى العالم.» كانوا متحمسين لفكرةِ «جعله ملكًا بالقوة» فتركهم يسوع وذهب وحده إلى التلال ليصلي. (يوحنا ٦: ١٤–١٥).

كذلك أصبح يُعْرَف بطريقته في التعليم، حيث يقول متى: «بُهِتَتِ الْجُمُوعُ مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ» (متى ٧: ٢٨ – ٢٩ انظر أيضًا لوقا ٤: ٢٢ ومتى ١٣: ٥٤).

كان يسوع عادة يُعَلِمُ الجموع باستخدام قصصٍ من واقعهم ذات وقع ومغزى روحيين (متى ١٣: ٣٤)؛ فعلى سبيل المثال، ولتعليمهم عن المسامحة، أخبرهم يسوع قصة الخادم الذي سامحه سيده وعليه دين كبير(متى ١٨: ٢١).

قرب نهاية السنة الأولى اختار يسوع اثني عشر رجلًا من بين الرجال الذين كانوا معه يتبعونه. (متى ١٠: ١–٤ ومرقس ٣: ١٣–١٩ ولوقا ٦: ١٢– ١٦) أصبح هؤلاء الاثنا عشر من أتباعه من المقربين إليه، حيث قام يسوع بعدها بتعليمهم وتهيئتهم لكيفية قيامهم بنشر البشارة.

وعلى الغرار نفسه بدأ محمد أيضًا بالعمل مع القادة الاثني عشر الجدد للتحضير لنشر الإسلام في الجزيرة. والآن عزيزي القارئ دعنا نرى ماذا فعل كلٌّ منهما وكيف قام بنشر رسالته!



نشر الرسالة

محمد: السنوات السبع الأولى في المدينة
العمر: ٥٣ إلى ٦٠
يسوع: آخر سنتين من خدمته حتى رحلته الأخيرة إلى أورشليم
العمر: ٣٤ إلى ٣٥

مارس يسوع خدمته على النمط نفسه من البداية إلى النهاية. أمَّا محمد فقد كانت هناك حادثة مميزة في حياته أحدثت تغييرًا جذريًا في نمط نشر رسالته، وهذه الحادثة كانت تَرِكِهِ مكّة إلى المدينة وعُرفت هذه الحادثة بالهجرة. في هذا الفصل سنرى ما الذي حدث بعد حركة محمد هذه وكيف خطط مع قواده الاثني عشر لنشر الإسلام. كذلك سنرى كيف عَمِلَ يسوع مع تلاميذه الاثني عشر لنشر البشارة.

سننظر أيضًا إلى المؤامرات التي حيكَتْ ضدهما والمعارضة التي واجهاها من اليهود وقادة الدين آنذاك.

جيش محمد ينشر الإسلام

في الفصل السابق تركنا محمدًا بعد أن أكمَل معاهدته مع أقوى قبيلتين في المدينة. عندها بدأ بإرسال أتباعه في جماعات صغيرة من مكة ليعيشوا في المدينة. وقد استغرق هذا الأمر عدة أشهر.

محمد يبكي على مكة

وأخيرًا عندما أصبح محمد مستعدًا للهجرة من مكة إلى المدينة، ارتقى قمة أحد الجبال التي تشرف على مكة وقال: «يا مكة، والله إني أعلم أنك أحب البلاد إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت.» أي أن محمدًا كان يقول كم أحب مكة! عزيزي القارئ تذكر كلمات محمد هذه لأننا سنُعيدُ ذكرها عندما يَعودُ إلى مكة بعد ثماني سنوات.

وأخيرًا غادر محمد مكة ليلًا قاصدًا المدينة برفقة أحد أخلص أتباعه، أبي بكر ووصلوها سالمين. وتُعْرفُ هذه الحادثة بالهجرة الثانية. وتؤرخ الأحداث في التقويم الإسلامي استنادًا إلى تاريخ الهجرة أو (هـ) اختصارًا، أي أن تاريخًا مثل (٥ هـ) يعني في العام الخامس بعد أن هاجر محمد إلى المدينة. لذا وبعد سنوات من طلب الحماية، أصبح محمد الآن في موقع القوة فيا ترى ماذا سيكون موقفه الآن؟ وماذا سيفعل؟

إذنٌ بالحرب

كان محمد قد قضى في مكة ثلاثة عشر عامًا متعاونًا ومتسامحًا بعيدًا عن العنف، يسامح المسيئين إليه باستمرار دون المطالبة بالثأر. ولكن بعد وصوله إلى المدينة تحول هذا الحمل الوديع إلى أسدٍ ضار؛ فقبيل انتهاء عامه الأول في المدينة أعلن محمد بأن الله قد أذن له بالقتال. وعن هذا يحدثنا التاريخ الإسلامي:

> ثم استعد الرسول للحرب تنفيذًا لأمر الله لمحاربة أعدائه ولمحاربة المشركين الذين كانوا بمتناول الأيدي والذين أمره الله بقتالهم، وكان هذا بعد بداية الدعوة بثلاث عشرة سنة.

قاد محمد خلال السنين الأولى في المدينة، عدة غزوات بنفسه وكذلك أرسل أقاربه والمقربين إليه من أتباعه إلى غزوات أخرى. وقد شَملَ هذا عمه حمزة مع ثلاثين من جنوده للإغارة على قافلة من مكة. كذلك أرسل ابن عمه لمهاجمة بعض أفراد قبيلة قريش عند ترحالهم خارج مكة. لم يُنَظِّمْ أهل مكة أي هجوم كبير على محمد بعد خروجه من مكة. ولكن على الرغم من ذلك فإن محمدًا أمر بالإغارة على قافلة كبيرة في طريق عودتها إلى مكة من رحلة قامت بها إلى سورية. وكانت هذه نقطة تحول جذري في تاريخ الإسلام.

لم يكن هذا الهجوم ذا مردودات اقتصادية فحسب بل كان هجومًا على مقومات الحياة الأساسية بالنسبة إلى أهل مكة؛ فالقوافل كانت ترحل مرتين في السنة جالبة معها ما يحتاج إليه أهل مكة من الطعام والملبس والسكر والملح والسلع الأخرى. فمكة القريبة من الصحراء لم يكن لأهلها أن ينتجوا ما يكفي لاستهلاكهم المحلي. لذا فقد كان كل اعتمادهم على التجارة والمقايضة. فإذا كان محمد قد نجح في هجماته هذه، فهذا يعني أن مكة قد عانت الأمرَّين من النقص في المواد التموينية والذي جاء كنتيجة حتمية لهذه الهجمات.

وحدث أن أبا سفيان الذي كان قائدًا لإحدى هذه القوافل عَلِمَ بما يُخطِط له محمد، فاتّبع طريقًا آخر ليتجنب الاشتباك معه وبذلك أنقذ قافلته من الغارة. (تذكّر عزيزي القارئ اسم هذا الرجل فسيكون له دورٌ مشهودٌ في قصة محمد). وعلى الرغم من نجاة القافلة، فإن أهل مكة قرروا أن يعاقبوا محمدًا على ما كان ينوي فعله، فخرجوا لمقاتلته والتقى الجيشان في وادي بدر بعد أن خرج عليهم محمد بثلاث مئة مقاتل فقط. ولكن رجال محمد أحرزوا نصرًا غير متوقع فقَتلوا وأسَروا الكثيرين من المكيين (معركة بدر سنة ٦٢٤ هجرية)، مما جعله أقوى قواد الجزيرة وأشهرهم وذاع صيته. ولكن على الرغم من ذلك كله فإن مدينة مكة بقيت تحت سيطرة قريش في ذلك الوقت.

وبمعركة بدر دخلت الحرب المقدسة مرحلةً جديدة، حيث قال محمد بأن جبريل جاءه بوحي جديد عن كيفية التعامل مع هذا النجاح. وهذه هي السورة الثامنة في القرآن والمسماة بسورة الأنفال (وتعني غنائم الحرب). وسنتحدث في هذا الفصل عن معركة بدر وسنعرض بعض الوصايا العملية. لننظر الآن إلى أربع نقاط أساسية:

١. أبلغ الوحي المسلمين كيفية تقسيم الغنائم التي كسبوها من الجيش المنكسر.

«وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ»
(سورة ٨: ٤١)

أي أن محمدًا كان يأخذ ٢٠٪ (من ضمنها الجزء الذي سيوزعه على المحتاجين) وال٨٠ ٪ الباقية كانت تقسم على مَن قاتل معه. كان هذا أمرًا لا بأس به عندما كان جيشه مكوّنًا من ٣٠٠ مقاتل. ولكن عندما بلغ عددهم عشرات الآلاف من الرجال فالمسألة تختلف. فجيشٌ بهذا الحجم تصبح حصة كل مقاتل فيه أقل من ٠,٠٠٨٪ مقارنة بـ٢٠٪، مما سبب الكثير من الامتعاض بين المقاتلين.

٢. أمر الوحي المسلمين بالاستمرار في قتال كل من يرفض الإسلام:

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»
(سورة ٨: ٣٩)

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ

أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ»
(سورة ٨: ٦٥)

فكانت أفضل طريقة يَسْلَمُ بها غير المسلم من جيش محمد هي قبول الإسلام، شاء أم أبى:

«قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ»
(سورة ٨: ٣٨)

٣. نزل الوحي على محمد بالتحضير لمهامّ مستقبلية.

«وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ»
(سورة ٨: ٦٠)

٤. وأمرهم الوحي بأن يقاتلوا بشدة.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»
(سورة ٨: ٤٥)

أدرك محمد أن غزواته كانت لنشر الإسلام خلال الحرب المقدسة لذلك فقد أعطى أتباعه الصلاحية الكاملة لمهاجمة غير المسلمين وقتلهم وسلب ممتلكاتهم.

مكة تحاول أن تُوقِف محمد

أحست كل الجزيرة بالتهديد الذي يشكله محمد عليهم، لذا ففي السنة الخامسة للهجرة، انضم بعض عبدة الأوثان من مكة إلى بعض

يهود المدينة لمهاجمة محمد. فقام المسلمون بحفر خندقٍ حول المدينة ونجحوا في تثبيط عزائم المكيين الذين تراجعوا من دون مقاومة تُذْكَر. وقد عُرفت هذه المعركة بمعركة الخندق. وكان لمعركة الخندق أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي فلو كان لمحمد أن يخسر هذه المعركة لكان مستقبل الإسلام على كف عفريت.

استمر محمد بنشر الإسلام عن طريق قوته العسكرية وقد قام بما مجموعه ثمانٍ وثلاثون من الغزوات والحملات في الفترة التي كان يعيش فيها في المدينة. وقد رافق محمد المقاتلين شخصيًا خلال سبع وعشرين من هذه المعارك وفي تسعٍ منها قاتل مع المقاتلين جنبًا إلى جنب.

استمر محمد بالإبلاغ بالوحي المُنزَل عليه من الملاك جبريل طوال هذا الوقت. وكل هذه الآيات كانت تضاف إلى القرآن كالسابق غير أن الآيات الجديدة كانت تدعو إلى نشر الإسلام عن طريق استخدام القوة العسكرية.

والآن دعنا عزيزي القارئ نعود إلى يسوع قرب نهاية حياته، لنرى ما الذي أوصى به تلاميذه من أجل نشر رسالته وكيف فعل ذلك.

يسوع يرسل تلاميذه لنشر الإنجيل

لم يغير يسوع رسالته أو أسلوب نشرها كما فعل محمد من قبل (والذي تغير أسلوبه كثيرًا بعد أن هاجر من مكة إلى المدينة). فبعد أن بدأ يسوع السنة الثالثة من خدمته، استمر يطوف في البلاد ويتحدث في المعابد والأماكن العامة شافيًا المرضى وطاردًا الأرواح الشريرة وصانعًا الكثير من المعجزات. كان عامة الناس منجذبين إليه وإلى تعاليمه، غير أن رؤساء الدين اليهود لم يرق لهم ذلك وأحسوا بأن وجوده كان مصدر تهديد لهم. في هذا الإطار أعطى تعليماته إلى تلاميذه للذهاب من

دونه لنشر الإنجيل. دعا بعدها مجموعة الاثنين والسبعين لعمل الشيء نفسه، فدعنا ننظر وبالتفاصيل إلى وصيته وماذا كان فحواها وماذا كانت إرشاداته لهم.

توصياته لهم بخصوص حلهم وترحالهم

في الوقت الذي أعرضُ لك عزيزي القارئ توصيات يسوع إلى تلاميذه، سأضعُ معها التعليمات التي أعطاها محمد إلى أتباعه من الناحية الأخرى.

١– أعطى محمد أتباعه صلاحية شن الحرب بينما أعطى يسوع تلاميذه نوعًا آخر من الصلاحيات حيث نقرأ في إنجيل متى:

> ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ.
> (متى ١:١٠)

بعد إعطائهم هذه الصلاحية أمرهم يسوع قائلًا:

> ..اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا..
> (متى ١٠: ٨)

٢– أعطى محمد أتباعه تعليمات عن كيفية تقسيم الغنائم التي يسلبونها من غير المؤمنين بينما حذر يسوع تلاميذه من طلب أي مال من الناس أو حتى حمل أي مال معهم، قائلًا:

> .. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا. لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ
> (متى ١٠: ٨–٩)

غير أن يسوع سمح لأتباعه بأن يبقوا في بيوت الناس وأن يأكلوا معهم:

.. وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ آكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ أُجْرَتَهُ.

(لوقا ١٠: ١٠)

٣- كان محمد يأمر المسلمين بمهاجمة المدينة التي ترفض دعوته للإسلام بينما كان يسوع يقول:

وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ.

(متى ١٠: ١٤-١٥)

أي أن يسوع قال إن المدن التي سترفض رسالته سوف يعاقبها الرب يوم القيامة وليس التلاميذ في الوقت الحاضر. وكما فعل هو في حياته، قال يسوع للتلاميذ أن يتركوا ويبتعدوا عن الناس المعارضين لهم.

وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى

(متى ١٠:٢٣)

٤- حث محمد أتباعه على القتال الشديد ضد غير المسلمين، بينما نرى يسوع يقول لتلاميذه:

وَلَكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ

(متى ١٠:١٧-١٨)

اتَّبع التلاميذ توصيات يسوع.

فَخَرَجُوا وَصَارُوا يَكْرِزُونَ أَنْ يَتُوبُوا. وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ.
(مرقس ٦:١٢–١٣)

الخلافات مع اليهود

هناك مؤامرة كبيرة في كلٍّ من قصتي يسوع ومحمد ألا وهي مسألة نزاعهما مع اليهود ورؤساء الدين اليهود. كان كل تعامل محمد مع اليهود قد حدث أثناء وجوده في المدينة لأن مكة لم يكن فيها إلا القليل من اليهود. أما يسوع الذي كان يهوديًا، فقد تعامل مع اليهود طوال حياته، ولكنه عانى الأمرَّين من رؤساء الدين اليهود. والآن لنلقِ نظرة على ما حدث في حياة محمد.

خلاف محمد مع اليهود

كان أكبر تجمع لليهود في الجزيرة موجودًا في المدينة. وبعد أن انتقل إليها محمد بدأ بالتعامل معهم في مختلف أوجه الحياة اليومية، فزار بيوتهم وأكل معهم. كان محمد يأمل أن يدخل اليهود في الإسلام لأنه كان يدعو بأن هناك إلهًا واحدًا فقط كإيمان اليهود تمامًا. غير أن اليهود لم يستجيبوا لدعوة محمد، فقد طلبوا منه أن يريهم آية بأنه النبي، وعن ذلك يذكر القرآن:

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ
(سورة ٢٩:٥٠)

وكان رد محمد بأنه ليس إلا إنسانًا وأن القرآن نفسه هو الآية التي يطلبها الناس.

قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ. أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(سورة ٢٩ :٥٠–٥١)

ظل محمد يناهض اليهود لفترة ثلاث؟؟ سنوات. ثم ووسط استغراب الجميع أمر محمد باغتيال أحد اليهود المعروفين والذي كان قد أَلَّفَ شعرًا يهجوه فيه سنة ٣ للهجرة. وهذا ماحدث. ففي اجتماعٍ له مع أتباعه سأل محمد:

«من سيقتل لي هذا الرجل؟» فتبرع نفر من المسلمين بذلك. وفي ليلة ليلاء طرق بعض هؤلاء باب بيت الرجل ودعوه أن يتمشى معهم، حينها أعطى أحد المسلمين الإشارة المتفق عليها فانهال عليه الآخرون بالسيوف والخناجر طعنًا حتى الموت.

مما لا شك فيه أن موقف محمد من اليهود قد تغير. فهو الآن يأمر المسلمين بالقيام بعمليات الاغتيال ضدهم لأنهم قد رفضوا قبول الإسلام وأصبحوا يشكلون تهديدًا ضده، فبدأ بعملية تصفية منظمة لغرض إقصائهم عن الجزيرة كلها. وكان أول ما فعله في العام الرابع للهجرة أنه غزا ديار بني النضير وأجبرهم على ترك ديارهم بعد أن دمر نخيلهم. وبعد ذلك بسنتين هاجم ديار بني قريضة وقام بمحاصرتهم حتى استسلموا. عندها قام بقتل جميع الرجال وكان عددهم يبلغ ثلاثمئة رجل، ثم أَسَرَ نساءهم وأولادهم وساقهم كعبيد للمسلمين في العام الخامس الهجري. وأخيرًا نجح في إبعاد اليهود من خيبر حيث كانت ديارهم قرب المدينة في العام السابع الهجري. وقد عاش محمد وأهله على ما استولوا عليه من الممتلكات التي غنمها من يهود خيبر.

> روي عن عمر أنه قال: «الممتلكات التي تركها بنو النضير هي التي وهبها الله لرسوله حيث لم تُشنّ أي حملة سواء كانت بالخيل أو بالجِمال. هذه الممتلكات كان مقدرًا لها أن تكون للنبي الورع لكي يَقوت أهله من ريعها وينفق ما تبقى على شراء الخيل والسلاح تمهيدًا للجهاد.»

لم يكن لمحمد أن يقبل النقد من اليهود، ولم يسمح لهم بالعيش في سلام خوفًا من احتمال انضمامهم إلى أعدائه لمحاربته.

مواجهات يسوع مع أحبار اليهود

كان اليهود في أيام يسوع – قبل ولادة محمد بستة قرون – ينتقدون أي تعليم جديد «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهَذَا ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ جِدًّا وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ (لوقا ١١:٥٣).

وبالضبط كما فعلوا مع محمد فاليهود سألوا يسوع عن علامة:

> حِينَئِذٍ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ: «يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». فَقَالَ لَهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ هَكَذَا يَكُونُ ابن الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.
>
> (متى ١٢:٣٨–٤٠)

استعمل يسوع علامة يونان النبي ليقول بأنه سيموت ويبقى في القبر ثلاثة أيام قبل أن يعود إلى الحياة مرة أخرى. ومنح يسوع شفاءه وعجائبه كعلامة بأن لديه قوة إلهية، فعندما كان يسوع يعلم تلاميذه كان يقول لهم:

صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا. (يوحنا ١٤: ١١)

أبدى يسوع غضبًا وانزعاجًا تجاه رؤساء الدين، والإنجيل يذكر كيف كلمهم بشدة ووبخهم عدة مرات. (متى **٢٣**ومرقس **١:٧–٢٣** ويوحنا **٤٢:٨–٥٩**). وأيضًا استعملَ الأمثال ضدهم لاستيائه من أفعالهم (متى ٢١:٢٨–٤٦ و٢٢:١–١٤) ولكن على الرغم من ذلك فإنه لم يحاول أن يسبب أي معاناة جسدية أو أن يصيبهم بأي أذى.

والآن وقد رأينا ماذا فعل يسوع ومحمد في حياتهما العامة خلال النصف الثاني من خدمتهما، دعونا نلقي نظرة سريعة على حياتهما الشخصية.

حياتهما الشخصية

بعد هجرة محمد إلى المدينة تغيرت حياته الشخصية كثيرًا. فبينما كان في مكة، ظل على زواجه من امرأة واحدة وهي خديجة بنت خويلد الأسدي. وخلال سنته الأولى في المدينة وقَّع محمد عقدًا مع عائشة بنت أقرب أتباعه الموالين له، أبي بكر. وهذا لم يكن بالشيء الغريب وقتئذٍ إلا أن الفتاة كانت في السادسة من عمرها فقط. ويذكر التاريخ الإسلامي بأن النبي ضاجعها عندما بلغت التاسعة من عمرها، غير أن هذا التصرف لم يكن عاديًا حتى في أعراف المجتمع العربي آنذاك. وبقيت عائشة متزوجة منه حتى مماته وبلوغها الثامنة عشرة من عمرها، على الرغم من أن محمدًا تزوج عليها إحدى عشرة امرأة خلال سنواته في المدينة.

لم يكن التوفيق بين زوجاته العديدات بالمسألة الهينة حيث تطلب ذلك الكثير من جهوده. (وسأتكلم عن تأثير زوجاته بشيء من التفصيل في الفصل ١٦).

وعلى النقيض من ذلك فلا يوجد أي دليل على أن يسوع قد تزوج أبدًا. فقد أمضى جلَّ وقته مع تلاميذِه وبالأخص ثلاثة منهم وهم بطرس ويعقوب ويوحنا (متى ١:١٧ ومرقس ٣٧:٥ و٣٣:١٤). وقد أبقى على علاقته مع أمه وكان له علاقة حميمة مع عائلة اليعازر. اليعازر الذي أقامه من بين الأموات... المترجم. كانت هناك أيضًا مجموعة صغيرة من النساء يسافرن معه ويساعدنه وتلاميذه. (للمزيد من المعلومات أنظر الفصل ١٦).

خاتمة

نقترب الآن من ختام حياة الاثنين يسوع ومحمد. وفي الفصل التالي من هذا الكتاب سننظر إلى آخر ثلاث سنوات من حياة محمد (بين ٦١ و**٦٣** من عمره) والأشهر الأخيرة من حياة يسوع (حوالى **٣٢** أو **٣٣** من عمره).



الأيام الأخيرة

محمد: الأيام الأخيرة من حياته – العمر: ٦٠ إلى ٦٣
يسوع: الأشهر الأخيرة – العمر: ٣٢ إلى ٣٣



بينما كانت حياتهما تقترب من نهايتها، كان كلاهما في أوج نفوذه. وسنستعرض في هذا الفصل عزيزي القارئ ما يلي:

- دخولهما دخول المنتصر إلى المدن التي رفضتهما من قبل.
- كلماتهما الأخيرة إلى أتباعهما.
- كيف كانت نهايتهما وكيف انتهى كلٌّ منهما.

محمد يعود إلى مكة

بعد ثماني سنوات من هجرته إلى المدينة، كان محمد قد وصل إلى أوج قوته. (فقد زحف محمد صوب مكة علي رأس عشرة آلاف جندي تحت قيادته وفي الوقت نفسه كان لديه أربعة من قواد الفرق).

قبل ذلك ببضعة سنوات وبينما كان الناس يضايقونه في أسواق مكة، قال محمد «يا أهل مكة فوالذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح» والآن هو مستعد لتنفيذ تهديده وتحقيق وعيده.

تقدم جيش محمد وكانت الصحراء تبدو وكأنها قد تغطت بعباءة سوداء من شدة تزاحم الرجال والخيل. وكانت مكة قد أرسلت جواسيسها وعلى رأسهم أبو سفيان قائد تلك القافلة التي حاول محمد مهاجمتها فور تركه مكة. ثم حدث أن أُسِرَ هذا الرجل وأتوا به إلى محمد. ولإنقاذ حياته دخل الإسلام ولأجل إنقاذ سمعته وحفظًا لماء الوجه قرر محمد أن كل من يدخل بيت أبي سفيان أثناء الهجوم فهو آمن. وأرسله إلى مكة وفي حوزته هذه الرسالة: «كل من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، وكل من أغلق باب بيته على نفسه فهو آمن، وكل من دخل الكعبة فهو آمن.» عندما سمع أهل مكة هذا تفرقوا إلى بيوتهم وإلى الكعبة.

وبينما كان محمد على وشك أن يدخل مكة، دعا الأنصار من مقاتليه وجمعهم ليقول:

«هل ترون جنود قريش هؤلاء؟» وأشار لهم بيده وأصدر أوامره قائلًا «إذهبوا واحصدوهم». معنى ذلك أن محمدًا كان يقول لهم: إفصلوا رؤوسهم عن أجسادهم كما تفصل الفاكهة من فرع الشجرة.

كان غرض محمد في اختيار الأنصار[١] بدلًا من المهاجرين لهذه المهمة هو أن المهاجرين[٢] قد يترددون عندما يصل الأمر إلى قتل أبناء عشيرتهم أو جيرانهم السابقين.

وبينما كان الجنود يدخلون المدينة ممتطين صهوة جيادهم خرجت بعض النسوة في هلع يهاجمن وجوه الخيل بأيديهن متوسلات ملتمسات من الجنود عدم البطش بهن أو بأولادهن. كن ينحن ويبكين جاهدات لدفع الخيل وردها على أعقابها.

---

[١] الأنصار وهم المسلمون من أهل المدينة.

[٢] المهاجرين وهم المسلمون من أهل مكة السابقين.

قد تستطيع أن تتصور عزيزي القارئ مدى الرعب والهلع الذي أصاب أهل مكة. مكة التي لم تُبْدِ أي مقاومة تذكر فأخذها محمد فريسة سهلة وسيطر عليها. وكانت فرقة محمد تحمل رايتها السوداء وقد كتبت عليها كلمة واحدة وهي: العقاب.

محمد يسيطر على الكعبة

امتطى محمد فرسه في تجواله في شوارع مكة حيث لزم كل مكيٍّ داره، فدخل الكعبة وقَبَّل الحجر الأسود وبدأ بالدوران حولها وعند وصوله إلى الصنم القريب من الحجر الأسود قام بفقوء عينيه بالسهم الذي كان يحمله في يده.

بعد انتهائه من صلاة الظهر في اليوم ذاته أمر محمد بأن تُجمع كل الأصنام التي حول الكعبة وأن تُكسر وتُحرق بالنار، فمن الآن فصاعدًا سيقوم المسلمون بالاعتناء بالكعبة ولا أحد غيرهم. إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ (سورة ٩:١٨)

والآن لنر ماذا حدث عندما عاد يسوع إلى أورشليم معقل رؤساء الكهنة ومعلمي التوراة والذين أرادوا قتله.

يسوع يعود إلى أورشليم

خلال الأشهر الأخيرة من السنة الثالثة لخدمته، كان يسوع في أوج شعبيته. غير أنه وفي الوقت نفسه حذّر تلاميذه من أنه عندما يذهب إلى أورشليم سوف يُلقى القبض عليه ويُعذَّب ويُقتل.

> مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أورشليم وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ.

(لوقا ١٣: ٣١–٣٥) و(متى ١٦:٢١)

.....فَحَزِنُوا جِدًّا.

(متى ١٧:٢٣)

وعلى الرغم من اعتراض التلاميذ ومحاولاتهم ليعدل عن قراره، فقد استمر يسوع في طريقه إلى أورشليم لكي يكون هناك في عيد الفصح.

وعندما وصل كان دخوله إليها بطريقة غير متوقعة، حيث طلب من تلاميذه أن يأتوه بجحشٍ ابن أتان ليدخل المدينة ممتطيًا إياه. وكان كلما تقدم في الطريق الذي اصطفت على جانبيه الجموع أخذ بعض الناس يفرشون الأرض بثيابهم وأخذ آخرون يقطعون أغصان الشجر ويفرشون بها الطريق وهم يمجدون الرب حتى ضجت أورشليم كلها. (لوقا ١٩:٢٨–٤٤ ومتى ٢١:١–١١)

يسوع يبكي على أورشليم

وحدث أنه بينما كان يسوع يقترب من أورشليم رآها من بعيد فبكى عليها لأنه كان يعلم ما يَكنُّ لها المستقبل، فرثاها قائلًا:

«إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا حَتَّى فِي يَوْمِكِ هَذَا مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ. وَلَكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ. فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنُوكِ فِيكِ وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ».

(لوقا ١٩:٤١–٤٤)

وانظر (متى ٢٣:٣٧–٣٩) و(لوقا ١٣:٣٤–٣٥)

كل النبوآت التي ذكرها يسوع بخصوص أورشليم تحققت في أقل من أربعين سنة. ففي سنة ٧٠ ميلادية قهرها القائد الروماني تايتس ودمرها وأحرق معبدها وساواه بالأرض.

والآن لدينا يسوع ومحمد في نهاية حياتهما يعودان إلى المدن التي كانت مركزًا للعبادة في حياة أهاليهما. فمحمد عاد إلى مكة كمنتصر وقاهر، بينما وكما سنرى فيما بعد عاد يسوع إلى أورشليم كفادٍ.

وفي القسم الأخير من هذا الفصل سنرى كيف كانت نهاية كلٍّ من هذين القائدين وكيف توفيا وماذا كانت كلماتهما الأخيرة ووصاياهما لأتباعهما.

الجزيرة تستسلم

بعد إخضاع مكة بدأ الناس من مختلف أصقاع الجزيرة والذين لم تُغزَ بلادهم بعدُ، بإرسال مبعوثيهم برسائل إلى محمد قائلين: «نحن نستسلم لك!» ويذكر التاريخ الإسلامي ثمانيَ وأربعين قبيلة استسلمت لمحمد في هذه السنة فقط (سنة ٩هجرية)، ولم يبقَ هناك غير القلة في الجزيرة لم تستسلم. غير أن محمدًا استطاع أن يغزوها وينتصر عليها. وكان على القبائل المقهورة أن تدفع الزكاة وهي ضريبة تبلغ ٢,٥٪ من دخل الفرد.

محمد يقوم بإرسال الرسائل إلى حكام البلاد المجاورة

بعد أن قام محمد ببسط نفوذه على الجزيرة، بدأ بالاتصال بحكام البلدان الواقعة خارج الجزيرة من أجل دعوتهم لقبول الإسلام ومبايعة حكم الإسلام. فأرسل رسائل رسمية موسومة بختمه الخاص إلى كل من (١) إمبراطور روما، (٢) ملك إيران، (٣) ملك إثيوبيا، (٤) الحاكم الروماني في مصر، (٥) ملك عمان، (٦) ملك البحرين، (٧) ملك سورية، (٨) ملك اليمن.

وقد حذرت هذه الرسائل أولئك الحكام من مغبة عدم الإذعان للإسلام ومواجهة العواقب، فنقرأ لمحمد رسالته إلى إمبراطور روما التي يقول فيها:

«من محمد رسول الله

إلى هرقل عظيم الروم

أسْلِمْ تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين وإن أبيت فلك إثم الأكارين.»

هل تذكر عزيزي القارئ الاثني عشر قائدًا الذين اختارهم محمد في بادئ الأمر؟ إنَّا نرى معظمهم الآن يقودون الجيش الإسلامي في غزوات ضارية ضد الذين رفضوا أن يقبلوا حكم الإسلام.

آياتٍ جديدة عن الجهاد

في خضم هذه الأحداث أعلن محمد أن آيات جديدة قد نزلت عليه بخصوص معاملة غير المسلمين، وهي مذكورة في السورة التاسعة. لنَطَّلِع على اثنتين من هذه الآيات. فبخصوص المشركين، أو عبدة الأصنام تقول الآية:

«فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»

(سورة ٩: ٥)

هذه الآية حثت المسلمين على قتال المشركين حتى يقبلوا الإسلام. وهناك آية أخرى بالمعنى ذاته أو نحوه ذُكرتْ بخصوص اليهود والمسيحيين مع فارق واحد، غير أنه فارق مهم:

«قَاتِلُواْ الَّذِينَ (١) لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ (٢) وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ (٣) وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ (٤) وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ

الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.»

(سورة ٢٩:٩)

كان المسلمون يعطون لليهود والمسيحيين ثلاثة خيارات:

١– قبول الإسلام.

٢– البقاء على دينهم (يهودًا أو مسيحيين) بشرط أن يدفعوا الجزية والتي كانت عادةً ما تجبى سنويًا.

٣– أو أن يستعدوا للدفاع عن أنفسهم ضد غزو الجيش الإسلامي.

وفي العام التاسع للهجرة وضع محمد حُكامًا ليحكموا القبائل والبلاد والشعوب التي أذعنت للحكم الإسلامي، ودعى كلًّا من أولئك الحكام بلقب (الأمير).

خطبة محمد الأخيرة على جبل عرفات – خطبة الوداع

والآن بعد أن أحكم محمد سيطرته على مكة، دعا كل المسلمين إلى الحج السنوي العظيم للكعبة لتسبيح الله (سورة ٩٧:٣). وقد أمضى محمد عامًا كاملًا في التحضير لهذا الحدث الهام وذلك بإرسال مبعوثيه إلى كل أنحاء الجزيرة داعيًا الناس إلى اعتناق الإسلام. وقد بلغ هذا التجمع أوْجَهُ عندما وقف محمد على جبل عرفات وخطب خطبته الأخيرة محاطًا بأكثر من مئة ألف مسلم. وهذه الخطبة تعرف بالخطبة الوداعية على جبل عرفات. وإليك عزيزي القارئ نص هذه الخطبة كما يذكرها التاريخ الإسلامي:

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا، أيها المسلمون إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم».

«بعد اليوم لن يكون هناك دينان في الجزيرة بل دين واحد. بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي وجُعل الذل والصَغار على من خالف أمري».

لهذه الخطبة جزءان، الجزء الأول يُعَلِّم المسلمين كيفية التعامل مع بعضهم، أن لايقتلوا بعضهم بعضًا وأن لا يسرقوا بعضهم بعضًا وأن لا يأخذوا زوجات بعضهم، والجزء الثاني يُعلِّمهم كيفية التعامل مع غير المسلمين. أعلن محمد أن الله قد أرسله بالسيف ويكون السيف مورده المالي ومصدر دَخْله، وقد توعد بالويل والثبور الذين لا يتفقون معه.

هذه الخطبة تأتي في اختلافٍ جليّ مع خطبة يسوع على الجبل، حيث قال يسوع:

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ

(متى ٥:٤٤)

وفاة محمد

في السنة الحادية عشرة بعد هجرته من مكة إلى المدينة، مرض محمد بالحمى التي كانت تعاوده كل عام. غير أن هذه المرة كانت أشد من سابقاتها وحسب ما يذكر التاريخ الإسلامي، فقد أوعز محمد هذا المرض إلى محاولة تسمم حدثت له بعد أن قهر جيشه قرية الخيبر اليهودية قبل أربعة أعوام. وكان محمد قد وافق على ألا يقتل الناجين شرط أن يتنازلوا له عن كل أملاكهم. في هذا الوقت قامت إحدى النساء اليهوديات واسمها زينب بالطبخ لمحمد إحدى

وجباته. (تذكر عزيزي القارئ أن محمدًا كان على علاقة جيدة باليهود قبل أن يغزوهم.) أحضرت زينب الطعام وكان عبارة عن خروف أو نعجة مشوية. فبعد أن نشرت السم في جميع أطراف الذبيحة (وكانت زينب تعرف مسبقًا أن محمدًا يُفضّل لحم الكتف) وضعت كمية إضافية من السم هناك وجلبت الطعام وقدمته إليه مع أحد أصحابه المرافقين له. وضع محمد اللقمة في فمه فأحس بطعمٍ غريبٍ في اللحم فأخرج اللقمة للتو من فمه وألقاها، غير أن صاحبه استساغ اللّحم فأكله فتسبب ذلك في موته بالتسمم.

سأل محمد زينب عما فَعَلتْ فقالت: «أنت أدرى بما فعَلتَ بأهلي، وهذا ما جعلني أقول في نفسي، إذا كان مَلِكًا فسأهَبُ نفسي له، وإذا كان نبيًا فسيدرك صنيعتي». ولردها هذا أبقى محمد على حياتها.

وعلى الرغم من ذلك فإن محمدًا كان على يقين من أن السم الذي تناوله ظل يضايقه للبقية الباقية من حياته.

في آخر مرة شعَر فيها بالمرض قبل وفاته، جاءته أم بشر أخت صاحبه ومرافقه الذي قضى نحبه مسمومًا، لتزوره في مرضه فقال لها: «يا أم بشر، ما ترين فيَّ الآن هو نتيجة الخروف المشوي الذي أَكَلتُهُ مع أخيك.»

أبان نوبة مرضه الأخير كان محمد قد عانى ولفترة عشرين يومًا من الألم والحمى. وكان يُعْتنَى به في بيت عائشة التي كانت قد قاربت الثامنة عشرة من عمرها الآن. وعندما حالت شدة المرض بينه وبين الوقوف بصحبه في الصلاة، أمر بأن يقوم صحبه المقربون بهذه المهمة. ولما حانت ساعته وضع رأسه في حجر عائشة ومات. دفن محمد في المدينة ويزور الحجاج قبره بانتظام إلى يومنا هذا.

وفاة يسوع

قصة وفاة يسوع تختلف اختلافًا كليًا عن قصة وفاة محمد، وسنرى سير الأحداث وكيف جرى كل شيء. فعندما ذهب يسوع إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح كان رؤساء الكهنة ومعلمو القانون يبحثون عن طريقةٍ فعالة للخلاص منه. ولكنهم كانوا خائفين من معاداته علنًا بسبب محبة الشعب له. وأخيرًا جاءت فرصتهم التي كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر من خلال أحد تلاميذه يهوذا الذي عرض عليهم أن يقودهم إليه مقابل مبلغ معين من المال؛ فوافقوا على ثلاثين قطعة من الفضة.

بعد تناول عشاء الفصح مع تلاميذه، ذهب يسوع كما كانت عادته إلى جبل الزيتون للصلاة. وفي هذه الأثناء جاء يهوذا بجمع من الرعاع إلى الجبل ليلقوا القبض على يسوع. ولما قبضوا عليه اقتادوه إلى رئيس الكهنة. وفي الفجر قام رؤساء اليهود باستجوابه سائلين «هل أنت ابن الله؟» فأجاب: «أنت محقٌ بقولك إني هو». كان ذلك كفرًا واضحًا حسب تعاليم اليهود، فأخذوه إلى بيلاطس الحاكم الذي عيّنته روما. وكان حُكم بيلاطس أن يسوع لم يفعل ما يستوجب عقاب الموت، لذا فقد أعاد بيلاطس يسوع إليهم، فأخذوه عبر الطرقات إلى تل يدعى الجمجمة حيث ألقوه على خشبة الصليب وسمروا يديه ورجليه بالمسامير إلى الصليب ثم أوقِفَ الصليب في حفرة في الأرض ووقف الحشد يراقبونه منتظرين موته، ومن بينهم كانت بعض النسوة اللاتي كن يخدمن يسوع. وعلى الرغم من أن الوقت كان منتصف النهار غير أن السماء أظلمت وحل الليل على جميع الأرض لثلاث ساعات، بعدها صرخ يسوع بصوتٍ عظيم قائلًا: «أبتاه، بين يديك أستودعُ روحي» وإذ قال هذا أسْلَمَ الروح. (لوقا ٢٣-٢٤)

إن محور الإيمان وحجر الزاوية في المسيحية هو ما حدث مع يسوع بعدَ موته. أما يسوع فقد أنزل جسده عن الصليب أحد أعضاء المجلس اليهودي الذي كان قد عارض صلب يسوع من البداية بعد أن سُمح له بذلك، حيث كفَّنَهُ بكتانٍ ووضَعَهُ في قبرٍ جديدٍ. وكانت النسوة اللواتي رافقن يسوع يراقبنَ عن بعد ورأينَ مكانَ وضع الجثمان فذهبنَ وهيأنَ حنوطًا وطِيبًا ليدهنَّ جسده. ولم يتمكنّ من العودة في الصباح لأن السبت كان قد حان حسب الشريعة اليهودية، فاسترحنَ.

في اليوم التالي الذي يلي السبت، وفي الصباح الباكر، عُدن إلى القبر فوجدنَ أن الحجر قد دُحرج عن مدخل القبر. أما جثمان يسوع فلم يجدنه. وبينما هن على هذه الحال إذ بملاكين قد ظهرا لهن وقالا «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لَكِنَّهُ قَامَ!» (لوقا ٢٤:٥–٦).

هَرَعت النسوة لإخبار التلاميذ بما قد رأين، ويذكر الإنجيل ظهور يسوع لتلاميذه وأتباعه بعد قيامته بين الحين والآخر ولمراتٍ عديدة.

رسالة يسوع الأخيرة إلى أتباعه

ركزت تعاليم يسوع الأخيرة على شرح قيامته وحث تلاميذه على نشر الرسالة، حيث قال لهم:

> «هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ مُبْتَدَأً مِنْ أورشليم.
> (لوقا ٢٤:٤٦–٤٧)

عندها وعد يسوع بأن يُعزِّي أتباعه بعد صعوده بأن يُرسلَ إليهم الروح المعزي وبحلول قوة من الأعالي. ويؤمن المسيحيون أن هذا هو الروح القدس والمكتوب عنه في الإصحاح الثاني من أعمال الرسل.

بعد هذا صعد يسوع إلى السماء وهم ينظرونه إلى أن اختفى عن أبصارهم ولم يعد يظهر لأتباعه بعد ذلك.

خاتمة

تابعتَ عزيزي القارئ في خمسة فصول مضت حياة كل من يسوع ومحمد جنبًا إلى جنب. فعرفتَ كيف قضيا وقتهما بالسعي لتحقيق أهدافهما، وهذا يعطيك إطار الفهم العام الذي ستحتاج إليه لتستوعب ما ناديا به، وستكون تعاليمهما موضوعَ بحثنا في النصف الثاني من هذا الكتاب، حيث ستتوفر لك الفرصة للمقارنة بين تعاليمهما استنادًا إلى النقاط الأساسية التالية:

- رسالتهما إلى العالم
- تعاليمهما عن بعضهما البعض
- ماذا تعني الحرب المقدسة لكل منهما
- المحبة
- الصلاة
- المرأة

قبل أن تبدأ بهذه الفصول الموضوعية، عزيزي القارئ، رأيتُ أنه من الجدير أن أضع أمامك جدولًا زمنيًا بأهم الأحداث التي واجهت كلًّا من يسوع ومحمد في حياتهما. هذه السجلات الزمنية ستساعدك في مراجعة سير حياتهما التي قرأتها للتو لتتفهم مجموعة التعاليم التي تليها.



الجدول الزمني لتتابع الأحداث

الجدول الزمني لمحمد

عام ٥٧٠ ميلادية

يذكر التاريخ الإسلامي بأن محمدًا ولد في مكة في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، والمصادف الثاني من آب بالتقويم المسيحي.

عام ٥٧٦ ميلادية

توفيت أم محمد وعمره ٦ أعوام، وأنيطت رعايته إلى جده لأبيهِ.

عام ٥٧٨ ميلادية

توفي جَد محمد وعمره ٨ أعوام، وأودِعَت رعايته إلى عمه أبي طالب.

عام ٥٨٢ ميلادية

أبو طالب عم محمد أخذه معه إلى سورية وعمره ١٢ عامًا، حيث تَنَبَأ عنه بحِيرَى الراهب.

عام ٥٩٥ ميلادية

تزوج محمد خديجة أولى زوجاته وعمره ٢٥ عامًا، في زواجٍ كنسي طقسي زَوّجَهُما ابن عمها ورقة بن نوفل الكاهن المسيحي.

عام ٦١٠ ميلادية

أعلن عن نزول أول الوحي عليه من الملاك جبريل وعمره ٤٠ عامًا.

عام ٦١٣ ميلادية

بدأ بنشر دعوته علنًا في مكة وعمره ٤٣ عامًا.

عام ٦١٥ ميلادية

أرسل محمد وعمره ٤٥ عامًا، أحد عشر مسلمًا إلى أبيسنيا (أثيوبيا الحالية) ليلوذوا بها من اضطهاد المكيين لهم، وهو ما عُرف في ما بعد بالهجرة الأولى بعد أن قام رؤساء قريش بمقاطعة المسلمين ورفضوا أن يتاجروا معهم أو أن يبيعوا أو يشتروا منهم أو أن يتزاوجوا بهم. وقد رُفِعَت المقاطعة بعد سنتين أو ثلاث سنوات.

عام ٦٢٠ ميلادية

كان عمره ٥٠ عامًا حين أبلغ عن رحلته الليلية من مكة إلى القدس، وخلال العام نفسه مات كلٌّ من زوجته خديجة وعمه أبي طالب الذي كان يوفر الحماية له.

عام ٦٢٢ ميلادية (١هجرية) وعمره ٥٣ عامًا

– عقد اتفاقية مع أقوى قبيلتين في المدينة لحمايته.

– هاجر من مكة إلى المدينة (الهجرة الثانية)، وهنا يبدأ العام الأول في التقويم الإسلامي.

– تزوج زوجته الثانية عائشة، وفي فترة العشر سنوات التالية تزوج إحدى عشرة مرة.

– جاءه الوحي بالجهاد (أو الحرب المقدسة) ضد المشركين لأول مرة.

– أمر عمه حمزة بن عبد المطلب بأن يذهب بثلاثين من الجنود

المسلمين ويهاجموا قافلة لقريش، وكانت هذه أول مرة يأمر محمد المسلمين بالغزو.

– أرسل (سعد بن أبي وقاص) لمهاجمة عَبَدَة الأصنام في الخرار.

– أرسل أحد بني أعمامه لمهاجمة عَبَدَة الأصنام في مكة.

عام ٦٢٤ ميلادية (٢ هجرية)

– كان عمره **٥٤** عامًا وكان هذا عامًا عظيمًا للجهاد.

– إدَّعى أن العديد من يهود المدينة تحولوا إلى الإسلام.

– الهجوم على البواط.

– قاد محمد معركة بدر بنفسه في هجوم على مكة في وادي بدر حيث أحرز المسلمون فيها نصرًا مباغتًا.

– الهجوم على بني صليب.

– الهجوم على السويق (عَبَدَة أصنام).

– زَوَّجَ ابنته فاطمة إلى ابن عمه علي بن أبي طالب.

– قام بإرسال سبع غارات في هذا العام فقط، وكانت هذه الغارات صغيرة نسبيًا حيث كانت تتكون من ثلاثين إلى مئة جندي فقط.

عام ٦٢٥ ميلادية (٣ هجرية)

– معركة أُحُد وعمره **٥٥** عامًا. وقد عانى المسلمون فيها الهزيمة على يد المكيين. وفي هذه الواقعة قُتِل حمزة عم محمد.

– اغتيال قائد يهودي يدعى كعب بن الأشرف لمعاداته محمدًا وانتقاده إياه.

هذه الحادثة هزت كلًا من اليهود في المدينة وعَبَدَة الأصنام في مكة أيضًا. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يلجأ فيها محمد إلى اتباع أسلوب الاغتيال السياسي لتصفية خصومه السياسيين.

– قام بإرسال ثلاث غارات أخرى هذا العام.

عام ٦٢٦ (٤ هجرية) وعمره ٥٦ عامًا

– الهجوم على بني نادر (قبيلة يهودية).

– أرسل غارتين أخريين هذا العام.

عام ٦٢٧ ميلادية (٥ هجرية)

– قام بغزوة دومة الجندل وعمره ٥٧ عامًا.

– حاول المكيون بعد تحالفهم مع بعض يهود المدينة مهاجمة المسلمين في المدينة، فقام المسلمون بحفر خندق حول المدينة. فتراجع المكيون دون قتال يذكر، وعرفت هذه الواقعة بغزوة الخندق.

– الهجوم على بني قريظة حيث قام محمد بقتل جميع رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم كأسرى حرب. وقد اتَّخذَ تعاونهم المزعوم في معركة الخندق كذريعة لمعاقبتهم بهذه الطريقة.

– اغتيال أبي رفح وكان قائدًا آخر من قواد اليهود.

– الهجوم على بني لحيان (قبيلة عربية).

– الهجوم على بني قَرَد.

– الهجوم على بني المصطلق (قبيلة يهودية). وإبان هذه الغزوة اتُهِمَتْ عائشة زوجة محمد بأنها كانت على علاقة غرامية مع أحد الجنود المسلمين.

عام ٦٢٨ ميلادية (٦ هجرية)

– كان عمر محمد ٥٨ عامًا. وعلى الرغم من أنه لم يَقُدْ أي معركة هذا العام إلا أنه قام بإرسال العديد من الغزوات.

عام ٦٢٩ ميلادية (٧ هجرية)

– بلغ محمد من العمر ٥٩ عامًا وقام بإرسال خمس غزوات هذا العام.

– قام أيضًا بالهجوم على خيبر (قرية يهودية).

عام ٦٣٠ ميلادية (٨ هجرية)

دعي هذا العام عام الخضوع، وعمره ٦٠ عامًا، لأن كل الناس الذين لم يكونوا قد هوجموا بَعْد أرسلوا رسائل إلى محمد معلنين طاعتهم له. ويذكر التاريخ الإسلامي أن ثمانيَ وأربعين مجموعة مختلفة كانت قد أرسلت هذه الرسائل إلى محمد الذي بدأ بإرسال رسائل إلى القواد والملوك في المدن والبلدان ينصحهم بالتحول إلى الإسلام.

– غزوة تبوك

– الهجوم على مؤتة

– معركة ذات السلاسل

– فتح مكة

– معركة حنين

– الهجوم على وادي أوطاس

– غزوة الطائف

عام ٦٣٢ ميلادية (٩ هجرية)

أرسل محمد وعمره ٦٢ عامًا أمراء ليحكموا المناطق التي قَبِلَ أهلها نبوّته.

عام ٦٣٣ ميلادية (١٠ هجرية)

– خطب خطبة الوداع وعمره ٦٣ عامًا على جبل عرفات.

– وضع شعائر الحج.

عام ٦٣٤ ميلادية (١١ هجرية)

– أصيب بالحمى.

– توفي وعمره ٦٤ عامًا.

الجدول الزمني ليسوع

٥/٦ قبل الميلاد

ولد في بيت لحم.

٥ /٤ قبل الميلاد

أخذ يوسف ومريم يسوع إلى مصر هروبًا من أمر هيرودس بقتل كل الأطفال الذكور دون عمر السنتين.

٤ /٣ قبل الميلاد

عاد يوسف ومريم إلى بلدتهما الناصرة وكان عمره لم يتجاوز العامين.

٦ /٧ ميلادية

تخلف عن الركب في الهيكل بعد أن غادر أهله أورشليم في طريقهم إلى الناصرة. ثم عادوا بعد أن اكتشفوا أمر غيابه ليجدوه هناك وكان عمره ١٢ عامًا.

٢٦ ميلادية

كان عمر يسوع ٣٠ عامًا عندما بدأ يوحنا المعمدان بالتبشير للملأ.

بداية خدمته

٢٧/٢٦ ميلادية

– تعمّد يسوع على يد يوحنا المعمدان. وكان عمره ٣٠ عامًا تقريبًا عندما بدأ بالتبشير العلني.

– قام بأول معجزاته في عُرْسِ قانا الجليل حيث حَوّلَ الماء إلى خمر.
– قام بطرد الصيارفة من الهيكل في أورشليم وقلب موائدهم.
– تكلم مع المرأة السامرية قرب البئر.
– شفى ابن خادم الملك.
– وعظ في المجمع في بلدته الناصرة ولم يقبلوه.

السنة الثانية من خدمته

– شفى رجلًا كان فيه روحٌ شريرة في المجمع في كفرناحوم.
– شفى الأبرص.
– شفى المشلول.
– شفى المُقعَد عند بِرْكَةَ بيت حسدا.
– شفى المعاق ذا اليد اليابسة.
– اختار الاثني عشر رسولًا ووعظ على الجبل.
– شفى خادم قائد المئة الروماني.
– أقام ابن الأرملة من بين الأموات.
– أسكن عاصفةً على بحر الجليل.
– شفى الممسوس بالروح الشريرة الذي كان يسكن القبور.
– أقام فتاةً من بين الأموات وشفى المرأة التي كانت تنزفُ دمًا.

السنة الثالثة لخدمته

– أرسل الاثني عشر رسولًا للتبشير برسالته
– أطعم خمسة آلاف شخصٍ من سمكتين وخمسة أرغفة فقط.

– شفى ابنة المرأة الكنعانية.

– شفى الأخرس والأصم.

– أطعم أربعة آلاف شخصٍ.

– فتح عيني الأعمى.

– شفى المصاب بالصرع.

– شفى عشرة رجال مصابين بالبرص.

– فتح عيني أعمى آخر.

– أقام لعازر من بين الأموات.

الرحلة الأخيرة إلى أورشليم

٣٠ ميلادية وعمره ٣٣ عامًا تقريبًا

– أعاد البصر لعيني أعميين في أريحا.

– تناول طعام العشاء مع لعازر ومريم ومارثا.

– دخل أورشليم محاطًا بجمعٍ مبتهج (يوم الأحد السابق لوفاته).

– تناول العشاء الأخير مع تلاميذه (الخميس السابق لوفاته).

– أُلقِيَ القبض عليه وحوكِمَ وصُلب (يوم الجمعة قبل وفاته).

– قام من بين الأموات (الأحد التالي لوفاته) وظهر لأتباعه مرارًا بعد ذلك.



الفصل الثالث

تراثهما بالكلمات والأعمال



رسالتهما إلى العالم

رأينا عزيزي القارئ كيف نشر كل من يسوع ومحمد رسالته. والآن نريد أن نرى ماهية هاتين الرسالتين، حيث ستتعرف عزيزي القارئ في هذا الفصل على:

- ما قالاه عن أنفسهما وغايتهما.
- كيف عَلَّما الناس أن يُرضوا الله.
- كيف سيُغفَر للناس الذين يأثمون ضد الله.
- ماذا علما عن المصير بعد الموت.

ادّعيا أنهما...
محمد: آخر الأنبياء

ذاته

أعلن محمد أنه آخر الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى العالم، واستطرد بقوله:

> مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

قال محمد أن به تحققت كل النبوءات في كلا العهدين القديم والجديد، بخصوص نبي ٍسيأتي؛ أي أنه ادعى أنه النبي الذي ينتظره اليهود والمسيحيون.

> بعض صحابة رسول الله سألوه، يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك فقال: «نعم، أنا رسالة أبي إبراهيم وبشارة أخي يسوع.»

وقال محمد أيضًا إن اليهود والمسيحيين قد حرَّفوا كتبهم ليحذفوا أي إشارة إلى مجيئه. وقد ادعى بعض الباحثين المسلمين المعاصرين أنهم وجدوا إشارات إلى محمد ما زالت باقية في الإنجيل. تستطيع عزيزي القارئ أن تطَّلع على معلومات أكثر بهذا الخصوص بمراجعة الملحق الثاني.

على الرغم من أن محمدًا قال إنّه آخر وأعظم الأنبياء، فإنه أيضًا قال وبوضوح جلي إنّه إنسان وليس إلهًا، حيث إنّه قال للناس، «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» (سورة ١٨:١١٠)، وأنه سيموت كأي إنسان آخر، وفي ذلك يقول القرآن «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ» (سورة **٣٩:٣٠**)

أما بخصوص علاقته مع الله، فإن القرآن يصف محمدًا بأنه «عبد» الله (سورة **٢:٢٣**). والمتحولون إلى الإسلام يصفهم بأنهم «عبيد» لله أيضًا (سورة **٥٠:٨**).

غايته

في البداية قال محمد إن غاية الله له أن يكون نذيرًا فقط (سورة **٧١:٢**)

> «...لَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»
>
> (سورة ٢٨:٤٦)

وعلى الرغم من ذلك، فبعد أن انتقل محمد إلى المدينة أصبح أكثر من مجرد نذير، فقد أصبح قاهرًا، وقد قال:

> روى أحمد وأبو يعلى والطبراني – رحمهم الله – عن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده، لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري».

دعا محمد عبدة الأصنام ليتركوا أصنامهم ودعا اليهود والمسيحيين إلى ترك إيمانهم «المحرف» واتباع الإسلام.

يسوع ابن الله

ذاته

ذكر يسوع عدة مرات في الإنجيل أنه ابن الله وأن الله أبوه، مثلًا:

> قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ
>
> (متى١٦: ١٥–١٧)

> فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إلى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لأَنِّي قُلْتُ إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أعمالُ أَبِي فلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأعمال لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ».
>
> (يوحنا ١٠: ٣٦–٣٨)

وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ».

(متى ٢٦:٦٣-٦٤)

(الآيات الأخرى حيث يشير يسوع إلى نفسه فيها كابن الله تشمل متى: ٤:٦ و٢٩:٨ و٣٢:١٠ و٢٧:١١ و١٥:١٦-١٧ و٢٧ و٤٣:٢٧ و١٩:٢٨ ومرقس ١١:١ ويوحنا ١٦:٣-١٨ و١٧:٥-١٨ و٢٥ و٣٦ و١٤:١١).

قال يسوع إن النبوءات اليهودية عن مجيء المسيح المنتظر اكتملت فيه.

«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ».

(متى ١٧:٥)

وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ».

(لوقا ٢٤:٤٤)

وتدعم نبوءات العهد القديم كلمات يسوع والتي تحققت، كولادته في بيت لحم، ونشأته في الناصرة، ووجوده في مصر وتفاصيل أيامه الأخيرة. تفضل عزيزي القارئ بمراجعة الملحق الثالث لتجد فيه قائمة كاملة لكل المراجع.

غايته

يُعَلمنا الكتاب المقدس أن الله طلب ذبيحة حيوانية لغفران الخطايا، ويسوع قال إن غايته كانت أن يقدم نفسه كضحية أخيرة وفاصلة عن خطايا كل إنسان.

> لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أيضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ».
> (مرقس ١٠:٤٥ ويوحنا ١٤:٣)

طلب يسوع من الجموع أن يصدقوا رسالته لكي تكون لهم الحياة الأبدية.

> لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إلى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ.
> (يوحنا ٣:١٦–١٧)

كيف نحصل على رضى الله

تعتبر فكرة "رغبة البشرية في تكوين علاقة جيدة مع الله" هي الجوهر في أي دين. والمسيحية في فلسفتها لا تحيد عن هذا المبدأ. غير أن تعاليم يسوع ومحمد في هذه الناحية تختلف اختلافًا جليًا.

كيف تصبح مسلمًا؟

تطورت رسالة محمد واتضحت خلال سنوات حياته، بمعنى أن الواجبات المفروضة على المسلم تغيرت في الفترة بين بداية نزول الوحي وعلى مدى ثلاثة وعشرين عامًا تلتها. ومثالاً على ذلك، ففي مكة في

الأيام الأولى لم يكن مطلوبًا من المسلمين أن يصلوا عددًا معينًا من المرات يوميًا. ولكن بعد إسراء محمد الليلي، والذي حدث بعد عشر سنوات على بداية نزول الوحي، فُرِضت عليهم الصلاة على أن تؤدى خمس مرات في اليوم. مثالٌ آخر هو الحج إلى مكة، والذي لم يكن فريضةً حتى السنة التاسعة لمحمد في المدينة. والآن لننظر إلى رسالته في تطورها الأخير: ماهو المطلوب منك لكي تصبح مسلمًا:

١- أن تعبد الله وحده وأن تقبل محمدًا كرسول لله وأن تؤمن بالقرآن.

٢- أن تصلي الصلاة الإسلامية الشعائرية خمس مرات في اليوم.

٣- أن تَدفَع الزكاة إلى بيت المال، والذي كان محمد يديره. فعلى كل مسلم أن يعطي ٢٪ من كل دَخلٍ يحصل عليه، حيث لم تعتبر الزكاة تبرّعًا طوعيًا. كان محمد يستعمل جزءًا من المال لتمويل العجلة العسكرية الإسلامية وجزءًا لإعانة المحتاجين والجزء الآخر كان يستعمله لمشاريع البناء. وعلى الرغم من أنه لم تكن كلمة «الضرائب» معروفة وقتئذٍ بعد، غير أن المال المجبى كان يلعب هذا الدور. وحيث إنّه لم يكن هناك أي حكومة مدنية لذا فإن الدولة الإسلامية كانت هي التي تجبي الضرائب. غير أن الأمر يختلف في الوقت الحاضر، فالمسلمون الآن يعيشون في ظل حكومات مدنية وعليهم أن يدفعوا الضرائب لهذه الحكومات؛ لذا فالزكاة الآن تجبى إضافة إلى الضرائب. ولعدم وجود دولة إسلامية مركزية، فكل شخص له الحرية في اختيار الجهة التي يدفع الزكاة لها.

٤- خلال شهر رمضان، عليك أن تصوم بين الصلاة الأولى والرابعة.

٥- أن تحج إلى الكعبة في مكة (سورة ٢٢:٢٧).

بالإضافة إلى كل ما تقدم فإن محمدًا كان يحث المسلمين على القتال بقوله إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٦١:٤)

المتطلبات لإرضاء الله

بقيت رسالة يسوع على المنحى نفسه من البداية إلى النهاية؛ فهو الذي قال إنّه الطريق إلى بناء علاقة صحيحة مع الله، «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إلى الآبِ إِلاَّ بِي». يوحنا (١٤:٦). لم يكن ليسوع أي قائمة بالمتطلبات لأتباعه ليتبعوها، بل بدلًا من ذلك وبكل بساطة فقد دعاهم هكذا:

«هَلُمَّ وَرَائِي...

(مرقس ١:١٧)

وهم تبعوه.

..وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ..

(يوحنا ٦:٢)

وعلى الرغم من ذلك فإن يسوع لم يقُل لأتباعه أن اتّباعه سيكون سهلًا، بل حذرهم أن حياتهم ستكون في خطر.

وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِك نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا.

(مرقس ٨: ٣٤– ٣٥)

غير أن يسوع وعد بأنه لن يرهق أتباعه.

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».

(متى ١١: ٢٨–٣٠)

طلب منهم أن يطيعوا أعظم وصيتين:

وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلًا: «يَا مُعَلِّمُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟» فَأَجَابَ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. اِفْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا».

(لوقا ١٠: ٢٥ – ٢٨)

أي وباختصار فإن المطلوب منك لكي تكون مسيحيًا هو أن تتبع يسوع وتحب الله وتحب كل الناس، حيث يختلف تعليم يسوع هنا عن محمد، في أن يسوع لم يطلب من تلاميذه أن يتبعوا أي قانون معين في وقت الصلاة، أوكم من المال تهب، أو متى تستطيع أن تحج.

مغفرة الخطايا

إذا كنت تُعَلِّم كيفية إرضاء الله، فإن عليك أن تشرح أيضًا عما سيحدث عند ارتكاب الخطايا المتعذر تجنبها، وما هي متطلبات الله لمغفرة الخطايا؟ لنر ماذا قال يسوع وماذا قال محمد بهذا الخصوص.

الله هو الذي يقرر مَنْ ستغفر ذنوبه

هناك قصة معروفة في التاريخ الإسلامي عن وفاة أبي طالب عم محمد الذي قد حمى محمدًا من أعدائه في مكة لسنوات عديدة. فبينما كان أبو طالب على فراش الموت، ترجاه محمد أن يسلم، غير أن عمه رفض ذلك. حينها نزلت عليه الآية من الله تقول:

> اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
>
> (سورة ٩:٨٠)

أي أن محمدًا قال إنّه ليس له أن يغفر الخطايا أو يقنع الله أن يغفرها، غير أن ما قال محمد هو أنه يستطيع أن يخفف من عقوبة عمه كالآتي:

> من بين كل ساكني النار فإن أبا طالب سيكون الأقل معاناةً، وسيلبس حذاءً (من نار).

وفي مناسبة أخرى، قيل إن محمدًا سأل الله أن يغفر لأمه والتي توفيت وهو مازال في السادسة، وقد رويت هذه الرواية عن أحد خدامه:

> وعن رواية لأبي هريرة أنه «زار النبي محمد قبر أمه وجعل يبكي ويبكي حتى أبكى كل الذين كانوا حوله وقال محمد: «طلبت من الله أن أستطيع الطلب منه أن يغفر لأمي! غير أنه قال لي: «كلا ولكني أعطيتك أذنًا أن تزور قبرها فقط».

وأعلن محمد مرة أخرى أنه لا يستطيع أن يؤثر على الله لمغفرة الآثام. وخلال القرآن والحديث أكد محمد أن الله فقط هو الذي لديه القدرة

لكي يغفر الآثام. وكل الآثام ليست متساوية في الفلسفة الإسلامية، فهناك الآثام الكبرى وهناك الصغرى، ومثال على الأثام الكبرى هو الإشراك والتنكر للتعاليم الأساسية للإسلام وخصوصًا الدعائم الخمس للشريعة الإسلامية والافتراء على مسلم آخر في غيابه. فالمذنب يجب أن يتوب أمام الله وسوف يقرر الله في ما سيغفر له أم لا. وفي يوم الحساب سوف يَعرف الشخص في ما إذا كان الله قد غفر له أم لا!

ومن الناحية الأخرى، فالآثام الصغرى يمكن أن تُغفر بالحسنات أو بالصلاة الإضافية أو بالأعمال الخيرية. ومثال الآثام الصغرى كالتقصير عن أداء الصلاة لفترة يوم أو الكذب أو الإفطار في رمضان أو التقصير عن مساعدة جار محتاج، أي بالاختصار إن الله وحده هو الذي يقرر ما إذا كان شخصٌ ما قد غُفرت آثامه أم لا. فإذا ارتكب معصية صغيرة فسينال الغفران بالأعمال الحسنة أو بزيارة الحج، أما إذا ارتكب معصية كبيرة فهو تحت رحمة الله.

مغفرة الله للذين يقاتلون

بعد أن بدأ محمد بإرسال الحملات العسكرية من المدينة، جاءه الوحي بطريقة خاصة للمسلمين للتكفير عن آثامهم للحصول على الغفران من الله وذلك بالقتال والموت في سبيل نصرة الإسلام. فإحدى الآيات وصَفت القتال من أجل الله «كمقايضة» فإذا أعطيتَ الله «مالك وحياتك» فإنه سوف يغفر ذنوبك ويدخلك الجنة ويعينك على أعدائك وتكسب معركتك، وهذا هو النص القرآني:

> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.
(سورة ٦١: ١٠–١٣)

وفسر المسلمون هذا ليعني أن أي شخص يُقتل في الجهاد يذهب مباشرةً إلى الجنة ولايحتاج إلى أن ينتظر في قبره إلى يوم الحساب.

ماذا علّم يسوع عن المغفرة

بينما قال محمد أنْ ليس له القدرة على غفران الخطايا فقد أعلن يسوع أن لديه الصلاحية الكاملة لغفران الخطايا.

وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلًا: «يَا مُعَلِّمُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟» فَأَجَابَ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ: «بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. اِفْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا».

عندما شاهد يوحنا يسوع يتجه نحوه، قال: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ (يوحنا ١: ٢٩)، وعندما كان يسوع يتكلم عن موته على الصليب قال: «لأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا (متى: ٢٦: ٢٨)،

ولكنه أيضًا قال إن موته سيكون فداءً وتكفيرًا عن كثيرين لتوفير الخلاص لكل البشرية في كل زمان، وفي إحدى كلماته الأخيرة لتلاميذه قال:

«هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ

وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ
وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ.
(لوقا ٢٤: ٤٦–٤٧)

القدر بعد الموت

الآن وبعد أن عرفنا ماعَلَمَه يسوع ومحمد عن نفسيهما، وما طلبا من أتباعهما أن يفعلوا. فالوقت قد حان لنقارن تعاليمهما عن كيفية معاملة الله للناس عند موتهم.

قَدَرُ المسلم بعد الموت

وقد قال محمد بنفسه يومًا إنّه لا يعرف ماذا سيحدث له في يوم الحساب. فقد كان في زيارة قام بها لبيت أحد المسلمين حيث كان قد مات أحد أقاربه، وكان جثمانه ما زال مسجى في البيت. وكانت امرأة الميت تخاطب الجثة قائلة: «لتحل رحمة الله عليك، أنا أشهد بأن الله قد أكرمك.»

فقال محمد لتلك المرأة «كيف عرفت أن الله قد أكرمه؟»

فأجابت المرأة: «والله ما عرفت.»

فأجاب محمد: «أما هو فقد وافته المنية وأدعو أن يجزيه الله خيرًا، فوالله ولو أني رسول الله فأنا لاعِلم لي بما قد يحدث لي ولا لك.»

وحتى أتباعه المقرّبون سألوه عن ذلك؛ فقد أبدى له أبو بكر مرة تخوفه من حساب الله حيث قال: «إذا كانت قدمي في الجنة والأخرى ما زالت خارجها فإني لم أكن لأثق بمكر الله» وما عناه أبو بكر بأن مصيره الأبدي هو كالسر إلى أن تكون قدماه الإثنتان في داخل الجنة.

وكان أبو بكر قد لقب بـ«الرجل الباكي» حيث كان يبكي باستمرار كلما هم بالصلاة. وعندما استفسر أصحابه عن ذلك يومًا قال: «كل مرة

أهِم بها بالصلاة أتصور الله واقفًا أمامي وملاك الموت خلفي، الجنة إلى يميني والنار إلى يساري ولا أدري ماذا عسى ربي يفعل بي».

لم يعطِ تعليم محمد الكثير من التعزية للذين يفقدون عزيزًا لمواساتهم.

> رأى محمد امرأة تبكي على قبر ولدها فقال لها، «كوني مؤمنة وكوني صبورة».

فقالت المرأة: «أتركني فأنت لم تفقد عزيزًا مثلي.» وعلى الأكثر أن المرأة لم تكن تعرف من كان محدثها. فلنتوقف قليلاً هنا عند كلمات محمد التي وجهها إلى هذه المرأة. فإنه قال لها أن تكون مسلمة مؤمنة وأن تكون صبورة. فحسب الإسلام فإن ابن المرأة كان تحت قضاء الله ولا أحد يدري هل كان سيذهب إلى الجنة أم إلى النار فالله هو الذي سيقرر ذلك. لذا فإن محمدًا كان يقول للمرأة أن تقبل قضاء الله مهما قضى، وهذا بالطبع لم يكن لها فيه أيّ تعزية أو مواساة.

المصير

يرتبط تعليم محمد عن يوم الحساب بتعليمه عن المصير (القدر). يُستَخْلَصُ من ذلك حد أقصى من عدم اليقين في فكر المسلمين بخصوص مصيرهم بعد الموت:

> قال رسول الله الحق والمُنْزَل بالحق: «أما بخصوص خَلقكم فإن كلًّا منكم جمع في رحم أمه في الأيام الأربعين الأولى، ثم أصبح نطفة لأربعين يومًا أخرى ثم قطعة من اللحم لأربعين يومًا أخرى. ثم يرسل الله ملاكًا ليكتب أربعة كلمات: يكتب أعماله، وقت موته، طريقة معيشته وعمّا إذا سيكون تعيسًا أم مباركًا في ما يتعلق

بالدين. ثم تُنفخ في جسمه الروح. فيفعل الإنسان أعمالًا لها صفة أهل النار حتى يكون هناك مسافة ذراع فقط بينه وبينها. ثم الذي كتب من قبل الملاك سيطغي ويبدأ بعمل أعمال لها صفات أهل الجنة فيدخل الجنة. مثله كمثل الإنسان الذي قد يعمل أعمال أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها مسافة ذراع واحد. عندها يطغي ما كان مكتوبًا من قبل الملاك فيبدأ بفعل أعمال أهل النار فيدخل النار.»

دعني أفسر لك عزيزي القارئ ماذا يعني هذا الحديث لكي تستطيع أن تفهمه بسهولة. فمحمد يقول إن الشخص وهو ما زال في رحم أمه يُرسل الله ملاكًا ليكتب أربع حقائق عن حياة هذا الشخص: ١) أعماله، ٢) طريقة ارتزاقه، ٣) هل سيكون سعيدًا أم تعيسًا، نسبة إلى ذهابه إلى الجنة أو النار، ٤) ووقت موته.

وكيف ينطبق هذا على الحياة اليومية؟ إذا كنت مسلمًا فأنت تتمنى أن يقبل الله أعمالك الحسنة ويدعك تدخل الجنة. ولكن كما قد علمتَ بما أنّ مصيرك الأخير معتمد على كلمة قد كتبها الملاك قبل أن تولد، لذا فإن أملكَ يكون تحت ظلال الشك متسائلًا عما إذا كان هناك أحد مقسومًا لأحد ما أن يكون له أعمال جيدة خلال سنوات حياته ولكن في الآخرة يُحكم عليه أن يذهب إلى الجحيم.

تعاليم يسوع بخصوص المصير بعد الموت

كان يوم الحساب جزءًا من تعاليم يسوع (متى ١٠:١٥، ١١:٢٢–٢٤، ١٢:٣٦، ٤١–٤٢,٢٤:٣١، لوقا ١٠:١٤، ٣٢–١١:٣١). وقد قال بخصوصه:

- وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ. (متى ٢٤:٣٦).

- فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ (متى ٢٤:٣١).
- يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ (متى ١٣:٤١).

وكما قرأتَ الآن، فإن محمدًا وصف هذه التفاصيل بعدها بستّ مئة سنة. (انظر سورة –٦:٧٣، –١٨:٩٩، –٢٠:١٠٢، –٢٣:١٠١، –٢٧:٨٧، –٣٦:٤٨، –٣٩:٦٨، –٥٠:٢٠، –٧٨:١٨)، غير أن تعليم يسوع عن الدينونة يختلف عن محمد في أشياء مهمة؛ فعلى سبيل المثال، قال يسوع إنّه سوف يعود ويقيم الحساب (متى ٣٠–١٣:٢٤، ٣٦–٤٧، ٤١–٥٠، ٢٥: ٣١–٣٣، يوحنا ٥: ٢٢). ولكن محمدًا قال إن الله سيقيم الحساب.

روى يسوع أربعة أمثلة في متى ٢٤و٢٥ عن يوم الدينونة واصفًا المعايير التي سيدان الناس بها. وكل مثال من تلك الأمثلة يدعو إلى محبة الله ومحبة الجار لكي يتمكن الإنسان أن ينال الحياة الأبدية. ورب سائلٍ يسأل، هل هذا يعني أن يسوع يدعو إلى الأعمال الحسنة لكي يدخلَ الإنسان إلى ملكوت السماوات؟ والإجابة على هذا السؤال هو المهم أن تتم هذه الأعمال من خلال تعاليم يسوع نفسه.

فقد قال يسوع إن الإيمان به مطلوب للحصول على الحياة الأبدية «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يوحنا ٣: ١٦). ويسوع قال أيضًا، «أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ.» (يوحنا١٥: ١٤). وهذا يعني أنه إذا كنتَ تؤمن بأن يسوع هو في الحقيقة ابن الله فإنك ستعمل بوصاياه، وإذا لم تعمل بوصاياه فإنك لاتؤمن به. هذا الفهم يستند على كتابات أتباع يسوع؛ فيعقوب أحد التلاميذ الثلاثة المقربين من يسوع، كتب يقول،«لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ

أعمال مَيِّتٌ.» (يعقوب ٢: ٢٦)، فقد وصف الأعمال الحسنة بأنها دليل على صدق الإيمان: «وَأَنَا أُرِيكَ بِأعمالي إِيمَانِي.» (٢: ١٨). لذلك ففي يوم الحساب سينظر يسوع إلى الأعمال الحسنة كدليل على الإيمان به. أما بخصوص ما سيحدث للموتى بينما هم ينتظرون يوم الدينونة! فإن يسوع لم يُعطِ الكثير من التفسير لذلك. غير أنه وصف لنا منظرًا حيث مات رجل غني وذهب إلى الجحيم. ومات رجلٌ آخر وكان فقيرًا وذهب إلى جانب إبراهيم وكان مكان راحة دائمة (لوقا١٦: ١٩–٣١). هذا يعطينا دلالة عن المكان الذي سيكون فيه الموتى منتظرين يوم الدينونة. أما مزيد من التفاصيل حول الدينونة للمؤمنين وغير المؤمنين فهي مفسرة في أجزاء أخرى من العهد الجديد خاصةً سفر الرؤيا.

خاتمة

هناك اختلافات فكرية وجذرية عميقة بين يسوع ومحمد في نواحٍ متعددة، منها إرضاء الله والمغفرة ويوم الدينونة. وهُما أيضًا نظرا إلى دورهما كمرسلين من الله بطريقتين مختلفتين أيضًا، وسوف نلقي نظرة على ما قاله محمد عن يسوع وما يمكن أن يكون قد قاله يسوع عن محمد في الفصل القادم.



تعاليمهما عن بعضهما البعض

سيستغرب معظم الغربيين إذا علموا أن محمدًا والقرآن يكنان بالغ الاحترام ليسوع. ففي النصف الأول من هذا الفصل سننظر إلى العديد من تعاليم محمد بخصوص يسوع. غير أن يسوع لم يتكلم عن محمد مباشرة أبدًا، والسبب في ذلك في غاية البساطة، لأن يسوع عاش قبل أن يولد محمد بستة قرون. وعلى الرغم من ذلك فأنا اعتقد أننا نستطيع أن نخمن تخمينًا معقولًا حول الأشياء التي قد يكون يسوع قالها عن محمد استنادًا إلى تعاليم يسوع التي نعرفها الآن. أما في النصف الثاني من هذا الفصل فسنأتي إلى عرض هذه الأفكار.

احترام محمد ليسوع

وصف محمد نفسه ويسوع كـ «إخوان في الإيمان.»

> قال رسول الله: «أنا قريب جدًا إلى يسوع بن مريم بين كل الخلق في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة، فقالوا: وكيف هذا يا رسول الله؟ فرد عليهم بقوله: الأنبياء إخوة في الإيمان من أمهات مختلفة، دينهم واحد وليس بيننا رسول (بيني وبين يسوع المسيح).

لذا وعلى حد قول محمد، فإنه ويسوع يتبعان الدين نفسه، ولكن هل هذا صحيح؟ وكيف يكون هذا ممكنًا؟ لفهم هذا المنطق وتعاليم محمد الأخرى عن يسوع، يجب أن نعي حقيقة مهمة ألا وهي كيفية وصف محمد للعلاقة بين الإسلام والمسيحية واليهودية.

الإسلام واليهودية والمسيحية

عزيزي القارئ، من الجدير بالذكر أن محمدًا كان يعيش في مجتمع يضم يهودًا ومسيحيين وأيضًا عبدة أصنام. غير أنه وبسبب ادعائه عبادة إله واحد كما فعل اليهود والمسيحيون، فإنه كان عليه أن يبين لهم ما إذا كان هذا الإله الواحد هو الإله نفسه الذي يعبدونه أم لا!

> مَا كَانَ إبراهيم يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبراهيم لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
> (سورة ٣: ٦٧–٦٨)

استنادًا إلى محمد، فإن إبراهيم مارس الإسلام وعَبَدَ الله. فكل الأنبياء الذين انحدروا منه كذلك مارسوا الإسلام. والقرآن يذكر العديد من هؤلاء الأنبياء (المذكورين في الإنجيل) ويذكرهم بالاسم، من ضمنهم إسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف ونوح وداود وسليمان وموسى. حتى إن القرآن يذهب إلى القول بأن يوحنا (المعمدان) ويسوع كانا من أنبياء الله أيضًا (سورة ٤: ١٦٣ و٦: ٨٤–٨٦ وأيضًا انظر ٢: ١٣٠ و١٣٥ و٣: ٩٣ و٤: ١٢٥ و٦: ١٦١). وأشار محمد إلى كل الأنبياء كإخوانه ماعدا إبراهيم، فقد أشار إليه بصفة الأب. والسؤال الآن هو إذا افترضنا جدلًا أن كل الأنبياء كانوا يتّبعون الإسلام فمن أين جاءت اليهودية والمسيحية؟ فالقرآن يذكر أن اليهود والمسيحيين حرفوا رسائل الأنبياء (سورة ٢: ٧٥ والآيات

٧٦–٧٩ وسورة ٥: ١٣)، ولذلك فإن الكتب اليهودية والمسيحية هي غير مقبولة. ادعى محمد أن وحيه قد ألغى المسيحية واليهودية وعاد بالناس إلى الدين الوحيد الحق الذي فهمه إبراهيم ومارسه، ألا وهو الإسلام. لذا فعندما تكلم محمد عن يسوع، أشار إليه كنبي من أنبياء الله وممارسٍ للإسلام أيضًا. فلننظر الآن إلى بعض تعاليم محمد بالذات عن يسوع وسنرى أنه اتفق مع الإنجيل بخصوص بعض الأحداث في حياة يسوع. ولكن محمدًا أيضًا خالف الإنجيل في معظم التعاليم الأساسية.

تعاليم محمد عن يسوع

ذكر محمد عدة بيانات ايجابية عن يسوع وخصوصًا من خلال الآيات القرآنية. وقد قمتُ بتحضير مجموعة آيات كاملة من القرآن والتي تصف خِصال يسوع التي ذكرت في الإنجيل. بإمكانك عزيزي القارئ الاطلاع على هذه المجموعة في الملحق الرابع، فإحدى أهم هذه الآيات هي سورة ٣: ٣٣– ٦٣. فالباحثون المسلمون يقولون إن محمدًا قدَّم هذه الآيات إبان زيارة الأساقفة المسيحيين العشرة من نجران، (ونجران هذه تقع في المنطقة الحدودية لليمن الحالية) حيث جاء الأساقفة للحديث مع محمد عن الإسلام. وقالوا، «نحن مسلمون» أي ما معناه «إننا، وحتى قبل مقابلتك، كنا نعبد إلهًا واحدًا». فمضى محمد يشرح لهم الفروقات بين الإسلام والمسيحية بإسهاب، فقدم لهم في البداية قصصًا عن مريم أم يسوع، وعن ولادة يوحنا المعمدان، (والقصص هذه ولو أنها تحوي الكثير من التفاصيل المذكورة في الإنجيل لكن في الوقت نفسه احتوت الكثير من المعلومات التي لم توجد في الإنجيل.). وقد وَصَفَ يسوع بهذه الخصال:

أن يسوع قد ولد من عذراء

إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.... قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

(سورة ٣: ٤٥ و٤٧ وسورة ٤: ١٧١)

لقد أكد محمد أمام مسيحيي نجران أن مريم قد حبلت وهي عذراء. ليس هذا فحسب بل قال إن يسوع هو المسيح، ومضى محمد يؤكد أن يسوع قد قام بمعجزات أيضًا.

يسوع يقوم بالمعجزات

وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

(سورة ٣: ٤٩)

وعلى الرغم من أن قصة الطير الطيني غير موجودةٍ في الإنجيل، لكن نهاية السورة تتشابه كثيرًا مع كلمات يسوع المذكورة في الإنجيل.

فَأَجَابَهُمَا يَسُوعُ: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ».

(متى١١: ٤ –٥)

أي أن محمدًا اتفق بالرأي مع المسيحيين بأن يسوع قد قام بالعديد من العجائب العظيمة، حتى إنّه قد أقام الأموات. (هذا جزءٌ صغيرٌ فقط من الكثير من الإشارات الإيجابية في القرآن بخصوص يسوع. الرجاء الإطلاع على اللائحة الكاملة في الملحق الرابع). وعلى الرغم من ذلك فإن محمدًا اختلف عن الإنجيل في عدة نقاط؛ فعلى سبيل المثال، أخبر محمد هذه المجموعة من الأساقفة المسيحيين أن يسوع يعبد الله.

يسوع يعبد الله

إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ

(سورة ٣: ٥١)

قال محمد إن تلاميذ يسوع قد أعلنوا: «أننا مسلمون» (آية **٥٢**)، ورفضوا إلاَّ عبادة الله (آية **٥٣**) أي أن محمدًا قال إن التلاميذ رفضوا عبادة يسوع كرب. غير أن الإنجيل ذكر عدة أمثلة حيث كان التلاميذ يعبدون يسوع (متى **١٤: ٣٣** و**٩: ٢٨** ولوقا **٢٤: ٥١–٥٢**). وختم محمد كلامه بإخبار زواره المسيحيين «هذا هو الكلام الحق...» (سورة **٣: ٦٢**). وعلى الرغم من ذلك كله فقد رفض الوفد رسالة محمد. بينما أعطى حديث محمد نظرة شاملة دعونا ننظر إلى عدة عبارات في القرآن والتي تجسد وجهة نظر محمد بخصوص يسوع.

ادعى محمد أن يسوع تنبأ عن قدومه

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ

(سورة ٦١: ٦)

أحمد هو أحد الأسماء المستعملة للإشارة إلى محمد، فهو يدَّعي أن يسوع قد تنبأ بقدومه، أي أنه ادَّعى أن المسيحيين قد أزالوا معظم هذه الإشارات من الإنجيل. ويذهب بعض الباحثين المسلمين المعاصرين إلى الادعاء أن جزءًا من أقوال يسوع في سفر يوحنا يشير إلى محمد، غير أن المسيحيين يفسرون هذه الآيات بأنها إشارات إلى الروح القدس وبتواردٍ جلي (يوحنا ١٤: ١٦–١٧ و١٦: ٧، أنظر أيضًا الملحق الرابع).

الله لا ولد له

سيفاجأ أي مسيحي يقرأ القرآن بفيض المرات التي يكرر القرآن رفضه أن يكون هناك ابن لله. ومثالًا على ذلك سنقوم هنا بسرد بعض هذه الآيات:

مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ
(سورة ٢٣: ٩١)

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ
(سورة ٤٣: ٨١)

وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ
(سورة ٤: ١٧١)

ليس ليسوع أن يُعبَد

استنادًا إلى القرآن، فإن الله سيسأل يسوع يوم القيامة، «هل قلت للناس «أعبدوني أنا وأمي إلهين مع الله؟»» وسيجيب يسوع قائلًا: «أبدًا لم أقل لهم غير ما أمرتني بقوله، أن تعبدوا الله ربي وربكم» (سورة ٥: ١١٦–١١٧؛ وأيضًا أنظر آية ٧٢).

قال محمد إن المسيحيين على خطأ في عبادة يسوع.

لا تبالغوا بمدحي كما يمدح المسيحيون بابن مريم فما أنا إلا عبد. بل ادعوني عبد الله ورسوله.

يسوع لم يقم من بين الأموات

يقول محمد مشيرًا ومحدثًا الذين قالوا إن يسوع قد صُلِب:

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا... بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

(سورة ٤: ١٥٧–١٥٨)

أي أن محمدًا قال إنّه بدلًا من صلبه فإن يسوع قد رفع مباشرةً إلى الله.

خاتمة

كانت تعاليم محمد عن يسوع، خصوصًا التي هي من القرآن، متطابقة وإيجابية حيث دعمت بعض الحقائق التي جاءت في الإنجيل. غير أن الآيات القرآنية أنكرت وكررت إنكارها أهمّ الحقائق التي أعلنها يسوع وهي كونه ابن الله.

ملخصًا لما سبق فإن الإسلام ادَّعى أن يسوع هو أحد أنبيائه، ومحمد أعلن أن يسوع تنبأ بقدومه. والآن دعنا عزيزي القارئ نتمعن في ما قد يكون يسوع قاله عن محمد.

تعاليم يسوع عن محمد

قبل الخوض في التفاصيل أود أن أوضح عزيزي القارئ أن هذا الفصل عن يسوع يُمكن أن يُكتب كرأي شخصي بحت، لأن يسوع

لم يذكر أي شيء عن محمد مباشرةً. فقد عاش يسوع ستّ مئة سنة سابقة لعصر محمد، لذا وجب علينا أن نطابق ما نعرفه عن تعاليم يسوع وما نعرفه عن محمد. وفي رأيي الشخصي فإن يسوع كان سيناقض نبوَّة محمد، وبالتركيز كان سيختلف معه في ثلاث نقاط مبدئية وهي: ١) معاملة محمد للآخرين، ٢) وصف محمد لفرائض إرضاءً للهِ، ٣) وصف محمد لطبيعة الله.

معاملة الآخرين

هكذاعلم يسوع الجموع: «ٱحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ... مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ.... هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً» (متى ٧: ١٥–١٧)

فثمار حياة الإنسان هي أعماله. وعلى ضوء ذلك تعال عزيزي القارئ نَدرس ثِمار حياة محمد. فقد استطاع محمد خلال مهارته الحربية والمناهضات الكلامية وسياسة الترهيب والترغيب أن يُخضع الجزيرة لسيطرة الإسلام؛ فقد قامت جيوشه بقتل الآلاف من العرب الذين سلبهم محمد وجيوشه مالهم وباع نساءهم وأولادهم كعبيد.

تستطيع أن تناهض ذلك بحجة أن محمدًا كان يقاتل من أجل حياته ومن أجل بقاء الإسلام وديمومته، غير أن هذه الحجة سوف تفقد منطقيتها مرحليًا وتاريخيًا؛ حيث بعد أن عَزز محمد موقفه وقوَّى مركزه، بدأ بالتوسع بغزواته في أنحاء الجزيرة حتى على الذين لم يشكلوا مصدرًا لأي خطر عسكري أو تحدٍّ اقتصادي عليه بالمرة. وحقيقة كوني باحثًا ومتخصّصًا في التاريخ الإسلامي، لا أحبذ أن أتجنب الحقائق في حياة محمد والتي تعيد إلى ذاكرتي قصة ذكرها يسوع، تصف السارق الذي يأتي لسرقة الخراف، حيث يقول:

«اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ...» (يوحنا ١٠:١٠)، وهذه كانت ثمار حياة محمد. واستنادًا إلى ما تقدم أنا اعتقد أنه لو كان ليسوع أن يلتقي بمحمد لكان نعته بالنبي الكاذب.

ما المطلوب عمله لإرضاء الله؟

في كلٍ من إنجيل متى وإنجيل لوقا ذكر الإنجيليان التوبيخ الذي وجهه يسوع إلى رئيس الكهنة ومعلمي الناموس. وأحَد الأمور التي استاء منها يسوعٍ كان أنهم أثقلوا كاهل الناس بالناموس (الشريعة اليهودية) دون أن يمكّنهم ذلك من العمل على تقريبهم من الله. وقد نعتهم يسوع بـ«القادة العميان». فلماذا يا ترى استعمل يسوع هذا الصورة لوصفهم؟

فَقَالَ: «وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالًا عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ..»

(لوقا ١١: ٤٦)

كان الناموسيون (معلمو الناموس) يطالبون الناس بالالتزام بالقواعد المرهقة في حياتهم اليومية وعبادتهم، وبأسلوب مماثل للأسلوب الذي مارسه محمد في مطالبة الناس باتباع الفرائض والقوانين الإسلامية (كالصوم والزكاة والصلاة خمس مرات في اليوم والحج إلى مكة والحفاظ على باقي قوانين الشريعة الإسلامية) بغية إرضاء الله. وقد وضعت هذه الشرائع عبءًا ثقيلًا على كاهل الناس مركزة على الأعمال الخارجية. أمَّا يسوع فقد تحدى أولئك الذين ركزوا على القوانين بقوله «أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا.» (لوقا ١١: ٣٩) احتجَّ يسوع علنًا ضد المتزمتين من قادة اليهود الذين يتبجحون بإطالة صلواتهم بينما يستولون على بيوت

الأرامل. وأنا على يقين أن يسوع كان سيوجه التحدي نفسه لمحمد، الذي عَلَّمَ المسلمين أن يغسلوا أجسامهم من الخارج خمس مرات في اليوم قبل الصلاة، بينما في الوقت نفسه حثهم على القتال واستغل جشعهم لأسلاب الحرب لإثارتهم ودفعهم إلى المخاطرة بحياتهم (إقرأ متى ١٥). فقد عَلَّمَ يسوع أن رحمة الله هي أقوى بكثير من القانون لذلك تراه يوبخ الكهنة والرؤساء لاتباعهم الناموس وتناسي رحمة الله. ومثالاً على ذلك أن يسوع قد خالف الناموس اليهودي بسبب «عمله» يوم السبت من أجل شفاء المرأة المعاقة (لوقا١٣: ١٠–١٧). وهنا أيضًا فأنا أعتقد أن يسوع كان سيوبخ محمدًا على المتطلبات المزيفة التي وضعها لإرضاء الله.

طبيعة الله

أنا أعتقد أن يسوع كان سيقول لمحمد، «من هو (الله)ك هذا؟ فالإله الذي تصفه أنت يختلف تمام الاختلاف عن الذي أعرفه أنا». فالقرآن يذكر أن (الله) الإسلام يعمل مع الشيطان والجان ليقود الناس إلى الضلال (سورة ٦: ٣٩ و١٢٥ و٤٣: ٣٦–٣٧)، بينما يقول الإنجيل إن الله يحب العالم ولا يريد أن يَضل أحد (يوحنا ٣: ١٦–١٧). فيسوع وصف إلهًا للحب؛ بينما محمد وصف (ومن خلال الآيات القرآنية) إلهًا للعقاب والتأديب. فعلى سبيل المثال إذا حاولتَ عزيزي القارئ أن تبدأ بحثًا في العهد الجديد عن الكلمات التالية: (عاقب ويعاقب وعقوبة) فإنك ستجد ما لا يزيد على ١٥ مثلًا، وكلها موجه لغير المؤمنين حيث يعاقَبون في جهنم. (أما العهد القديم ففيه ١٥٩ مثالًا لهذه المفردات.) غير أنك إذا بدأت بحثًا في القرآن (وهو أقصر من العهد الجديد) عن هذه الكلمات نفسها (عاقب ويعاقب وعقوبة) فإنك ستجد ٣٧٩ مثالًا. تصف هذه الآيات كيفية معاقبة الله الناس والخطيئة، كما تستطيع أن تجري بحثًا عن كلمة الحب في القرآن

عندها ستجد ٨٢ مثالًا وهذا عدد لا بأس به. ولكن إذا حاولت أن تبحث عشوائيًا، وفي سياق الكلام لهذه الأمثلة، فإنك ستجد إشارات وأوصافًا متكررة لما لا يحبه الله (يشرح الفصل ١٤ بتفصيل أكثر تعاليم القرآن بخصوص الحب). أما من الناحية الأخرى فإنك إذا بحثت عن كلمة حب في العهد القديم، فأنك ستجد ٢٦٠ آية، وقرابة الثلث من هذه الآيات تحدثك عن محبة الله لابنه وللناس والنصف الآخر يحدثك عن محبة الناس لله ولبعضهم البعض. أما باقي الآيات فإن كلمة حب استعملت في سياق كلام عن التعليم، ومثال ذلك، «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (رسالة تيموثاوس الأولى ٦: ١٠). السفر الوحيد الذي يتكلّم فيه الله عن عدم محبة إنسان ما أو شيءٍ ما هو الآية الثالثة عشرة في الإصحاح التاسع من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية. والآن وبكل بساطة يستطيع القارئ اللبيب أن يُدرك أن مبدأ الحب كان مستعملًا في مجتمع يسوع أكثر من مجتمع محمد ولكن عدا ذلك، فإن هذه الإحصائيات تشير إلى فروقات مثيرة للعجب بين طبيعة الله الذي وصفه محمد والله الذي يصفه يسوع. وأنا على يقين أن يسوع كان سيتحدى الوصف الذي أعطاه محمد لله.

ردّ يسوع على الأرواح الشريرة

في ختام هذا كله دعنا عزيزي القارئ ننظر إلى القصة التي لايعرفها الكثيرون عن حياة محمد والتي جسدت إنسانيته. ففي المسيحية تعتبر إهانة ما بعدها إهانة قول مؤمن إنّه تحت تأثير الأرواح الشريرة. ولكن وجهة النظر الإسلامية لا تعتبره خروجًا عن الإيمان أن يقع المسلم تحت تأثير الشيطان. ودليل ذلك، استنادًا إلى قصة في الحديث، فقد أخبر محمد عائشة أنه كان متضايقًا بسبب «تعويذة» ضايقته.

روت عائشة أن يهوديًا من يهود بني قريضة كان يدعى لبيد الأعصم، ألقى رسول الله بتعويذة كان نتيجتها أنه (وتحت تأثير التعويذة) شعر بأنه كان يفعل شيئًا، بينما في الحقيقة لم يكن يفعل ذلك (واستمرت حالته تحت هذا التأثير) إلى أحد الأيام أو إحدى الليالي حين تضرع رسول الله (لإبعاد تأثيرها) وتضرع ثانية وثالثة.

خاتمة

حذر يسوع من مجيء الأنبياء الكذبة، وعلَّم أتباعه كيفية التعرف عليهم وذلك بتمييز أفعالهم إذا ما كانت طيبة أم شريرة! فعندما واجه يسوع القادة الدينيين الذين كانوا يضطهدون الشعب، وبَّخهم. وأنا في اعتقادي أن هذه المعلومات تعطينا فكرة جلية عن الكيفية التي كان يسوع سيرد بها على محمد مباشرة.

والآن بعد أن نظرنا إلى ما علَّمه كل من يسوع ومحمد، ومن ادَّعى كل منهما أنه كان، أو محتملًا أن يقولاه عن بعضهما، لننتقل عزيزي القارئ إلى أحد مواضيع التعاليم، وبالذات موضوع الشفاء والمعجزات.



شفاء المرضى والعجائب

كشاب يافع، كان لديَّ مكانة مرموقة في مجتمعي بسبب حفظي القرآن وكذلك دراستي في المعهد الأزهري الثانوي. ونتيجة لذلك كان الناس غالبًا ما يدعونني كي أصلي لأقربائهم أو أصدقائهم المرضى.

وكنت كلما زرت شخصًا مريضًا كان أول شيء أفعله هو أني دائمًا أجلس قرب المريض أو المريضة وأقرأ من القرآن. أقرأ الآية التي يعرفها الجميع بخصوص الشفاء:

> وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
>
> (سورة ١٠: ١٠٧)

بتلاوة القرآن كنت آمل أن ألفت انتباه الله إلي. بعد ذلك كنت أصلي وأقول: «يا الله، عبدك مريض، ومنك المرض، والشفاء أيضًا يأتي منك فنسألك الرحمة»، غير أني لم أكن أشعر بكثير من الراحة عندما كنت أفعل ذلك لأني كنت أشعر بأن الله بعيد عني ولم أكن متأكدًا ما إذا كنت سأنجح في لفت انتباهه أم لا!

وبعد كل هذا فإن القرآن يقول لا أحد يستطيع أن يتدخل لتغيير نوايا الله:

قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا

(سورة ٤٨: ١١)

وقد قال محمد نفسه إنّه لم يكن بإمكانه أن يؤثر على الله من أجله:

قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا...

(سورة ١٠: ٤٩) (وانظر سورة ٧: ١٨٨)

لذا فقد كنت أغادر بيت المريض دون معرفة ما إذا كان الله سيستجيب إلى دعائي أم لا! ولكني كنت قد أتممتُ ما أمر الله به.

هناك الكثير من الاختلافات بين يسوع ومحمد وخاصة في مجال شفاء المرضى والعجائب، حيث يبدو هذا التباين واضحًا جدًا للعيان. وقبل أن نبدأ بالمقارنة بين يسوع ومحمد أود أن أشرح سبب احتلال هذا الموضوع موقع الصدارة في المناهضات الكبيرة بين المسلمين.

النقاش حول محمد والمعجزات

موضوع محمد وإتيانه المعجزات مازال موضوعًا مثيرًا للجدل بين المسلمين. فلا يتفق الكل حول مسألة محمد وصنعه للمعجزات. غير أن المسلمين أنفسهم يقبلون حقيقة أن يسوع قد صنع المعجزات (كما يدعم القرآن ذلك) وكل هذا بسبب التناقضات بين القرآن والحديث. تذكر الحقيقة الثابتة أن محمدًا كانت له معرفة تامة لما كان في القرآن من آيات، ولسبب بسيط وهو أن القرآن مكون من الآيات التي نزلت على محمد بوساطة الملاك جبريل. غير أنه لم يكن له أيّ دراية أو تحكم في

الحديث وفحواه، لأن أتباعه يستطيعون أن يسردوا أي رواية تروق لهم، ناهيك عن حقيقة كونها قد حدثت أم لا! ومحمد لا عِلمَ له بكل ذلك. يقول القرآن إن محمدًا لم يكن تحت طائلة أي التزام بأن يُظهِر أي علامة تبرهن نبوّته، بل بدلًا من ذلك يُقَدِّم القرآن على أنه أعظم علامة للنبوّة، ومحمد كان عليه أن يخبر الناس بأن:

وَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ

(سورة ٢٩: ٥١)

أي أن محمد كان يقول: «أنا هو النبي ولا تسألوني عن علامات، فالعلامات هي لله لكي يصنعها» واختُتِمَت الآية بالقول «فالقرآن هو علامة تكفي!» وهكذا فإن كل المسلمين قاطبة يعترفون بأن القرآن هو أعظم معجزة أُعْطِيَتْ للبشرية، ويعلن القرآن أن ليس هناك أي إنسان أو روح بإمكانه أن يخلق كتابًا مثله أو يأتي بما يساويه.

قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

(سورة ١٧: ٨٨)

لَوْ أَنزَلْنَا* هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ.

(سورة ٥٩: ٢١)

لذلك ترى في الحديث ادعاءات عن معجزاتٍ مشكوك بأصالتها؛ فبعض الباحثين المسلمين يعتقدون أن قصص هذه المعجزات كانت قد ألّفها من قبل صحابة محمد بعد وفاته للحث على إقناع الناس أن محمدًا

* استعمال لفظة «كنا» بصيغة الجمع يعود إلى العزو بالعظمة وليس إلى مجرد جمع الكلمة.

كان نبيًا حقيقيًا. غير أن آخرين من المسلمين يؤمنون بأن ما قيل عن هذه المعجزات هو الحقيقة. فعندما كنتُ صغيرًا، صَدَّقتُ القصص التي كانت تسرد علينا، غير أننا لم نكن نَدرُس الكثير عن محمد وهو يصنع المعجزات. فهذا المبدأ لم يكن لتتمحور حوله الدراسات الإسلامية.

انطلاقًا من هذا المفهوم، دعنا عزيزي القارئ نقارن المعجزات بين يسوع ومحمد. ولغرض الوضوح وأمانة النقل ارتأينا أن نقسم الكلام عن المعجزات إلى ثلاث فئات: أولاها شفاء العلل الجسدية، ثانيتها طرد الأرواح الشريرة وآخرها المعجزات في عالم الطبيعة. وبعد أن نكمل ذلك سننظر إذا ما كان يسوع أو محمد قد أعطى القدرة لأتباعه ليصنعوا المعجزات ويشفوا العلل.

شفاء العلل الجسدية

محمد

ليس هناك أي ذكر، حتى في الحديث، عن كون محمد قد صلى للناس ليشفوا من عللهم. وليس لدي أي علم عن قصص تكون قد ذُكرتْ عدا هاتين القصتين.

خلال الهروب من مكة إلى المدينة (الهجرة الثانية) كان محمد قد اختبأ برفقة صاحبه أبي بكر في أحد الكهوف. وعن ذلك يقول أحد المؤرخين أن أبا بكر لدغته حية سامة وبدأ السم يفعل فعله المميت في جسمه وكان يعاني الأمرين من ذلك فقال له محمد: «لا تحزن يا أبا بكر فإن الله معنا.» فشفي أبو بكر. هذه القصة مشهورة جدًا بين المسلمين وغالبًا ماتُستعمل في الخطب وخاصة خلال الاحتفال بذكرى الهجرة والذي يقام كل عام. ويقال إن القصة قد رويت عن عمر بن الخطاب استنادًا إلى أبي بكر حيث سمعها منه. غير أن المؤرخ الإسلامي ابن كُثير قال إن هذا الحديث لم يكن يبدو مألوفًا له وإنّه مشكوكٌ في أصالته،

وقد ذكر ابن كُثير إضافة إلى ذلك صيغة أخرى لهذه الرواية نفسها، وهو يسردها كالآتي: «كان أبو بكر مع رسول الله في الكهف، وكانت يد أبي بكر تؤلمه من أثر حجارة ارتطمت بها. لم يحاول محمد أن يُصلّي له أو أن يلمسها، غير أن أبا بكر ألف شعرًا من سطر واحد موجَهًا إلى إصبعه قال فيه : «فأنتَ لست إلا إصبعًا، لستَ إلا أصبعًا نازفًا وهذا النزف هو في سبيل الله.» ومع رفض ابن كُثير قصة الأفعى وعلى الرغم من أنه قال إن احتمال أن يكون أبو بكر قد جرح إصبعه أقرب إلى الحقيقة، غير أن معظم المسلمين يحبذون تصديق قصة الأفعى.

أما القصة الثانية فقد وردت على لسان عائشة ثاني زوجات الرسول قولها إن محمدًا كان معتادًا أن يدعو لزوجاته وللمسلمين المرضى بالشفاء وكان يمسهم بيده اليمنى. وكانت عائشة هي الوحيدة التي ذكرت هذا الشيء. فإذا كان محمد معتادًا أن يصلي للمسلمين المرضى لكان من المرجح أن يذكر أتباعه ذلك أيضًا. غير أنه ليس هناك أي ذِكر للناس الذين شفوا بعد صلوات محمد لهم. حتى ولو وجدنا أي ذِكر للشفاء في الحديث، فإنه سوف يكون مخالفًا لتعليم القرآن الذي يقول إن محمدًا لن يقوم بعمل أي علامة. وإذا تناقض أي حديث مع القرآن فإن الحديث سيرُفَض وهنا الترجيح للقرآن. وكل هذه الملاحظات من عائشة لا يخطب بها لأن الشفاء ليس موضوعًا يتكلم به الأئمة؛ فهو ليس جزءًا مهمًا في الإسلام. وبدلًا من تقديم الأدلة على قيام الله بالشفاء، نستهدي بالتاريخ الإسلامي الذي يعرض بعض الأمثلة عن حالات كان فيها الشفاء حاجة ملحة غير أنه لم يَحدُث. فعندما قَدِمَ المسلمون إلى المدينة أول الأمر، مرض الكثيرون منهم وأصبحوا يهذون من شدة الحمى. وعلى الرغم من أن محمدًا لم يُصَبْ بالحمى غير أنه لم يُذكر أي شيء عن محاولته أن يصلي لشفائهم. إلا أنه عندما رأى المسلمين يؤدون صلاتهم وهم جالسون قال لهم، «اعلموا أن صلاة الجالس لها نصف ثواب صلاة الواقف». ويَخْلص المؤرخ إلى القول:

«لذلك فإن المسلمين رغم معاناتهم من الألم وضعفهم نتيجته، جاهدوا للوقوف على أقدامهم طالبين البركة.»

كان لمحمد ولَدان (القاسم وإبراهيم)، وكلاهما توفيا صغيرَين. والحديث يسجل لنا هذه الواقعة عن حادثة وفاة إبراهيم:

> ذهبنا مع رسول الله إلى الحداد أبي سيف، وكان زوج مربية ولده إبراهيم (ابن النبي)، فأخذ رسول الله إبراهيم وقبله وشمه ومن ثم دخلنا بيت أبي سيف في وقت كان إبراهيم يلفظ أنفاسه الأخيرة فاغرورقت عيناه بالعبرات وبدأ يذرف الدموع فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله حتى أنت تبكي!» فأجاب، «يا ابن عوف هذه رحمة.» وبكى كثيرًا وقال «العيون تذرف الدمع والقلب حزين ولن نقول إلا مايرضي ربنا، ألا يا إبراهيم! فحقًا قد بلينا حزنًا بفراقك.»

فإذا كان محمد يستطيع أن يصلي من أجلِ الشفاء، فأنا اعتقد أنه كان سيفعل ذلك كي لا يموت ابنه. لذا فإن ما ذُكِر وسُجِل عن الشفاء، يقودنا وبكل بساطة إلى قناعة أن الشفاء لم يلعب دورًا مهمًا في حياة محمد. وهناك احتمال كبير أنه لم يُصَلِ لشفاء أحد قط.

يسوع

إذا كنتَ قد أكملتَ قراءة أي جزء من الإنجيل فستلاحظ أن روايات الشفاء الجسدي تشغل جزءاً لا بأس به من القصة العامة. والأمثلة على ذلك تشمل:

- ابن خادم الملك الذي كان مشرفًا على الموت (يوحنا ٤: ٤٦–٥٢).

- الحمى التي أصابت حماة بطرس (متى ٨: ١٤–١٥ ومرقس ١: ٢٩–٣١ ولوقا ٤: ٣٨ –٣٩).
- الرجال المصابون بالجذام (هذا المرض المشوه للجلد كان فتاكًا في معظم الأحيان) (متى ٨: ١–٤ ومرقس ١: ٤٠–٤٥ ولوقا ٥: ١٢– ١٥ و١٧: ١١–١٩).
- الرجل المقعد (متى ٩: ١–٨ ومرقس ٢: ١–١٢ ولوقا ٥: ١٨– ٢٦).
- الرجل العاجز عند بِركة بيت حسدا (يوحنا ٥: ١–١٥).
- الرجل ذو اليد اليابسة (متى ١٢: ٩–١٣ ومرقس ٣: ١–٦ ولوقا ٦: ٦–١١).
- خادم ضابط الجيش الروماني المريض (متى ٨: ٥–١٣ ولوقا ٧: ٢–١٠).
- إقامة ابن الأرملة من بين الأموات (لوقا ٧: ١١–١٧).
- إقامة ابنة الحاكم من بين الأموات (متى ٩: ١٨–٢٦ ومرقس ٥: ٢١–٤٣ ولوقا ٨: ٤٠–٥٦).
- المرأة ذات النزيف الحيضي المزمن (متى ٩: ٢٠–٢٢ ومرقس ٥: ٢٥–٣٤ ولوقا ٨: ٤٣–٤٨).
- الرجال العميان (متى ٢٠: ٢٩–٣٤ ومرقس ٨: ٢٢–٢٥ و١٠: ٤٦–٥٢ ويوحنا ٩: ١–٣٨).
- الرجل الأصم الأبكم (متى ٩: ٣٢–٣٤).
- المرأة الحدباء (المنحنية) المقعدة (لوقا ١٣: ١٠–١٧).
- الرجل المصاب بمرض الاستسقاء (لوقا ١٤: ١–٦).
- إقامة صديقه لعازر من بين الأموات (يوحنا ١١: ١–٤٤).
- شفاء خادم رئيس الكهنة بعد أن ضربه بطرس بالسيف وقطع أذنه (لوقا ٢٢: ٤٩–٥١).

بخصوص موضوع الشفاء، فإننا نستطيع أن نرى المقارنات غير الاعتيادية بين يسوع ومحمد. فعلى سبيل المثال لم يساعد محمد أعوانه الذين كانوا يعانون من الحمى، ولكن الإنجيل يذكر بالخصوص يسوع وهو يشفي الحمى لشخصين – حماة بطرس (مرقس ١: ٢٩–٣١) وابن خادم الملك (يوحنا ٤: ٤٨–٥٢). كذلك، وعلى الرغم من أن محمدًا لم يستطع أن ينقذ ولديه من الموت لكن يسوع أقام طفلين صغيرين من الموت وهما ابنة الحاكم وابن الأرملة. كذلك شفى يسوع صبيًا كان مشرفًا على الموت في كفرناحوم بمجرد قوله عبارة «اَذْهَبْ. اِبْنُكَ حَيٌّ». (يوحنا ٤: ٥٠).

وبهذا نستطيع أن نقول إن الشفاء قد لعب دورًا بارزًا في حياة يسوع، أما في حياة محمد فلم يرد له أي دور يستحق الذكر. والآن عزيزي القارئ دعنا نرى ماذا عَلَّمَ كل من يسوع ومحمد عن الغرض من الشفاء ومدعاة المرض.

الغاية من شفاء العلل وأسباب المرض

محمد

على الرغم من أن محمدًا لم يقدم أي تعاليم عن الشفاء أو الهدف منه، لكنه تكلم عن مصدر المرض. ومثالًا على ذلك فأنا سأستعمل الآية نفسها التي كنتُ قد تعودت أن أقرأها على الناس المرضى:

> وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
>
> (سورة ١٠: ١٠٧)

عَلَّمَ محمد أن المرض يأتي من الله، لذا فالمسلمون يؤمنون بأنه عندما يصاب الشخص بالمرض فهناك سبب لذلك. وقد يكون الشخص المريض قد فعل شيئًا أو أخطأ ضد الله، وإن الله بلاه بالمرض ليطهره من إثمه. والمسلمون يؤمنون بأن هذا التطهير سوف يضع الشخص في موقع أحسن عندما يقف بين يدي الله يوم الحساب. تتحدث هذه الآية عن كون الله هو الوحيد الذي يستطيع أن يزيل المرض. إنّ هذا التفسير أغضبني جدًا كمسلم، «فإذا كنتَ مريضًا وكنتَ تطلب المساعدة من الله فماذا تتوقع؟ إذا كان الله هو الذي أرسل المرض فهل تستطيع أن تقنعه بالعدول عن رأيه؟».

يسوع

قال يسوع إن معجزاته وشفاءه هما علامة للناس لتثبت لهم أنه قادم من عند الله.

> أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأعمال الْمَسِيحِ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» فَأَجَابَهُمَا يَسُوعُ: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ.
>
> (متى ١١: ٢–٥)

وبالعبارة نفسها قال يسوع لليهود:

> فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «إلى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جهْرًا». أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «إِنِّي

قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. اَلأعمال الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي.

(يوحنا ١٠: ٢٤–٢٥)

ويقول الإنجيل إضافة إلى ذلك أن ما كان يدفع يسوع لصنع معجزات الشفاء هو عطفه على الناس الذين كانوا يعانون من أمراضهم.

فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعًا كَثِيرًا فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ..

(متى ١٤: ١٤) (وأيضا متى ٢٠: ٣٤ ومرقس ١: ٤١)

كان عطف يسوع على الناس وعلى معاناتهم مطابقًا للمبادئ التي كان ينادي بها بخصوص مصدر المرض ومسبباته. ونستطيع أن نميز وجهة نظر يسوع من خلال العديد من الملاحظات التي ذكرها أثناء قيامه بشفاء الناس، حيث قال:

١– المرض قد يكون نتيجةً للخطيئة.

بَعْدَ ذَلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فلاَ تُخْطِئْ أيضًا لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ أَشَرُّ».

(يوحنا ٥: ١٤)

٢– يمكن أن يحدث المرض من دون خطيئة.

وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ أعمال اللهِ فِيهِ.

(يوحنا ٩: ١–٣)

٣– يمكن أن يكون المرض بسبب الأرواح الشريرة.

حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ.

(متى ١٢: ٢٢ ومتى ٩: ٣٢–٣٤ ومرقس ٧: ٣١–٣٧)

والآن وقد نظرنا إلى الشفاء الجسدي، دعنا عزيزي القارئ ننظر إلى نوع من الشفاء الروحي ألا وهو طرد الأرواح الشريرة.

طرد الأرواح الشريرة

ذَكَرَ كلٌ من يسوع ومحمد الأرواح الشريرة في تعاليمهما. والمسألة التي أريد أن أطرحها الآن هي ماذا فعل كلٌّ منهما للناس الذين جاءوا إليهما بطلب المساعدة ضد الأرواح الشريرة؟

محمد

لم يكن محمد معروفًا بقدرته على طرد الأرواح الشريرة، وفي الواقع فإن القرآن يقول إن الجان (أو الأرواح الشريرة) كانت تأتي للاستماع إلى محمد وهو يقرأ القرآن:

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا

(سورة ٧٢: ١)

وتذهب هذه السورة لتقول إن الجان قَبِلوا الإسلام وأصبحوا مسلمين (سورة ٧٢: ١٤). وكان محمد كلما صلى ازدحم حوله الجان للاستماع إليه (سورة ٧٢: ١٩)، لذا فإن علاقة محمد مع الجان كانت تختلف عن علاقة يسوع بهم. غير أن لدينا مثالًا عن امرأة جاءت إلى محمد طالبة المساعدة لأنها كانت تشعر بأنها مستهدفة من قبل الجان:

امرأة مسلمة جاءت إلى محمد وقالت له: «أولئك الأنجاس – الأرواح الشريرة – قد لبستني وهي تقلقني وتعذبني، فقال محمد، «إذا كنت صبورة بما أَلَمَ بك فإنك ستقفين يوم الحساب أمام الله طاهرة من أي إثم، فقالت، «أقسم باسم الذي أرسلك أني سأكون صبورة حتى ألاقيه، غير أن خوفي هو من أن هذا الشرير قد يجبرني على أن أخلع ثيابي بين الملأ وأكون قد ارتكبت الفاحشة عندئذ قال محمد لها: «كلما شعرت بالجان عليك يجب أن تذهبي إلى الكعبة وتلفي نفسك بغطائها.» ودعا محمد لها بالشفاء.

لنتوقف عزيزي القارئ هنا لحظة ونتمعن بما قدم محمد لهذه المرأة فهو لم يطرد الجان منها، بل نصحها بأن تتحمل مضايقاته وقد تُشفى إن هي ذهبت إلى الحجر الأسود في الكعبة. غير أن نصيحة محمد لهذه المرأة تتعارض مع تعليم القرآن حيث يقول في السورة السابعة:

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.
(سورة ٧: ٢٠٠)

نستطيع الآن وبكل سهولة أن نستنتج أن محمدًا لم يُظهر أي قدرة على طرد الأرواح الشريرة.

يسوع

عندما كان يسوع يقابل شخصًا تعذّبه الروح الشريرة، كان ينهر الروح فتتركه في الحال. وأحسن مثال على ذلك هو المجنونان اللذان قابلهما يسوع بينما كانا يهيمان على وجهيهما بين القبور في منطقة

الجرجسيين، وكانا هائجين جدًا لدرجة أن أحدًا لم يكن يستطيع أن يسلك تلك الطريق. فصرخت الأرواح من داخل الرجلين تترجى يسوع قائلة، «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إلى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ». فَقَالَ لَهُمْ: «ٱمْضُوا». فَخَرَجُوا وَمَضَوْا (متى ٨: ٢٨–٣٤).

وأمثلة أخرى ليسوع وهو يطرد الأرواح الشريرة تتضمن:

- الرجل في معبد اليهود (مرقس ١: ٢٣–٢٨ ولوقا ٤: ٣٣–٣٧).
- الرجل الأصم والأعمى (متى ١٢: ٢٢).
- الرجل الأبكم (متى ٩: ٣٢–٣٤).
- ابنة المرأة الكنعانية (متى ١٥: ٢١–٢٨ ومرقس ٧: ٢٤–٣٠).
- الصبي الذي كان يعاني من الصرع (متى ١٧: ١٤–١٢ ومرقس ٩: ١٤–٣٠ ولوقا ٩: ٣٧–٤٣).

بالإضافة إلى هذه الأمثلة المفصلة، فإن الإنجيل يذكر مرارًا وبصورة عامة أن يسوع كان يطرد الأرواح الشريرة عندما كان يقصده الناس طلبًا للشفاء (متى ٤: ٢٤و ٨: ١٦ ومرقس ١: ٣٤ و٣٩)، قائلًا إنه يطرد الأرواح الشريرة بقوة الله (لوقا ١١: ١٤–٢٨).

أما الآن فدعنا نلقي نظرة على القضية التي يُعتبَرُ فيها موقف محمد موضع نقاش حاد ألا وهي – مسألة المعجزات.

المعجزات

محمد

قد علمنا في ما سبق أن محمدًا لم يكن يُعرف بالصلاة من أجل الشفاء الجسدي، أو بطرد الأرواح الشريرة، فهل كان معروفًا بعمل المعجزات؟

كما ذكرت في بداية هذا الفصل، إن هذه المسألة ما زالت موضع نقاش حاد بين المسلمين. فالمسلمون ينظرون إلى القرآن كأعجوبة عظيمة، وعدا ذلك فإن المعجزات لا تلعب دورًا مهمًا في قصة حياة محمد. أي أن المعجزات لم تكن بالشيء الذي يجذب الناس إليه. ولم يكن للمعجزات تأثير كبير على أسلوب معاملة الناس له ولا على الكيفية التي نشر بها رسالته. وبهذه الخلفية الفكرية دعنا عزيزي القارئ ننظر إلى المعجزات التي يُحتمل أن محمدًا قد قام بها. فهناك قصة «فلق القمر» المعروفة والتي يصفها الحديث كما يلي:

سأل أهل مكة النبي أن يريهم آية فأراهم آية فلق القمر.

ويشير القرآن إلى هذا في السورة ٥٤: ١ والتي تقول:

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ

يؤمن الكثيرون من المسلمين بأن القمر قد انشطر فعلًا إلى شطرين ومن ثم ظهر كجزءين منفصلين في السماء، في وقت كان على الأرجح خمس سنوات قبل الهجرة في مكة. غير أنه ليس هناك أي إشارة إلى هذه المعجزة من قبل محمد عندما تحدوه بإعطائهم آية. وهذه مسألة لم يوضع حل لها إلى الآن. وكل القصص المشيرة إلى المعجزات تظهر في الحديث فقط ولا ذكر لها في القرآن؛ ومن ضمن هذه الإشارات:

- مضاعفة التمور لغرض دفع دين.
- زيادة الماء.
  - من إناء لشرب الماء.
  - ومن بئر.
  - ومن قربتين للماء اقترُضتا من امرأة على جمل.

- يُخرج مطرًا بعد موسم جاف في المدينة.
- بكاء شجرة النخيل على فراق محمد.
- لفظُ الأرض لجثة رجل مسيحي كان قد كذب.
- نُطق الذئب ودعوته لرجل إلى الإسلام.
- إسراء محمد خلال الليل والذي ذكر فيه طيرانه من مكة إلى القدس ومشاهدته للجنة والجحيم.

يسوع

كان يسوع معروفًا بشفائه الأمراض وكانت الجموع تطلبه أيضًا للعجائب التي كان يصنعها. وأفضل مثال على ذلك هو عندما تجمَّع خمسة آلاف شخص في الخلاء ليسمعوا تعاليمه، وبقوا معه إلى وقت متأخر. وحين أراد تلاميذه أن يرسلوهم إلى القرى المجاورة ليبتاعوا طعامًا، قال لهم يسوع إعطوهم أنتم ليأكلوا. وعندما وجد يسوع خمس أرغفة وسمكتين، بارك وقال لتلاميذه أن يقدموا الطعام للجموع. والمعجزة هي أنه بهذه الكمية القليلة من الخبز والسمك تمكن يسوع أن يُشبع كل هذه الجموع، التي ظلت تتبعه وتتذكر مضاعفته الطعام (يوحنا ٦: ١–٢٧).

أما الأمثلة الأخرى على عجائب يسوع فتتضمن:

- تحويل الماء إلى خمر في عرس الجليل (يوحنا ٢: ١–١١).
- الصيد الكبير من السمك (لوقا ٥: ١–١١ويوحنا ٢١: ١–١٤).
- زجره العاصفة لتهدأ وعبوره هو وتلاميذه البحيرة (متى ٨: ٢٣–٢٧ ومرقس ٤: ٣٥–٤١ ولوقا ٨: ٢٢–٢٥).
- إطعام الجموع بالقليل من الطعام (متى ١٤: ١٣–٢١ و١٥: ٣٢–٣٨ ومرقس ٦: ٣٤–٤٤ و٨: ١–٩ ولوقا ٩: ١٢–١٧ ويوحنا ٦: ١–١٤).

- المشي على الماء في العاصفة (متى ١٤: ٢٢–٣٣؛ ومرقس ٦: ٤٥–٥٣؛ ويوحنا ٦: ١٦–٢١).
- إيجاد المال (في فم السمكة) لدفع الضرائب (متى ١٧: ٢٤–٢٨).
- تيبيس شجرة التين (متى ٢١: ١٨–٢٢؛ ومرقس ١١: ٢٠–٢٤).

وعلى الرغم من أن بعض هذه العجائب قد صنعها يسوع أمام الجموع (كأعجوبة عرس الجليل وإشباع الجموع) غير أن عددًا كثيرًا منها لم يشهدها إلا المقرّبون إليه من أتباعه.

نستطيع أن نستنتج ممّا سبق عزيزي القارئ أن هناك روايات عن معجزات قد صُنعت من قبل كلٍّ من يسوع ومحمد. فما كان الهدف من هذه المعجزات؟

غرض محمد من المعجزات

يقول بعضهم إن هذه المعجزات كانت آية لتأكيد رسالة محمد. غير أن القرآن يؤكد أن الآيات التي نزلت على محمد هي العلامة الوحيدة التي ستعطى له. ومازالت هذه المسألة مدار بحث ونقاش.

غرض يسوع من المعجزات

استعمل يسوع عجائبه علامةً على كونه الله، وخاصة لأتباعه. فمثلًا، أول معجزة قام بها يسوع كانت تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل. وكان هذا إثباتًا واضحًا لأتباعه. كذلك صنع يسوع العجائب مدفوعًا بالشفقة وخصوصًا مضاعفة الطعام لإشباع الجموع.

وَأَمَّا يَسُوعُ فَدَعَا تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي وَلَيْسَ لَهُمْ مَا

يَأْكُلُونَ. وَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصْرِفَهُمْ صَائِمِينَ لِئَلَّا يُخَوِّرُوا فِي الطَّرِيقِ».

(متى ١٥: ٣٢)

معجزات وشفاء من قبل الأتباع

سيبحث المقطع الأخير من هذا الفصل في ما إذا كان يسوع أو محمد قد علّما أتباعهما ممارسة الشفاء والقيام بالمعجزات.

محمد

لم يُعلم محمد أتباعه أن يصلوا من أجل الشفاء أو المعجزات، وليس هناك أي حديث قد قاله محمد لأتباعه يتضمن: «إذا مرض أحد أولادكم أو أقربائكم فصلوا واطلبوا من الله الشفاء»، أو أي إشارة في التاريخ الإسلامي لأيّ من رفاق محمد يقوم بالمعجزات أو الشفاء. فهذه لم تكن طريقتهم في نشر رسالة الإسلام. بل بدلًا من ذلك، وبعد موت محمد، ظل أتباعه منظمين في تشكيل عسكري ومستمرين في نشر الإسلام عن طريق الجهاد.

يسوع

توقع يسوع أن يحذو تلاميذه حذوه وأن يصنعوا المعجزات والشفاء مثل التي صنعها وأكثر.

اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأعمال الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أيضًا وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لأَنِّي مَاضٍ إلى أَبِي.

(يوحنا ١٤: ١٢)

وعندما أرسل يسوع تلاميذه ليكرزوا، قال لهم:

اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ.
مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا.

(متى ١٠: ٨ وأيضًا مرقس ٣: ١٥و لوقا ١٠: ٩)

والسؤال هو: هل تَمكَّنَ التلاميذ من الشفاء وطرد الشياطين كما فعل يسوع ؟ والجواب ما زال هو نفسه، نعم.

فَخَرَجُوا وَصَارُوا يَكْرِزُونَ أَنْ يَتُوبُوا. وَأَخْرَجُوا شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ.

(مرقس ٦: ١٢–١٣)

فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ».

(لوقا ١٠: ١٧)

يذكر العهد الجديد أنه بعد موت يسوع وقيامته كان أتباعه يقومون بعدة معجزات وعلامات عجائبية (أعمال الرسل ٢: ٤٣ وأيضًا رومية ١٥: ١٩)؛ ومثال ذلك:

- شفاء الرجل الأعرج (أعمال ٣: ١–١٠ و١٤: ٨–١٠).
- امرأة وزوجها يسقطان ميتين لكذبهما (أعمال ٥: ١–١١).
- إنقاذ الملاك للتلاميذ من السجن (أعمال ٥: ١٩–٢٠).
- طرد الأرواح الشريرة وشفاء المشلولين والمقعدين (أعمال ٨: ٦–١٣).
- شفاء المقعد (أعمال ٩: ٣٢–٣٥).
- المرأة التي أقيمت من بين الأموات (أعمال ٩: ٣٦–٤١).

- النبي المزيف يصاب بالعمى (أعمال ١٣: ٨–١١).
- إقامة الشاب اليافع من بين الأموات بعد سقوطه (أعمال ٢٠: ٩–١٢).
- الأفعى التي لسعت بطرس ولم تؤذِه (أعمال ٢٨: ٣–٥).

كانت الجموع مشدودة إلى التلاميذ ورسالتهم بسبب معجزاتهم وشفائهم العلل، كما كانت متعلقة بيسوع.

الخاتمة

ساعدت عجائب الشفاء والمعجزات على توضيح رؤيتنا بخصوص الفروق بين يسوع ومحمد، لأن حياة يسوع بين الناس كانت مدعومة بمعجزات الشفاء ومعززة بعجائب طرد الأرواح الشريرة. وبعد موته وقيامته استطاع تلاميذه أن يجذبوا الجموع من خلال الشفاء وطرد الأرواح الشريرة وعمل المعجزات.

بينما من ناحية أخرى يسجل التاريخ الإسلامي بعضًا يسيرًا من القصص عن معجزاتٍ ارتبطت بمحمد. أما معجزات الشفاء وطرد الأرواح الشريرة، فليس لها هناك أي ذكر.

بما أن معجزة شفاء الأمراض كانت الطريقة التي نشر بها يسوع رسالته، وبهذا التأثير الفعال، دعنا عزيزي القارئ نتوجه باهتمامنا إلى الطريقة التي استعملها محمد لنشر رسالته – أي عبر الحرب المقدسة أو الجهاد.



معنى الحرب المقدسة

بما أنك عزيزي القارئ قد قرأتَ قصص حياة يسوع ومحمد، فإنّ استيعاب تعليمهما عن الحرب واستعمال السيف سيكون سهلًا عليك. وكما ستلاحظ، إن هذا الفصل مقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولًا، سننظر إلى ما قد عَلَّمَ محمد عن التسامح مع الأديان الأخرى، وسبب إيمان المسلمين المعاصرين يؤمنون بأن الجهاد لا يقصد به المعركة الجسدية بل المعركة الروحية. بعدها سأشرح آيتين بالذات في الإنجيل حيث يتكلم فيهما يسوع عن الـ«سيوف». ويشير المسلمون إلى هاتين الآيتين ليبرروا قولهم بأن يسوع قد دعا أتباعه إلى حرب الجهاد. سنفسّرهما مستعملين شواهد أخرى من الإنجيل.

ثانيًا، سنفحص ما إذا كان محمد قد اعتبر مسألة الجهاد قضية مرحلية أو مسؤولية مصيرية للمسلمين. كما سنتطرق إلى كيفية إرشاد يسوع تلاميذه للردّ على أعدائهم.

ثالثًا، الاستنتاج من مقارنة المكافأة التي وعد بها محمد أتباعه لجهادهم، والمكافأة التي وعد بها يسوع أتباعه جزاءً لاختيارهم عدم القتال.

أما الخاتمة، فستُخصص للأجابة على سؤال مهم لطالما طرحه المسيحيون والمسلمون على السواء ألا وهو: كما أن التاريخ

الإسلامي ملطخٌ بالدم، كذلك أيادي المسيحيين عليها الدم، فما الفرق إذًا بين الحروب التي خاضها المسلمون والحروب التي قاتل فيها المسيحيون؟

محمد والسيف

التعايش أم الجهاد؟

هناك آيات في القرآن تدعو بكل وضوح إلى التعايش وعدم الإكراه:

لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(سورة ٢: ٢٥٦)

تقول هذه الآية، «أنت لا تستطيع أن تُجبر أحدًا على أن يغير دينه. والطريقة الصحيحة يجب أن تكون واضحة وجلية». ومحمد ذكرها خلال بداية وجوده في المدينة وقبل معركة بدر. وهذا مثل آخر على التعايش:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ....

(سورة ٢٩: ٤٦)

هذه السورة يُعتقد أنها نَزلت في مكة عندما كان المسلمون يُظلَمون ويُضطَهدون. وتقول الآية إن المسلم يجب ألا يتناقش مع اليهود والمسيحيين إلا بأحسن الطرق، وعليه أن يدعوهم إلى اتباع الإسلام. كان محمد هنا مازال يُؤمن بأن معظم اليهود والمسيحيين سيتقبلون الإسلام بسبب إيمان الإسلام بإلهٍ واحد فقط. غير أنه في القرآن نفسه ستجد آيات تشير إلى مقاتلة غير المؤمنين بطريقة حرفية وجسدية حيث يُقتل الناس أو يُؤسرون. فكيف تستطيع أن توفق بين هذه الأوامر

المتضاربة؟ لكن السر في ذلك هو أن تنتبه إلى الفترة الزمنية التي نزلت فيها هذه الآيات، فمثلًا:

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(سورة ٨: **٣٩**)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ

(سورة ٨: ٦٥)

تلك الآيات كانت قد نزلت في المدينة بعد معركة بدر (عام ٢ للهجرة)، بعد أول نصر غير متوقع حققه المسلمون على جيش مكة. فالسورة **٢: ٢٥٦**، والتي هي عن التعايش، كانت قد نزلت في المدينة قبل معركة بدر.

والسؤال الآن هو: أي من هذه الأوامر على المسلمين أتباعها؟ ففي أيام محمد كان الجواب واضحًا، أما الآن فإن الآية الجديدة قد نَسخت القديمة، والمسلمون فهموا من ذلك أنه عندما قالها محمد كان حينها وقت القتال؛ معنى ذلك أن وقت التعايش قد ولى. وهذا المبدأ يبدو جليًا في السورة التالية:

مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(سورة ٢: ١٠٦)

ويشير الباحثون المسلمون إلى هذا المبدأ بالنسخ. والفكرة في ذلك أن الوحي عندما كان ينزل على محمد كان يأتيه بأسلوب متدرج

وتصاعدي، فالآيات الجديدة تنسخ ما قبلها. وهذا المبدأ لم يشمل الجهاد فقط بل تعداه ليشمل قضايا أخرى عديدة من بينها تناول المسكرات وشرعية التبني وتوجه المؤمن وقت الصلاة وغيرها. لم ير محمد هذه الأمور كتناقضات، بل بانت له كتطورٍ تمر به الآيات. ويفسر القرآن ذلك بقوله:

> وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ
>
> (سورة ١٦: ١٠١)

هل الجهاد هو كفاح روحي؟

يقول المسلمون المعاصِرون والمعتدِلون إن الجهاد هو كفاح روحي وداخلي مع النفس لتطبيق تعاليم الإسلام. ياترى من أين أتوا بهذه الفكرة!؟ فبعض المسلمين يشيرون إلى قصةٍ ذُكرت في الحديث وهذا فحواها:

> كان محمد راجعًا من إحدى المعارك عندما قال لأحدِ أصحابه، «عدنا من الجهاد الصغير إلى الجهاد الكبير.» فسأله صاحبه «ما تقصد يا رسول الله من الجهاد الصغير إلى الجهاد الكبير؟» فأجاب محمد، «أما الجهاد الصغير فهو المعركة التي عدنا منها ونحن نحارب أعداء الإسلام، أما الجهاد الكبير فهو الكفاح الروحي لحياة المسلم.»

أي بكلمةٍ أخرى، في طريق العودة من معركةٍ فعلية، يُذكر أن محمدًا قد قال إن «الجهاد الأكبر» هو المعركة الروحية في ذات المسلم. ومصطلح «الجهاد الأكبر» كثيرًا ما يستعمله المسلمون الليبراليون، غير أن هناك بعض الاعتراضات على هذا الحديث يجب أن تُلم بها عزيزي القارئ، ألا وهي:

١- الشيء الأهم هنا هو عدم توافق المصطلح مع التعاليم الأخرى لمحمد والقرآن، حيث يعطي القرآن العديد من الإرشادات عن الحياة، إلا أنه لم يصف الصعوبة التي تتضمن اتباع هذه الإرشادات بـ«الجهاد» قط.

٢- الأدلة التي تربط هذه القصة بواقع حياة محمد غير وثيقة. فالمسلمون التقليديون يعتقدون أن محمدًا لم يقل ذلك. وكذلك الشيخ الألباني، وهو الأكثر احترامًا بين علماء الحديث في العالم، يعتبر هذا الحديث ضعيفًا على الرغم من أنه أتى من مصادر تاريخية موثوق بها.

وحتى إذا كان الحديث موثوقًا به، فما المقصود به؟ هل يلغي دعوة المسلمين إلى القتال الفعلي؟ فالغرض من ذلك غير واضح تمامًا. وهل فسر للمسلمين متى ستنتهي معركتهم الفعلية؟ كلا. هلم إذًا نرى هل أعطى محمد نقطة معينة لنهاية الجهاد.

نهاية الجهاد الجسدي

لننظر مرة أخرى عزيزي القارئ إلى القرآن ونر ما إذا كان يُعْلم المسلمين بوقت معين لإيقاف الحرب المقدسة ضد غير المؤمنين.

بعد الهجرة إلى المدينة بتسع سنوات (وقبل موته بأقل من سنتين) أعلن محمد عن وحي مهم بخصوص موقف الإسلام تجاه غير المؤمنين. وأوصى محمد بأن تُقرأ هذه التعليمات على المسلمين الذاهبين إلى مكة للحج.

> .. فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...
>
> (سورة ٩: ٥)

> قاتلوا الذين (١) لا يؤمنون بالله (٢) ولا باليوم الآخر (٣) ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (٤) ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.
>
> (سورة ٩: ٢٩)

فكما هو واضح إن محمدًا استمر في الدعوة للجهاد الفعلي الحرفي والذي لا ينتهي إلا بإخضاع غير المؤمنين. والحديث أيضًا يحوي على هذا الحض على لسان محمد:

> سمعت رسول الله يقول: «قد أمِرت من الله أن أقاتل الناس حتى يقولوا أن لا إله إلا الله وأنا رسوله، ومن يقول ذلك سيَسْلَم بنفسه وماله.»

فالمسلمون نفذوا كلام محمد وأخذوا الجهاد إلى كل الناس هاجمين على العديد من البلدان في آسيا وأفريقيا وأوروبا. لذا فإنه من الصعب أن تقول إن محمدًا أعطى نقطةً ينتهي عندها الجهاد. غير أن المسلمين المعاصرين طوروا فكرة أن محمدًا قاتل في معارك يمكن تبريرها، لذا فدعنا الآن عزيزي القارئ ننظر إلى وجهة النظر هذه أيضًا.

الحرب المبررة

أسمعُ كثيرًا في لقاءاتي الخطابية عبر الولايات المتحدة تحدّيًا أصبح مألوفًا لدي ألا وهو حجة: «أن محمدًا كان مجبرًا على القتال لأنه كان يدافع عن رسالته وأتباعه، فمعاركه كانت لها مبررات إيجابية». لننظر إلى السورة التي استخلص الناس منها لفظة «الحرب العادلة» أو لفظة «الحرب المبررة.»

وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا
(سورة ١٧: ٣٣)

وعلى الرغم من أن الآية تُختم بوصف حقوق عائلة المجنيّ عليه، إلا أن هذه الآية لا تتكلم عن الحرب، بل إنها تشير إلى القتل المقترف في المجتمع، حيث إنها جزء من فقرة قرآنية تقدم إرشادات لتوجيه المسلمين في حياتهم اليومية من ضمنها احترام الوالدين ومساعدة الفقراء ومعاملة اليتامى والأخلاقيات الجنسية. غير أن هذه السورة تُقدم المصدر لعبارة «الحرب العادلة». والآن بعد أن تعرفنا على هذه الآية، تعالَ عزيزي القارئ ننظر إلى آيات أخرى تتكلم عن قضية الحرب بصورة مباشرة أكثر. فهم يقولون إن محمدًا أقر الحرب فقط عندما كانت هناك قضية عادلة، أي وبمعنى آخر، عندما يُضطهد المسلمون أو يُهاجَمون أولًا. وفي ما يلي بعض من السُوَر التي تعزز ذلك:

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
(سورة ٢٢: ٣٩)

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ
(سورة ٢: ١٩٠–١٩٣)

وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

(سورة ٨: ٦١)

هل مارس محمد سياسة الحرب المبرَرَة – أي أنه كان يُهاجِم عندما كان يُهاجَم أولاً (أي للحصول على «قضية عادلة»)؟ قد يمكن اعتبار هذا صحيحًا نوعًا ما بالنسبة إلى هجومه على مكة لأن المكيين سببوا لمحمد وأتباعه الكثير من المضايقات عندما كان يعيش بينهم. غير أن المكيين لم يتعقبوا محمدًا إلى المدينة ولم يهاجموه هناك بل تركوه وشأنه. فمحمد هو الذي أغار عليهم أولاً بمهاجمته القوافل العائدة إلى مكة من سورية. في هذا يقول بعضهم إنّ هجمات محمد على جماعة اليهود كانت مبررة لأن اليهود حاولوا أن يُنسِقوا مع المكيين لمهاجمة محمد إبان معركة الخندق. غير أن اليهود والمكيين فشلوا كليًا في هذه المعركة ولم يستطيعوا أن يلحقوا أي أذى بمحمد على الإطلاق. عدا ذلك فإن اليهود لم يكونوا ليشكلوا أي خطورة جدية على الإسلام. أما محمد، فبعد أن أخضع كل الذين شكلوا خطرًا على الإسلام، استمر بتوسيع الجهاد ليشمل الذين لم يكونوا مصدر قلق له على الإطلاق. فبدأ بإرسال رسائل إلى الملوك والحكام خارج الجزيرة يدعوهم إلى تقديم ولائهم للإسلام. وبعد موته، استمر أتباعه فرض الجهاد على البلدان التي لم تَكنّ عَداءً للدولة الإسلامية. ومثال ذلك أن مصر لم تهاجِم المسلمين قط، ولكن الجيش الإسلامي جاء وقتل أكثر من أربعة ملايين مصري خلال القرن الأول من الإسلام. ولم يتوقف المسلمون عند مصر فحسب بل تعدوها جنوبًا إلى السودان وغربًا ليغزوا شمال أفريقيا. فماذا كانت بلدان شمال أفريقيا قد فعلت لتحريض محمد وخلفائه؟ الجواب لا شيء. وأي خطر كانت تشكل أسبانيا أو البرتغال أو جنوب أوروبا على الإسلام وخلفاء محمد؟ فقد هاجمهم المسلمون هم أيضًا. واستنتاجي الشخصي هو أن لا محمد ولا

أتباعه نفسهم تقيدوا بـ«الحرب المبرَرَة»، فالطريقة الوحيدة لتجنب سيف الإسلام كانت بالإذعان.

والآن لننتقل إلى ما قاله يسوع عن الحرب.

يسوع والسيف

لماذا يظن المسلمون أن يسوع قد دعا إلى الجهاد؟

يظن العديد من المسلمين أن يسوع نفسه قد دعا إلى الحرب المقدسة. ويشيرون بذلك إلى متى ١٠: ٣٤-٣٥ عندما كان يسوع يعطي تلاميذه تعليمات قبل أن يُرسلهم للتبشير.

> «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالاِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا».

فيقول المسلمون، «إن يسوع قال إنه جاء ليجلب سيفًا إلى الأرض.» غير أن مغزى رسالته من ذلك كان يصبح أكثر وضوحًا بالنظر إلى الرسالة نفسها في إنجيل آخر. فلوقا يخبرنا أن يسوع قال:

> أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ.
>
> **(لوقا ١٢: ٥١-٥٢)**

كان يسوع يُحذر تلاميذه من أن رسالته ستكون مفرِقة؛ فبدلًا من أن تجلب الناس إلى بعض، فإنها سوف تفرق الواحد عن الآخر. حتى أعضاء العائلة الواحدة يصبحون أعداءً. وقد شرح يسوع أن بعضًا من الذين يقبلون الله سوف يموتون على أيدي إخوانهم وآبائهم وأولادهم:

«وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلى الْمَوْتِ وَالأَبُ وَلَدَهُ وَيَقُومُ الأولاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ»
(متى ١٠: ٢١)

أي أن يسوع أعلن أن رسالته ستجعل الناس يستحصلون سيوفهم لمهاجمة أولئك الذين اختاروا أن يتبعوه. وأنا كمُهتدٍ جديد إلى المسيحية من بلدٍ مسلم أستطيع أن أخبرك عزيزي القارئ أن تحذير يسوع قد تحقق اليوم. ولأسفي الشديد فعندما أخبرت والدي أني قد اخترت أن أتبع يسوع، سحب مسدسه وأطلق النار عليَّ بغية قتلي. غير أن ما قد مررت به لا يقارَن بما واجهه ويواجهه بعض الأخوة المسلمين الذين يختارون المسيحية.

وإذا نظرنا إلى نواحٍ أخرى من رسالة يسوع إلى تلاميذه، ذلك اليوم، سنلاحظ أن بعض البَراهين التي تثبت أن السيف لن يكون في أيدي المؤمنين بل سيكون مسلطًا على رقابهم. وبدلًا من إشهار السيف سيسقطون ضحايا له.

وَلَكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلى مَجَالِسَ وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ
(متى ١٠: ١٧)

وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ.
(متى ١٠: ٢٨)

مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.
(متى ١٠: ٣٩)

عن وصية يسوع لتلاميذه بشراء السيوف

قد يشير بعض المسلمين إلى قول آخر ليسوع عن السيوف. وهذا حدث بعد أن تناول يسوع العشاء الأخير مع تلاميذه وقبل أن يُلقى القبض عليه ويُقتل. وقد ذكّرهم يسوع برحلاتهم التبشيرية السابقة.

> ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقَالُوا: «لاَ».
> (لوقا ٢٢: ٣٥)

عندها أعطاهم يسوع تعليماتٍ جديدة:

> فَقَالَ لَهُمْ: «لَكِنِ الآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا.
> فَقَالُوا: «يَا رَبُّ هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي!».
> (لوقا ٢٢: ٣٦و٣٨)

وكلمة سيف في هذه الآية تشير إلى خنجر أو سيف قصير من النوع الذي يحمله المسافرون للحماية من قطاعي الطرق والحيوانات الضارية.

فلوقا لا يذكر أي تفسير إضافي لهذا القول. غير أنه بعدها وفي الليلة نفسها، استعمل بطرس أحد هذين السيفين اللذين كانا للتلاميذ. ولنر الآن ماذا كان رد فعل يسوع على ذلك!

ذهب يسوع كعادته إلى جبل الزيتون ليصلي، وذهب تلاميذه معه. غير أن حشدًا كبيرًا مسلحين بالسيوف والعصي جاءوا ليعتقلوه. وبينما كان الجمع يتقدم نحوه استل بطرس السيف وضرب خادم رئيس الكهنة وقطع له أذنه، فقال يسوع لبطرس:

> «رُدَّ سَيْفَكَ إِلى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلى

أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟
فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟».

(متى ٢٦: ٥٢-٥٤)

بعد أن زجر يسوع بطرس ليضع سيفه جانبًا، شفى أذنَ الخادم. أخذ الجمع يسوع إلى رئيس الكهنة والذي كان سيحكم عليه بالصلب في آخر الأمر.

فعندما ننظر إلى أحداث تلك الليلة التي أُلقيَ فيها القبض على يسوع، نستطيع أن نرى أن يسوع لم ينوِ أن يستلّ تلاميذه سيوفهم للدفاع عنه. ولكن لماذا فعل يسوع هذا؟ وماذا كانت غايته من كل ذلك؟ بتصوري وفهمي لذلك بكل بساطة هو: أن يسوع أراد أن يعرف تلاميذه أنه بعد أن يموت لن يكون لهم سلام كالسابق. ففي خلال رحلاتهم وجبَ عليهم أن يحملوا مالًا ليبتاعوا طعامهم وخنجرًا للدفاع عن أنفسهم.

فهل هناك أي احتمال أن يكون يسوع يطلب منهم أن ينظموا مقاومة مسلحة لحماية مبادئه أو للدفاع عنها؟ كلا وإلا كان هذا مناقضًا لتعاليم يسوع برمتها. وبالإضافة لذلك وكأدلة إضافية، فأنه وبعد موت يسوع لا يوجد أية أدلة تشير إلى أن التلاميذ تقووا وبدأوا بتجميع الأسلحة. ولكن في الحقيقة، فإن الذكر الوحيد لأي سيف جاء في الإنجيل هو في الأيام الأولى للكنيسة وقد ذُكر أنه يعود إلى سجانٍ كان يحرس بولس وسيلا. (أعمال الرسل ١٦: ٢٧)

رد يسوع على أعدائه

يسوع يتجنب المواجهات

كلما كان يسوع يواجه أي تهديدات في حياته لم يكن يَرُدُّ عليها بالمثل، بل كان يتجنب المواجهة ويبتعد.

وَكَانَ يَسُوعُ يَتَرَدَّدُ بَعْدَ هَذَا فِي الْجَلِيلِ لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ.

(يوحنا ٧: ١)

فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعًا.

(متى ١٢: ١٤–١٥)

فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هَذَا فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَجَاءُوا بِهِ إِلى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلى أَسْفَلُ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى.

(لوقا ٤: ٢٨–٣٠)

فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا.

(يوحنا ٨: ٥٩)

وهذا كان الرد نفسه الذي عَلَّمَ تلاميذه الإثني عشر أن يتبعوه كلما واجههم تهديد ما:

وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلى الأُخْرَى.

(متى ١٠: ٢٣)

وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَاخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَانْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ.

(متى ١٠: ١٤)

وهذا ما فعله أتباعه كما هو مكتوب في أعمال الرسل.

وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ. فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ.
(أعمال ٨: ١و٤)

فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَكَانَ يُخَاطِبُ وَيُبَاحِثُ الْيُونَانِيِّينَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ. فَلَمَّا عَلِمَ الإِخْوَةُ أَحْدَرُوهُ إلى قَيْصَرِيَّةَ وَأَرْسَلُوهُ إلى طَرْسُوسَ.
(أعمال ٩: ٢٨–٣٠)

وَلَكِنَّ الْيَهُودَ حَرَّكُوا النِّسَاءَ الْمُتَعَبِّدَاتِ الشَّرِيفَاتِ وَوُجُوهَ الْمَدِينَةِ وَأَثَارُوا اضْطِهَادًا عَلَى بُولُسَ وَبَرْنَابَا وَأَخْرَجُوهُمَا مِنْ تُخُومِهِمْ. أَمَّا هُمَا فَنَفَضَا غُبَارَ أَرْجُلِهِمَا عَلَيْهِمْ وَأَتَيَا إلى إِيقُونِيَةَ. [وهذا ما كان قد أوصى به يسوع تلاميذه أن «ينفضوا غبار أقدامهم» عندما يرفضونهم]
(أعمال ١٣: ٥٠–٥١)

فَلَمَّا حَصَلَ مِنَ الأُمَمِ وَالْيَهُودِ مَعَ رُؤَسَائِهِمْ هُجُومٌ لِيَبْغُوا عَلَيْهِمَا وَيَرْجُمُوهُمَا شَعَرَا بِهِ فَهَرَبَا إلى مَدِينَتَيْ لِيكَأُونِيَّةَ: لِسْتِرَةَ وَدَرْبَةَ وَإِلى الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ. وَكَانَا هُنَاكَ يُبَشِّرَانِ.
(أعمال ١٤: ٥–٧)

يسوع يرفض معاقبة الناس الذين لم يقبلوه

إذ بات أوان موته يقترب، يمم يسوع وجهه شطر أورشليم مع تلاميذه. وبينما هم في الطريق اقتربوا من قرية للسامريين. فأرسل يسوع رُسُلًا أمامه للتحضير لوصولهم. غير أن السامريين رفضوا استقبال الرسل لأنهم كانوا ساخطين على اليهود من الطريقة التي كانوا يعاملونهم بها. فعندما رأى تلميذاه يعقوب ويوحنا ما حدث سألوه، «هل تريدنا يا رب أن ندعو نارًا من السماء تنزل وتفنيهم؟» ولو أن يسوع لم يوافقهم الرأي، ولكن لنفترض افتراضًا أنه قال لهم:«إن هذه لفكرة رائعة يا تلاميذ، سأطلب من أبي أن يرسل نارًا لتدمر القرية،» عندها يمكن أن يكون لدينا الدليل لنقول إن يسوع قد سمح لتلاميذه باستعمال الحرب المقدسة ضد الآخرين. لكن لننظر إلى الطريقة التي تصرف بها يسوع:

> فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ بَلْ لِيُخَلِّصَ». فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى.
>
> **(لوقا ٩: ٥٥–٥٦)**

يسوع يرفض القتال للتحرر من سيطرة روما

في أيام يسوع، كان اليهود يكرهون العيش تحت سيطرة روما. والكثيرون منهم كانوا ينتظرون المسيح الذي سيهزم روما ويقيم مملكة أرضية، غير أن يسوع لم يمانع في سلطة روما:

> حِينَئِذٍ ذَهَبَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ..... فَقُلْ لَنَا مَاذَا تَظُنُّ؟ أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟» فَعَلِمَ يَسُوعُ خُبْثَهُمْ وَقَالَ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي يَا مُرَاؤُونَ؟ أَرُونِي مُعَامَلَةَ الْجِزْيَةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. فَقَالَ

لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ».
فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلهِ لِلهِ».

(متى ٢٢: ١٥، ١٧–٢١)

وكان يسوع يرفض أن ينصبه الناس كملك أرضي. فبعد أن أطْعَمَ الخمسة آلاف شخص بسمكتين وخمس أرغفة، فتح فاهُ وبدأ يعلمهم قائلًا:

فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلى الْعَالَمِ!» وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا انْصَرَفَ أَيضًا إِلى الْجَبَلِ وَحْدَهُ.

(يوحنا ٦: ١٤–١٥)

بينما كان يسوع يرفض تأسيس مملكة سياسية على الأرض، كان محمد يبذل جهودًا جبارة لتأسيس مملكة مادية للإسلام على الأرض. حيث قال محمد إن الله سيكون مسرورًا من كل من يساعده، خصوصًا أولئك الذين يجاهدون في ساحات القتال لنصرة قضية الله.

مكافأة الإسلام للحرب المقدسة

وصف محمد عدة مكافآت للذين قاتلوا في كلا العالَمين، عالمنا الحاضر وعالم ما بعد الموت. والمكافأت في عالمنا هذا تتضمن:

الغِنى

وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ

(سورة ٨: ٦٠)

احتفظ محمد بخُمس غنائم الحرب ووزع الباقي على جنده (سورة ٨: ٤١).

محبة الله

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ
(سورة ٦١: ٤)

فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا
(سورة ٤: ٩٥)

غفران الخطايا

تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
(سورة ٦١: ١١– ١٢)

تجنب غضب الله

إن الله لا يحب الذين يرفضون القتال.

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
(سورة ٨: ١٦)

وجزاء المقاتلين في الحياة الأخرى يتضمن:

الجنة

شجع محمد أتباعه على القتال لينالوا الجنة.

> قال رسول الله بينما كان يواجه العدو: حقًا إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فنهض رجل رث الثياب وقال: يا أبا موسى، هل سمعت رسول الله يقول هذا؟ فقال الراوي: نعم، فالتفت الرجل إلى رفاقه وقال: أحييكم تحية الوداع، ثم شمر عن سيفه ورمى بغمده بعيدًا وتقدم شاهرًا سيفه صوب العدو وقاتلهم حتى قتل.

العذارى

قال محمد إن جنان الجنة ستمنح الرجال عذارى حسانًا لبهجة لذاتهم.

> فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ
> (سورة ٥٥: ٥٦)

مكافآت يسوع للسلام والرحمة والمغفرة

إن يسوع لم يتكلم عن القتال في سبيل الله، لذا وبالطبع فإنه لم يعِد بأي مكافأة لذلك. غير أنه تكلم عن مكافآت للذين يرفضون القتال. فتعاليم يسوع ملخصة في موعظته على الجبل، حيث بدأها بذكر خصائص الناس «المباركين»، وهم:

> طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ
> لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ
> طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ

لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ.
طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ
لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.
طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ
شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ.
(متى ٥: ٧، ٩–١١)

ثم شرح وصايا الله للدخول إلى المملكة السماوية، إنها صَلاح يزيد على صَلاح الناموس. إنه صَلاح يتعدى الممارسات السطحية ويتعمق ليصل إلى أعماق نيات القلب. وفي موعظته طبَّقَ يسوع هذا المبدأ على عدة مواضيع. فدعنا الآن عزيزي القارئ نستعرض ما قاله بخصوص الثأر والحرب.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.
«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟
(متى ٥: ٣٨–٤٦)

فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أيضًا بِهِمْ لأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ.

(متى ٧: ١٢)

ماذا عن الصليبيين

في هذا الفصل عزيزي القارئ، سننظر إلى مسألة مهمة حيث اختلف يسوع ومحمد اختلافًا بينًا. فعلى خلاف يسوع الذي عُرف بمعجزاته وقدرته على شفاء المرضى، فقد عُرِفَ محمد بحروبه الجهادية. غير أن هنالك سؤالًا واحدًا ملحًا عن الحرب (ظهر أمامي أكثر من مرة) لم نضعه بعد على بساط البحث سواء في كلامي مع المسلمين أو المسيحيين. وكلما تطرق بنا الحديث إلى موضوع الحرب المقدسة، أواجَهُ بالسؤال التقليدي؛ وماذا عما يسمى بالحروب الصليبية؟ وكأن لسان حالهم يقول: حسنًا كما أن للإسلام تاريخًا داميًا فكذلك المسيحية لها التاريخ نفسه. عندها أجيبُ كما أجبت رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة راو في مدينة جوهانسبرغ في مناهضتي معه، أمام ما يقارب المئتين من طلبته المتواجدين في المناظرة عندما سألني هذا الأستاذ عن سبب تركي الإسلام. أجبته بقولي:

«قد درستُ الإسلام وتاريخه بعمق، وهو بكل بساطة ليس إلا بحر من الدماء. حتى بعد أن توقف المسلمون عن قتل غير المسلمين بدأوا بقتل بعضهم البعض»، أوردت له بعدها بعض الأمثلة كحرب الردة التي حصدت حياة تسعين ألف شخص ممن حاولوا الامتناع عن دفع الزكاة والتي جاءت بعيد وفاة محمد، وحرب سفيان حيث قُتل عشرة آلاف شخص حول من سيتسلم الولاية الإسلامية بعد وفاة محمد، والحرب العراقية الإيرانية، حيث بلغ حصاد تسع سنوات طوال من القتال مليونًا من القتلى وضعفهم من المقعدين والعجزة. أمّا الحرب الأهلية في الجزائر، فحصدت على مدار سبع سنوات

مئة وخمسين ألفًا من القتلى. وكان هذا رده عليّ: «المسيحيون أيضًا مارسوا الحرب المقدسة وهم بذلك يطبقون تعاليم الإنجيل باستعمال السيف، حيث قال يسوع في متى ١٠: ٣٤ «ما جئت لألقي سلامًا إنما سيفًا»، فقال لي مذكِرًا إياي «أنظر إلى الصليبيين، أنظر إلى أيرلندا، أنظر إلى يوغوسلافيا وانظر إلى ما فعله المسيحيون الصرب بالمسلمين.»

وقتها لم أناقش المعنى الحقيقي لما ورد في متى١٠: ٣٤، غير أني قلت له: «حسنًا، قد حدث ما حدث وسيستمر في الحدوث في كلٍّ من الإسلام والمسيحية. غير أن حقيقة الأمر هي أنه عندما استعمل المسلمون السيف فإنهم طبقوا التعاليم القرآنية للحرب المقدسة المذكورة في عدة سور وآيات وقد طُبقتْ من قبل مؤسس الإسلام ذاته. غير أني أتحداك أن تجد آية يكون فيها المسيح قد أمر تلاميذه أن يذهبوا ويقتلوا باسم يسوع المسيح.» «وما تفضلت بذكره بخصوص الشرور التي اقتُرفت من قِبَلِ من يدَّعون المسيحية بالاسم فقط، فهم قد تنكروا لكلمة المسيح وزاغوا عن كلام الله بسبب شهوات قلوبهم ويقول الإنجيل: «قلب الإنسان مملوء غشًا وخداعًا، وبسبب هذا لن تجد عزيزي القارئ أي فرق بين أفعال المسلمين الذين يقتلون ويدمرون وبين أفعال المسيحيين الذين يقتلون ويدمرون ولكن الفرق يكمن فيما إذا كانوا يتبعون المثال الذي رسمه قائدهم لهم». لم يكن للأستاذ أي شيء ليضيف فآثر الانتقال إلى موضوع آخر.

الحقيقة البسيطة هنا هي أن كل شخص شارك في ما يسمى بالحروب الصليبية، لم يكن يتَّبع تعاليم يسوع. وقد يكون أولئك الأشخاص من حملة الصليب غير أنهم لم يكونوا يتبعون يسوع. أما عندما قام المسلمون بانقلاب ضد الحكومة بالقوة، فقد كانوا يتبعون تعاليم محمد ومثاله.

مقارنة مثيرة للاهتمام

هناك مفارقتان حول يسوع ومحمد تلخصان موقفهما من مسألة الحرب المقدسة.

في أحد الأيام، عاد محمد إلى بيته من إحدى غزواته ودعا ابنته فاطمة وقال لها: «اغسلي الدم عن سيفي فوالله إن هذا السيف كان يطيعني طوال الوقت»، ثم أخذ بعدها سيوف صديقه علي بن أبي طالب وغسلها له.

فمحمد طلب من ابنته أن تغسل سيفه، والأمر الذي كان سيفعله بنفسه. ومن ثم تناول بدوره سيف ابن عمه ليغسله له لغرض تكريمه واحترامه. هذا ما فعل محمد لتكريم أتباعه.

لنر الآن ماذا فعل يسوع لتكريم أتباعه:

قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا..... فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضًا قَالَ لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا وَحَسَنًا تَقُولُونَ لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ.

(يوحنا ١٣: ٤–٥ و١٢–١٧)

محمد غسل سيوف أتباعه ويسوع غسل أقدام أتباعه. لا أعتقد أن هناك طريقة أبسط من هذه لتلخيص زبدة الفروقات بينهما.

اختلافات وتشابهات

عزيزي القارئ كلما تعرفتَ على يسوع ومحمد أكثر كلما تجلتْ أمامك التباينات المبدئية وأصبحت أكثر وضوحًا. ولكن على الرغم من ذلك فإن بعض الباحثين الغربيين ما زالوا يُضعون نقاط تشابه نصب أعينهم ويبحثون عنها. حتى إن بعض الكُتاب يعملون جاهدين في البحث عن آيات من الإنجيل وأخرى من القرآن تبدو للوهلة الأولى متقاربة ويصفُّونها جنبًا إلى جنب. وهدفهم من كل ذلك هو الحد من مشاعر العداء بين اليهود والمسيحيين والمسلمين وتقريب وجهات النظر بينهم. وهذا في حدّ ذاته هدف نبيل، غير أن الخطورة هنا تكمن في طريقة إنجاز هذا الهدف السامي وتحقيقه في فحواه. ففي خِضَم عملية البحث عن التفاصيل الدقيقة قد يغيب عن بالنا ديمومة التواصل مع الصورة الكاملة ومغزى البحث.

في الفصل التالي سننظر عزيزي القارئ إلى موضوع لطالما حُرِّفَ معناه وشُوِّهَ بسهولة، ألا وهو موضوع المحبة. فبدلًا من مقارنة آيات متفرقة، سننظر إلى الصورة الكلية المقدمة من قبل يسوع ومحمد وسنكتشف فروقًا مبدئية لا غبار عليها.



التعليم عن المحبة

في الأيام التي كنت أعيش فيها كمسلم في مصر، كان هناك لغز يحيرني ألا وهو الملصقات التي كان المسيحيون يضعونها على سياراتهم وفي محلاتهم. وقد كانت جملة «الله محبة» تشغل بالي كثيرًا ولا أجد لها تفسيرًا. فهاتان الكلمتان البسيطتان في قيمتهما اللغوية لم تجمعهما جملة ولو واحدة في القرآن، وكنت أسائل نفسي عما يريد هؤلاء الناس أن يقولوا.

في هذا الفصل عزيزي القارئ سينصب هدفي على تقديم وصف كافٍ وتحليل شافٍ عمّا احتواه تعليم يسوع وتعليم محمد عن المحبة. فيجب أن تُفهم المحبة دائمًا في مضمون العلاقة وإطارها. وفي الوقت الذي ننظر إلى تعاليمهما عن المحبة، فإننا سنكتشف طبيعة العلاقات المهمة في حياة كل من يسوع ومحمد. تتأتى أهمية هذه العلاقة من منطلق تمحورها حول النقاط الأربعة التالية:

- الله.
- نبيه.
- المؤمنون.
- غير المؤمنين.

(أود أن اقترح على القارئ اللبيب هنا أن يراجع التخطيط في الصفحة التالية – فعلى الرغم من أن الغرض من باقي الفصل هو شرح هذه العلاقات – غير أني قد خَطَطْتُ فيها بعض الكلمات الوصفية لاستكمال التصور. وقد بذلنا جل اهتمامنا للبحث عن مبدأ المحبة بين هذه النقاط المتباينة).

فدعنا نبدأ عزيزي القارئ بالنظر إلى العلاقة الهادية والمرشدة وأساس كل العلاقات الأخرى ألا وهي طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون بين المرسِل (الله) والمرسَل (الرسول).

يسوع ومحمد
علاقاتهما الأساسية

محمد

وصف محمد نفسه بأنه «عَبْدُ» الله (انظر سورة **٢: ٢٣**). فالقرآن أو الحديث لم يذكرا محبة محمد لله أو محبة الله لمحمد، فموقف محمد كان كموقف العبد الذي يعطيه سيده الصلاحية للعمل.

مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ

(سورة ٤: ٨٠)

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا

(سورة ٥٩: ٧)

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا

(سورة ٤: ١١٥)

يسوع

وصف يسوع علاقته بالله كعلاقة الابن بأبيه، وهي علاقة محبة متبادلة. فعندما تعمّد يسوع في نهر الأردن، يقول كاتب الإنجيل، إن صوتًا من السماء جاء يقول: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ.» (متى٣: ١٧و متى ١٢: ١٨). وتكلم يسوع عن إطاعة الله وحبه ولكن لم نسمعه يتكلم عن الخوف منه.

> ... أَنِّي أُحِبُّ الآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ.
>
> (يوحنا ١٤: ٣١)

وكان يسوع يلجأ إلى الله للمواساة، حيث صلى في الليلة السابقة لصلبه قائلًا:

> وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ».
>
> (مرقس ١٤: ٣٦)

وعند لجوء يسوع إلى الله للمواساة، كان يدعوه «آبا» وهي باللغة الآرامية الكلمة نفسها التي يستعملها الطفل عادة عند مخاطبته أبيه للتقرب. فهل يمكننا هنا أن نرى علاقة شخصية وعلاقة محبة بين يسوع والله الآب!

العلاقة بين المُرسَل والناس

محمد

كما دعا محمد نفسه بعبد الله، كذلك قال إن المسلمين الآخرين هم كذلك عبيد (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (سورة ٥٠: ٨). والقرآن لم يَخُص محبة الله بالذات بالكثير من الاهتمام على الرغم من أنه نادرًا ما

يذكر المحبة له كمبدأ (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ سورة ٢: ١٦٥). غير أن القرآن يدعو إلى «الإذعان لله»، ولكن ماذا ينوب العبد إذا لم يُطِع ؟ إنه سيعاقب أشد العقاب وبئس المصير.

> وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
> (سورة ٨: ١٣)

نزل الوحي ليقول إن أولئك الذين يعصون سوف ينالون عقابهم، ومحمد نفذ العقاب. فعلى سبيل المثال، مُنع المسلمون من تعاطي المشروبات الروحية، لذا فمحمد عاقب أولئك الذين عصوا هذا الأمر:

> روى أبو هريرة قائلًا: «إن رجلًا ما، شاربَ خمرٍ أتوا به إلى النبي. فقال النبي «إضربوه!». وأضاف أبو هريرة، «فقام البعض منا بضربه، ومنا من استعمل يديه، ومنا من استخدم حذاءه ومنا من استخدم ثيابه بعد أن برمها إلى ما يشبه السوط.»

جاءت جماعة من المسلمين إلى محمد بشأن امرأة وجدت تسرق. ولما كانت عقوبة السرقة هي قطع اليد، فقد طلبوا من النبي أن يأمر باستثناء المرأة من هذا الحكم. فرد عليهم بقوله:

> «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم
> إذا سرق فيهم الشريف تركوه
> وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.»

فلو سألت مسلمًا، هل تدرك محبة الله لك؟ لأجابك بقوله «أنا لا أعرف كم يحبني، فالله هو فقط يعرف». فعلى المسلمين أن ينتظروا إلى

يوم الحساب ليعرفوا ما إذا كان الله يحبهم وما إذا كان سيدخلهم الجنة. وها نحن نرى أن علاقة الله صارمة مع المسلمين، ولكن ماذا يظن الله بغير المسلمين؟

فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ
(سورة ١٦: ٣٧)

فغاية الله لبعض الناس أن يضلهم ليملأ بهم جهنم التي خلقها.

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
(سورة ٣٢: ١٣)

فالله لا يحب غير المؤمنين.

يسوع

انعكست علاقة المحبة بين يسوع والله الآب على علاقته بأتباعه، فقد أخبر يسوع تلاميذه أن الله يحبهم:

لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجْتُ.
(يوحنا ١٦: ٢٧)

ويسوع قال أيضًا إنّه يُحب أتباعه:

كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذَلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا.
(يوحنا ١٥: ٩)

قال يسوع إنّه يحرص على المؤمنين كما يحرص الراعي الصالح على خرافه.

أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ.
(يوحنا ١٠: ١٤–١٥)

نعم قد أحب يسوع أتباعه، ولكن ماذا عن غير المؤمنين؟ استنادًا إلى أعماله فالجواب عن هذا التساؤل سيكون بالإيجاب، فنعم يسوع يحب الخطاة أيضًا.

- فقد أكل مع العشارين والخطاة (لوقا ١٥: ١–٢).
- بشَّر شخصيًا رسالته إلى المرأة السامرية التي كانت تعيش مع رجل لم يكن زوجها (يوحنا ٤: ١–٢٦).
- سمح لامرأة خاطئة ومعروفة بأن تغسل قدميه بينما كان يتناول العشاء مع الفريسيين (لوقا ٧: ٣٦–٥٠).
- قَبِلَ توبة اللص الذي صُلب بجانبه وهو على خشبة الصليب (لوقا ٢٣: ٣٩–٤٣).

كان يسوع يُعلم بفلسفة الذي أُرسِل لدعوة الخطاة إلى التوبة وإعانتهم.

فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ».
(مرقس ٢: ١٧)

العلاقة بين المؤمنين وغير المؤمنين

عند هذه النقطة نكون قد نظرنا إلى العلاقة الأساسية بين المُرسِل والمُرسَل وكيف يلعب هذا دوره في العلاقة بين المُرسَل وأتباعه. وقد

ركزنا هنا على قرائن المحبة. أما الآن فنوجه اهتمام دراستنا إلى التعاليم التي أعطاها كل من محمد ويسوع لأتباعه بخصوص محبة أحدهم الآخر ومحبة غير المؤمنين.

محمد

كما فعل يسوع، فإن محمدًا قد أوصى أتباعه بأن يساند أحدهم الآخر.

> وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
> (سورة ٣: ١٠٣)

> مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ
> (سورة ٤٨: ٢٩)

> إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
> (سورة ٤٩: ١٠)

غير أن محمدًا قد دعا المسلمين ليكون لهم موقف مختلف كليًا تجاه غير المؤمنين. فقبل أن يقام الجهاد حذر محمد المسلمين من اتخاذ غير المسلم نصيرًا أو صديقًا:

> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ
> (سورة ٦٠: ١)

أما بعد أن أعلن محمد الجهاد، فقد دعا المسلمين إلى أن يشتركوا في الحرب المقدسة ضد غير المؤمنين، وأن يقتلوهم إذا رفضوا الإسلام.

يسوع

في كلماته الأخيرة مع تلاميذه قبل موته، قال لهم يسوع:

> وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أيضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ».
> (يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥)

هل يتبع المسيحيون هذه الوصية جيدًا؟ حتى ولو لم يكن هذا صحيحًا معظم الأحيان، ولكن هذا هو المعيار الذي وضعه يسوع. فقد قال يسوع، لكي ترث الحياة الأبدية، عليك أن: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ..... «وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ»» (لوقا ١٠: ٢٧). أراد أحد القادة الدينيين أن يبرر موقفه تجاه بعض الناس فسأل يسوع، «من هو جاري؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ:

> «إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذَلِكَ لاَوِيٌّ أيضًا إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيُّ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا

لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟» فَقَالَ: «ٱلَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ».
فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ٱذْهَبْ أَنْتَ أَيضًا وَاصْنَعْ هَكَذَا».
(لوقا ١٠: ٣٠-٣٧)

فمن خلال هذه القصة عَلَّمَ يسوع: أن جارك ليس بالضرورة أن يكون شخصًا من بلدك أو شخصًا ذا إيمانٍ يشبه إيمانك، فجارك قد يكون أي شخص ممن حولك. وكذلك طلب يسوع من تلاميذه أن يحبوا غير المؤمنين. فعلَ هذا بقوله لهم اذهبوا وبشروهم، اشفوا مرضاهم، اطردوا الأرواح النجسة منهم وأقيموا موتاهم.

الخاتمة

الشيء الأهم في هذا الفصل عزيزي القارئ هو أن يسوع ومحمدًا وصفا طبيعة الله بطريقتين مختلفتين تمامًا؛ فيسوع يعتبر الله هو الآب المحب، أمَّا بالنسبة إلى محمد فالله هو سيد متحكم. وهذا الوصف يمهد الطريق بخصوص المحبة لكل علاقاتهما الأخرى. ولنتمعن في هذه النقطة، دعنا نفترض جدلًا أن مؤمنًا ما قد ترك الإيمان، فماذا قال محمد أن الله سيفعل به؟ وماذا قال يسوع أن الله سيفعل معه؟
يقول القرآن في ذلك:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
(سورة ٥: ٥٤)

فتفسير هذه الآية هو أنه إذا ترك شخصٌ ما الإسلام، فإن الله سيجلب أناسًا أحسن منه، هذا يعني أن الله لا يأسف على الذين يتركونه أو يحاول أن يعيدهم إليه، بل يأتي بأحسن منهم.

وتقول السورة **٣٩: ٧** «إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ».

أما الآن عزيزي القارئ فلننظر إلى قصة أوردها يسوع عن راعٍ يملك مئة خروف وفقد واحدًا منها.

«أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَذْهَبَ لأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحًا وَيَأْتِي إلى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلًا لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إلى تَوْبَةٍ».

(لوقا ١٥: ٤–٧ و٨–١٠)

فبالنسبة إلى محمد سيبحث الله لنفسه عن مؤمنين جدد يخدمونه بصورة أحسن. أما على النقيض من ذلك فإن الله الآب يبحث عن الخروف الضال حتى يجده ويأتي به إلى بيته فرحًا. نعم عزيزي القارئ فهذا هو الفرق بين إله محمد والله الآب.

وصف كل من يسوع ومحمد طبيعة الله بصورة تختلف تمام الاختلاف، غير أنهما أمرا أتباعهما أن يصلوا. في الفصل التالي سنقوم بمقارنة تعاليم يسوع ومحمد بخصوص الصلاة وسترى عزيزي القارئ أن اعتقاداتهما المتباينة عن طبيعة الله ستؤثر بشكلٍ كبير على أسلوب صلاتهما وتوقعاتهما بخصوص الكيفية التي سيستجيب بها الله.



١٥

تعاليمهما في الصلاة

إنه لمن الغريب بمكان أن تكون كلمة واحدة كال «صلاة» تعني معنَيَيْن مختلفين أشد الاختلاف. فكلٌّ من يسوع ومحمد علَّما أتباعهما أن يصلوا، غير أن طريقتهما وهدفهما من الصلاة كانا يختلفان تمام الاختلاف. في هذا الفصل سأشرح لك عزيزي القارئ الأسلوب الإسلامي لحياة الصلاة التي عِشتُها لمدة ثلاثين سنة. فإذا كنتَ مسلمًا، فستدرك بالضبط مغزى ما أقوله، أمّا إذا لم تكن قد مارستَ الإسلام، فكل هذه المعلومات ستكون جديدةً عليك. لذا فقد قصدتُ أن أُكثِر التفاصيل في شرحي هذا ليصبح كل شيء واضحًا لك وجليًا. فبُعَيْدَ إقامة الحجة على تعاليم محمد بخصوص الصلاة، سأعود لأشرح تعاليم يسوع لتلاميذه حول كيفية الصلاة وكيف أثرتْ عليَّ هذه التعاليم نفسها عندما قرأتها لأول مرة.

طريقة الصلاة

كانت عائلتي تأخذني إلى الجامع منذ أن كنت طفلًا. كان علي أن أرتاد الجامع خمس مرات لأصلي. كانت هذه طريقة حياتنا التي شببت عليها مترعرعًا وسط عائلةٍ متدينة في مصر. كانت حياتي قد تشبعت بالصلاة وما زالت الذكريات حية في ذهني لنهوضي المبكر في ساعات الصباح الأولى في صباح شتاءٍ قارس البرد حوالى الثالثة

والنصف صباحًا. بعد تخرجي من ثانوية الأزهر وأنا في حوالى الثامنة عشرة من عمري، كنتُ مؤهلًا للوقوف بالناس وقيادة الصلاة، وكان عمي يهيئ لي الفرص بين الحين والآخر لقيادة الصلاة في الجامع الذي كان هو إمامه.

بعد أن حصلتُ على شهادة الليسانس من جامعة الأزهر، أمضيتُ مدة عام في الجيش المصري حيث كنتُ أقود المصلين في الجامع الموجود في المعسكر. بعد أن أنهيت دراسة الماجستير، تسلمت قيادة جامع صغير حيث كنتُ أقوم بالصلاة الأولى والرابعة والخامسة. كنتُ أصلي في كل يوم ومنذ نعومة أظفاري حتى الوقت الذي ألقى البوليس المصري القبض عليّ. كنت أصلي خمس مرات في اليوم، أي أني قد صليت الكثير من الصلاة الإسلامية على مدى سنوات عمري. فالصلوات الخمس في الإسلام كما تعرفُ عزيزي القارئ شيء منصوصٌ عليه وتتكون كل صلاة من كلمات وحركات بدنية وكل واحدة منها تدعى ركعة وكل ركعة لها أسلوبها، وسنأتي إلى ذكرها بالتفصيل.

الوضوء

لك أن تتصور نفسكَ عزيزي القارئ في باحة الحرم الجامعي في جامعة الأزهر وقت أذان الصلاة الثالثة (صلاة العصر) حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر، ولو أُذن لك التواجد في هذا المكان وهذا الزمان فهذا ما ستشاهده:

تتوقف النشاطات في كل مكان، وأي شخص لمس امرأة أو كلبًا أو استعمل المرحاض عليه أن يتطهر قَبل الصلاة. وكل من يشعر بالحاجة إلى ذلك عليه أن يستعمل غرفة الحمام في البناية الأكاديمية أو أن يذهب إلى غرفة الحمام الرئيسية في نهاية بناية مسجد الجامعة. قبل أن يغتسل المصلي عليه أن يقول هذه الكلمات: «يممت وجهي للذي فطر السموات والارض وأبدأ بالتوضي» ثم يتبع هذه الخطوات:

١- يبدأ بغسل اليدين، فيغسل اليد اليمنى ثم يليها باليسرى وكل يد تُغسل ثلاث مرات إلى حد الرسغ.

٢- يمضمض فمه بالماء، ويفرك أسنانه بالإصبع الأيمن ثلاث مرات.

٣- يغسل أنفه بالماء ثلاث مرات.

٤- يغسل وجهه بالماء ابتداءً من خط الشعر وحول الأذن وتحت الذقن ثلاث مرات.

٥- يغسل ذراعيه باليد اليمنى من الرسغ إلى المرفق ثلاث مرات.

٦- يغسل شعره وذلك بغمس يده في الماء وتخليل شعره بها ولمرة واحدة.

٧- يغسل صماخ الأُذنين بإصبع مبلل، وهذا يجرى بأسلوب معين وحركة معينة على المتوضئ أن يتبعها.

٨- يغسل قدميه إلى الكاحل، بدءً بالقدم اليمنى، ثلاث مرات لكل قدم.

النصف الأول للركعة

بعد الانتهاء من الوضوء، يتوجه المصلون ليدخلوا إلى مسجد الجامعة في وسط الحرم الجامعي، وينتظمون داخل المسجد في صفوف مستقيمة من حوالى ألف طالب يولون وجوههم شطر مكة في المملكة العربية السعودية. يبدأ الإمام بوضع كفيه خلف أذنيه وينادي، «الله أكبر»، ليجيبه المصلون «الله أكبر». بعد ذلك يقوم المصلون بوضع أيديهم على بطونهم، اليمنى فوق اليسرى، ليتلوا السورة الأولى من القرآن بالعربية. وأيًا كانت لغة المصلي فإن هذه السورة يجب أن تتلى باللغة العربية. بعدها يتيح الإمام بعض الوقت للمصلين ليوردوا بعض الآيات الإضافية من القرآن وعدد الآيات هنا مرهون بالمصلي والوقت المتاح ثم يعود الإمام إلى وضع يديه خلف أذنيه لينادي «الله أكبر» مرة

أخرى، حيث يحني المصلّون هامتهم من وسطهم معًا وأيديهم موضوعة فوق ركبهم ليرددوا «سبحان ربي العظيم» وهذا يشكل النصف الأول من الركعة. أمَّا النصف الثاني فيبدأ مباشرة.

النصف الثاني من الركعة

يبدأ المصلون أولًا بالركوع بملامسة الركب الأرض ثم اليدين وأخيرًا الانحناء الكلي حتى تلمس الجباه الأرض، ثم يقولون «سبحان ربي الأعلى» لثلاث مرات ويبقُون جباههم ملصقة بالأرض حتى يأمرهم الإمام بالجلوس حيث يجلسون مستندين على أعقابهم مقاطعين سيقانهم عند الكاحل والقدم اليسرى إلى الداخل. فمحمد كان يجلس مقاطعًا كاحليه بهذه الطريقة ولهذا يفعلها المسلمون بالطريقة نفسها وتعاد لثلاث مرات.

خلال هذه الدورة تأتي فرصة المصلي ليقدم طلباته إلى الله. فمحمد عَلَّمَ المسلمين أنه عندما تكون جبهة المرء على الأرض يكون أقرب إلى الله. فهذه هي لحظته ليدعو لعائلته أو أي شخص آخر. ويذكرني هذا بالوقت الذي كنت فيه أصلي وفي ذهني الكثير من الطلبات لتقديمها إلى الله، حيث كنت أصلي بأسرع ما يمكنني في الوقت القصير الذي كانت فيه جبهتي تلمس الأرض.

ولختم الركعة، يجلس المصلون على أعقابهم ويرددون الآية **٢: ٢٥٥** (والمعروفة آية الكرسي لأن المسلمين يجلسون وهم يرددونها) ثم يقولون، السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

إتمام الصلاة

أكملتُ في ما سبق وصف ركعة كاملة، وكل صلاة تتكون من مجموعة معينة من الركعات: فالصلاة الثالثة (صلاة العصر) من اليوم

تتطلب أربع ركعات، وكل ركعة تجري كما فصَلتُها عدا ذلك الجزء في النصف الأول، حيث يردد كل مصلٍّ ما يحفظه من آيات القرآن. بعد أن يصلي الصلوات المطلوبة، يترك معظم الناس المسجد ليعودوا إلى ما كانوا يفعلون في الجامعة.

أوامر محمد بخصوص الصلاة

الصلاة في الإسلام ليست اختيارية بل إنها واجب مفروض؛ فمحمد قد علمهم أن الصلاة لخمس مرات في اليوم هي من فرائض الله. وقال محمد إنه في أحد الأيام جاءه الملاك جبريل في نومه وأخذه للقاء الله، وهذا ما يعرف بالإسراء والمعراج. وقد أخبر الله محمدًا أن على الناس أن يصلوا خمسين مرة في اليوم. دخل محمد بسببها في مساومات مع الله إلى أن تمكن من تقليل الصلاة اليومية من خمسين مرة إلى خمس مرات في اليوم. ولكون هذه المرات الخمس مبنية على وقت شروق الشمس ووقت مغيبها لذا فإن الأوقات تختلف في كل فصل، وهذه الأوقات هي:

الصلاة	الوقت التقريبي	عدد الركعات
الأولى (الفجر)	٤ صباحًا	٢
الثانية (الظهر)	١٢ ظهرًا	٤
الثالثة (العصر)	٣ عصرًا	٤
الرابعة (المغرب)	٥ عصرًا	٣
الخامسة (العشاء)	٣٠: ٨ مساءً	٤

قال محمد إن الملاك جبريل علمه الطريقة الصحيحة للصلاة، لذلك راقبه أتباعه عن كثب وسجلوا له كل تفاصيلها. ومحمد أيضًا أعطى

بنفسه تعليماته بخصوص الطريقة الصحيحة للصلاة في ظروف متباينة؛ فعلى سبيل المثال عندما لا يتوافر للمصلي الماء للوضوء، يستطيع المصلي أن يستعيض عن الماء بالرمل أو التراب (سورة ٤: **٤٣** و**٥**: ٦). إذا كان المصلي بعيدًا عن الجامع ولا يستطيع أن يبلغه فله أن يستعمل سجادة لأداء الصلاة.

أمَّا إذا كان في خضم الجهاد، فالمصلي يستطيع أن يعدّل الصلوات بحيث لا يكون معرضًا لهجوم العدو أثناء تأديته الصلاة. (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا سورة ٤: ١٠١-١٠٣)

كان محمد صارمًا مع أتباعه بخصوص الصلاة والتزامهم بتأديتها. ففي إحدى المرات عندما بدأ محمد صلاة المغرب، لاحظ أن العديد من المسلمين لم يحضروا فبادر أصحابه بالسؤال عنهم قائلًا: "أين فلان وفلان؟" فأجابوه: «إنهم ما زالوا في منازلهم.» فقال محمد: (لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس

ثم أنطلق معي برجالٍ معهم حزمٌ من حطب إلى قومٍ لا يشهدون الصلاة فأحرّق عليهم بيوتهم بالنار).

وكما هو متوقع فالمسلمون يعانون من أداء الصلاة الأولى (صلاة الفجر)، لأنهم يفضلون النوم، وقد سجَل هذا أحد الأحاديث حيث يذكر:

قيل عن رجل أمام النبي أنه نام ليلته حتى الصباح (أي بعد الفجر). فقال النبي: «إنه رجلٌ قد تبول الشيطان في أذنيه». فمحمد عَلَّمَ أتباعه أن الرجل الذي يرفض أن يؤدي الصلوات الخمس لا يعتبر مسلمًا بعد، ويوضح ذلك بقوله: «العهد الذي بيننا وبينهم هو الصلاة، والذي يترك الصلاة فقد كفر».

الهدف من الصلاة في الإسلام

ماذا يأمل المسلمون أن يحققوا من خلال الصلاة؟

١- الأول والأهم هو أن المسلمين أرادوا تجنب عقاب الله لعدم إطاعة فريضة الصلاة لخمس مرات في اليوم. فكل خير يأتي من الله لذا فإنه إذا لم يكن مسرورًا منك فإنه سيمسك عن حياتك كل الخيرات كمنع الصحة أو المال عنك أو حتى لعنك إلى جانب معاقبتك يوم الحساب على عدم تأديتك الصلاة.

٢- الهدف الآخر للمسلمين من الصلاة والذي لا يقل أهمية عن الأول هو أن الله سيقبلهم يوم الحساب ويدخلهم جناته.

فالمسلمون يؤمنون أن الله يراقب صلاتهم عن كثب، وهذا هو سبب حذرهم الشديد في اتباع التعليمات عن كيفية تأدية الصلاة، غير أنه،

وعلى الرغم من كل ذلك، فإنهم لايستطيعون أن يعرفوا ما إذا كان الله راضيًا عن صلاتهم (وأعمالهم الصالحة الأخرى) أم لا إلى أن يحل يوم الحساب.

الصلاة المندوبة

تعلمنا في النقطة السابقة وبالتفصيل الصلاة المفروضة على كل مسلم والتي أمر بها محمد، أي الصلوات اليومية الخمس أو ما يدعى بصلاة الفرض. غير أن هناك صلوات اختيارية إضافية أو مايسمى بصلاة النفل. وقد تكون على شكل ركعات إضافية مسموح بها في خلال أوقات معينة من اليوم. ومن الجدير بالذكر أن هذه الصلوات جميعها صلوات مفروضة ويجب أن تؤدى استنادًا إلى قواعد معينة؛ فالمسلم لا يستطيع أن يؤدي ركعةً في السيارة أو عندما يكون جالسًا على الشاطئ.

أما الصلوات الشخصية فهذه مسألة أخرى. فالصلاة الشخصية تتلخص في أن المسلم يعبر عن أفكار أو حاجات تتعلق بشخصه يقدمها إلى الله في أي مكان يختاره. وهذه الصلوات غير ممنوعة في الإسلام، ولكنها غير مفضلة ولا يجري الحديث عنها عادة. ويستثنى من هذه القاعدة الصوفيون حيث يركزون على الصلوات الشخصية كطريقة مثلى للتواصل مع الله بصيغة شخصية. فالمسلم العادي لا يأمل في التواصل الشخصي مع الله عن طريق الصلاة.

في الدين الإسلامي، الله لا يُكلم الناس بطريقة مباشرة إنما الملاك جبريل هو المتكلم نيابة عنه، حيث يُسمى «الروح القدس». غير أنه لا يُعتبر جزءًا من الله ومن صفاته لأنه لا يستطيع أن يتواجد في أكثر من مكان واحد في الوقت نفسه. (انظر سورة **٢: ٩٧ و٩٨ و٢٦: ١٩٣ و١٦: ١٠٢**). لذا فعندما يصلي المسلم فإنه لا يتوقع أن يتواصل معه الله ولا أن يحضر جبريل ويكلمه. فأمل المسلم في ذلك هو الأيام الأخيرة من رمضان من كل عام أن يصله أي شيء من الله. فمحمد علّمهم أن في

ليلة القدر بالذات سيزور جبريل شخصًا صالحًا واحدًا يكون في انتظاره (سورة ٩٧: ٤). فخلال هذه الليلة من كل عام كنت أنا وباقي المسلمين الورعين نقضي الليلة في الجامع برغبة شديدة بزيارة جبريل.

أما تعاليم الكتاب المقدس بخصوص الروح القدس فتختلف تمام الاختلاف عن هذا كله. فالإنجيل يذكر أن الروح القدس هو جزء من الثالوث المقدس وبذلك له الإمكانية أن يتواجد في كل مكان في الوقت نفسه. وهذا يعني أن الله ومن خلال الروح القدس، يستطيع أن يتواصل مع أكثر من شخص واحد في آن واحد.

والآن دعنا عزيزي القارئ ننظر إلى الصلاة كما علمها يسوع.

يسوع يعلم أتباعه الصلاة

كما تعرف عزيزي القارئ، فأول إصحاح قرأتُه حال وضع الكتاب المقدس في يدي كان متى ٥، ولم يأخذ ذلك مني طويلًا حتى وصلت إلى متى ٦ حيث يُعلِّم يسوع تلاميذه الصلاة. وكلما تعمقتُ في قراءتي للسِفر أشعر بالفرق بين يسوع ومحمد يتجسد أمام مخيلتي واضحًا كالحقيقة نفسها.

لنلقِ نظرة على القطعة التالية معًا:

«وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إلى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إلى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً.»

(متى ٦: ٥–٦)

والذي لفت نظري في هذه الأعداد كلمة واحدة لم أستطع أن أبعدها عن خاطري ألا وهي كلمة «عندما». توقفت عند هذه الكلمة مرارًا، فقد وقعتْ عليّ وقع الصاعقة لأنها تعني وبكل وضوح أن الصلاة شيء عائدٌ لي. أستطيع أن أصلي في أي وقت أرتأي. أما بخصوص «مكان الصلاة» فقد قال يسوع: «اذهب إلى غرفتك وأغلق الباب عليك» فقلت في نفسي، لا أذهب إلى الجامع بعد الآن؟

قال يسوع: إن الله يكافئ الذي يصلي بمفرده أكثر من الذي يصلي ليراه الناس، وهذا كان بعكس ما علمه محمد. أراد محمد أن يترك الناس منازلهم ويتجمعوا في المسجد للصلاة، ويضيف أن الصلاة الانفرادية هي أقل شأنًا من الصلاة الجماعية.

> روى ابن عمر عن رسول الله قوله: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة».

أمَّا يسوع فاستطرد في هذا الخصوص يقول:

> وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلًا كَالأُمَمِ فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ.
>
> (متى ٦: ٧)

فصلواتي في الإسلام كانت كلها عبارة عن مجموعة من الكلمات المنمقة. كان عليَّ أن أرددها وحركات معينة عليَّ أن أقوم بها عدة مرات في اليوم؛ وهكذا دواليك كل أسبوع وكذا كل عام. كان اعتقادي أن الله يأمر بكلمات عديدة لكي يستحسن الصلاة.

> فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ.
>
> – متى ٦: ٨ و٢٥–٢٩

يعكس يسوع هنا معرفة الله باحتياجاتي، فأمري يهمه شخصيًا. ثم بعد ذلك يعطينا يسوع نموذجًا للصلاة (متى ٦: ٩–١٣). لم أستطع إلا أن أتوقف عند أولى كلماتها:

أبانا....

كمسلم ما كنت لأصلي هكذا أبدًا؛ فالقرآن يذكُر أن الله لم يكن له ابن قط. غير أني ومع حلول المساء قررت أن كلمة «أبانا» كانت لا بأس بها، فقلت في نفسي: «إذا كان الله أبي، فهذا يجعلني ابنه، وبين الأب والابن لا يوجد أي تحدٍّ أو تحايل فأنت لا تتحدث مع أبيك متوجسًا خائفًا من أن ينزعج منك عندما تصلي». فواصلت القراءة:

أبانا الذي في السموات
ليتقدس اسمك
ليأت ملكوتك
لتكن مشيئتك
كما في السماء
كذلك على الأرض

هذا الأسلوب من العبادة بدا طبيعيًا لي: فعبارة «ليتقدس اسمك»، كانت مستعملة في الإسلام، أمَّا عبارة «ليأتِ ملكوتك» فعلى الرغم من كونها شيئًا جديدًا علي، غير أني أدركتُ في ما بعد أن يسوع لم يكن يمهد لمملكة سياسية بل لمملكة روحانية، وعندما قرأت:

أعطنا خُبزَنا كَفافنا اليومَ

تصوّرت طفلًا صغيرًا يجلس قبالة أبيه يطلب منه بعض الطعام. وعلى الرغم من أن الركعة لم تتضمن أي شيء عن الطلب من الله أن يرعاني فأنا

مسموح لي أن أطلب من الله أن يوفر احتياجاتي، ولكن علي أن أكون جاثيًا وهامتي ملصقة بالأرض في خضوع وإذعان. وواصلت القراءة:

واغفر لنا ذنوبنا
كما نغفر نحن للمذنبين إلينا

وهنا جاءت المعثرة. فقد تساءلت عن سبب قول يسوع إن عليّ أن أغفر للآخرين ذنوبهم لكي يغفر بدوره لي ذنوبي؟ هذا سبب لي نوعًا من القلق من أن هذه العبارة قد تعيدني إلى الإسلام حيث عليك أن تعمل لتنال حظوة عند الله. وقد أدركتُ في ما بعد أن الله يريدنا أن نترك للناس زلاتهم لأنه هو الذي غفر خطايانا أولًا. (أنظر متى ١٨: ٢١–٣٥ حيث مثال العبد القاسي).

ولا تدخلنا في تجربة،
ولكن نجنا من الشرير.

أراني هذا التصوير في الإنجيل أن الإغواء هو من الشيطان وأن الله سيساعدنا على مقاومته. أما في التعليم الإسلامي فالأمر يختلف تمام الاختلاف حيث إن الإغواء قد يأتي من الشيطان أو من الله الذي يستخدم الجن والعفاريت ليزيغ الناس عن الطريق السوي لكي يملأ بهم جهنم، ولهذا السبب استحسنت فكرة أن الله مستعدٌ دائمًا لإنقاذ الناس من إغواء الشيطان إذا ما التمسوا عونه.

تلك كانت خاتمة الصلاة الربانية كما هي مكتوبة في إنجيل متى. عند هذه النقطة كنت مندمجًا بكليتي في قراءة الكتاب المقدس؛ فقد تعلقتُ بالكتاب بشغف شديد لدرجة أني مضيتُ في القراءة في العهد الجديد إلى ساعة متأخرة من الليل. فبعد مضي عدة ساعات وجدتُني أقرأ في إنجيل لوقا الإصحاح ١١، والذي يتعرض لشرح الصلاة الربانية

أيضًا. فالإنجيلي يذكر تعاليم يسوع وكيفية استجابة الله للصلوات:

فَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ أَبٌ يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزًا أَفَيُعْطِيهِ حَجَرًا؟ أَوْ سَمَكَةً أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ».

(لوقا ١١: ١١–١٣)

وتراءت لي ثانية صورة الله – الأب الذي يهتم بأبنائه والتي كانت في غاية التباين من موقف الله الذي جعل عبيده ينتظرون إلى يوم الحساب ليعرفوا عمّا إذا كانت صلواتهم قد وجدت آذانًا صاغية أم لا!

نموذج يسوع للصلاة

أعطى يسوع تلاميذه مثالًا يحتذون به في صلاتهم مستعينًا في ذلك بالصلاة في حياته الشخصية. وقد لفت انتباهي وأنا أقرأ عن الأوقات التي كان يسوع يصلي فيها:

وَفِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ

(مرقس ١: ٣٥)

وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي.

(لوقا ٥: ١٦)

وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ للهِ.

(لوقا ٦: ١٢)

كان من عادة يسوع أن يصلي لوحده، وفي بعض الأحيان كان يأخذ بعض تلاميذه معه (لوقا ٩: ٢٨ و٢٢: ٣٩). غير أنه لم يكن يطلب منهم قط أن يصلوا في أوقات معينة أو حسب طريقة معينة أو ممارسات مفضلة. ولم يتحدث قط عن معاقبة الله لهم إذا لم يصلوا بما فيه الكفاية.

الغرض من الصلاة لله الآب

استنادًا إلى ما ورد في الإنجيل، فإن يسوع استخدم الصلاة كطريقة للتواصل مع الله وليس كطريقة لإرضاء الله. فقد عَلَّمَ تلاميذه تبجيل الله ورفع تضرعاتهم إليه عن طريق الصلاة.

بإمكاننا أن ننظر في سِفر أعمال الرسل في الإنجيل ونرى كيف اتَّبَعَ التلاميذ هذه التوجيهات. والسِفر لا يذكر تلاوة المسيحيين الصلاة حرفيًا أو تكرارها، بل يصفهم وهم يقدمون صلواتهم لله بانتظام ويطلبون منه العون في أوقات الشدة. فسفر أعمال الرسل إصحاح٤، يقدم لنا مثالاً جيدًا للصلاة في الوقت الذي كان المسيحيون فيه مهددين من قبل رؤساء الكهنة والشيوخ.

> فَلَمَّا سَمِعُوا رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إلى اللهِ وَقَالُوا: «أَيُّهَا السَّيِّدُ أَنْتَ هُوَ الإِلَهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا،... بِمَدِّ يَدِكَ لِلشِّفَاءِ وَلْتُجْرَ آيَاتٌ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ». وَلَمَّا صَلَّوْا تَزَعْزَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلاَمِ اللهِ بِمُجَاهَرَةٍ.
>
> (أعمال ٤: ٢٤ و٣٠-٣١)

الاختلافات المبدئية

الفرق في مبدأ الصلاة بين يسوع ومحمد، يستند على التباين في فهمهم لله. فمحمد يصف الله كسيد والناس عبيده، والصلاة هي الطريقة المثلى لكسب ود هذا السيد؛ فإذا لم تقم الصلاة بصورة صحيحة، سيثور غضب هذا السيد ولذلك يقضي المسلمون الساعات تلو الساعات في إعادة وتكرار الكلمات نفسها والحركات نفسها يومًا بعد يوم طمعًا في إرضاء الله.

أمَّا يسوع فقد صَوَّرَ الله كأب والمؤمنين كأبنائه. لذا فالصلاة كانت طريقة للتواصل مع الذي يحبك ويهمه أمرك ويعتني بك؛ فإذا لم يُصلِ المسيحيون، فإنهم يحرمون أنفسهم من فرصة التواصل مع الله.

الخاتمة

في الفصل السابق تمكنا من إلقاء نظرة على الأسطورة التي تركها كل من يسوع ومحمد، وقد تجسم ذلك في:

- رسالتيهما إلى العالم.
- تعاليمهما عن بعضهما البعض.
- شفاء العلل والمعجزات.
- معنى الحرب المقدسة.
- تعاليمهما حول المحبة.
- تعاليمهما عن الصلاة.

هناك موضوع آخر ذو أهمية كبرى للناس المعاصرين، وعلينا أن نتطرق له ألا وهو موضوع – المرأة، حقوقها ومعاملتها. لذا فالفصل التالي سيتعرض إلى تفاصيل تضمنتها تعاليم يسوع ومحمد بخصوص المرأة وكيف تصرفا مع النساء اللواتي تعاملن معهما.



موقفهما من النساء

حتى عندما كنت طفلًا يترعرع في مصر، كنت أغتاظ من طريقة معاملة المسلمين للنساء إلى أن بدأت دراسة القرآن والتاريخ الإسلامي. عندها أدركت مصدر كل هذه الضوابط التي ترزح المرأة تحت ثقلها؛ فقد جاءت من محمد نفسه. وهذا وضعني مرة أخرى أمام تساؤل عن إمكانية أن يعامل رب السماوات الناس بهذه الطريقة! هدفي في هذا الفصل وبكل بساطة أن أعرض لك عزيزي القارئ موقف محمد تجاه النساء وعلاقاته الشخصية مع النساء في حياته، حيث تستطيع من كل هذا أن تستنتج الأسلوب الذي تطورت به التقاليد الإسلامية.

كما سننظر أيضًا إلى موقف يسوع وعلاقاته عندما يتعلق الأمر بالنساء.

ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أجزاء:

- تعاليم محمد في ما يتعلق بشخص المرأة.
- تعاليمهما بخصوص الزواج.
- علاقاتهما الشخصية مع النساء.

تعاليم محمد في ما يتعلق بشخص المرأة

لدينا كمية لا يستهان بها من المعلومات عن المرأة في القرآن وفي تعاليم محمد المذكورة في الحديث. ومحمد يُفرِّق بوضوح بين النساء

والرجال، وللأسف فإن أكثر تعليقاته عن المرأة غير مشجعة وخالية من الإطراء.

هل النساء شريرات؟

عندما زار محمد الجنة وجهنم خلال رحلة الاسراء، قال:

«نظرت في الجنة فوجدت معظم من فيها كانوا الفقراء، ونظرت في النار فوجدت أن معظم من كان فيها من النساء».

في أيام محمد، كان على النساء الحذر من المرور أمام رجلٍ يصلي حيث إن محمدًا قد قال إذا مرت امرأة برجل يصلي فصلاته ستكون باطلة وعليه أن يبدأ صلاته من البداية مرة أخرى. وقد كانت عائشة زوجة محمد الثانية هي التي روت ذلك مع بعض الاعتراض إذ قالت:

الأشياء التي تُبطِل الصلاة قد ذُكرتْ أمامي فقالوا: «الصلاة تبطل إذا مر أمام المصلي كلب أو حمار أو امرأة» فقلت: «قد جعلتَ منا (أي النساء) كلابًا».

وفي موقف آخر وصف محمد النساء كفأل شؤمٍ أو مدعاة للحظ السيئ.

فقال النبي: «الشؤم في ثلاثة البيت، المرأة والفرس».

تعتبر النساء نجسات خلال دورتهن الشهرية (الحيض). وقد قال محمد إنهن لا يستطعن أن يصمن أو يصلين في هذه الأيام وقال إن هذا أيضًا يضع النساء في موقف سلبي في عين الله.

ذهب رسول الله مرة إلى المصلى (ليقدم صلاته).... فمر بجمع من النساء فقال لهن، «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلن وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن بالعشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» قلن «بلى»، قال «فلذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها» (رواه البخاري ٢٩٨ ومسلم٧٩)

هل النساء أقل شأنًا؟

هل كان محمد يؤمن بأن النساء أقل شأنًا من الرجال؟ يقول القرآن إن شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد:

وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى
(سورة ٢: ٢٨٢)

وفسر محمد الغرض من هذا التعليم كالآتي:

قال النبي: «أليست شهادة امرأة تساوي نصف شهادة الرجل؟» فقلن: «نعم». فقال:«هذا بسبب النقص في عقل المرأة».

وهكذا أيضًا فالنساء يرثن أقل من الرجال.

يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ
(سورة ٤: ١١)

وجب على النساء أن يتحجّبنَ

يتساءل الكثير من الناس عن مصدر الحجاب للمسلمات. ففي بداية الإسلام، وعندما كان محمد يعيش في مكة مع زوجته الأولى لم يطلب منها أن تتحجب. ولكن بعد القدوم إلى المدينة، حدث شيء حَفَّز ثورة جديدة بخصوص النساء. فقد بدأ محمد بتعدد الزوجات حيث كان محمد يقيم الاحتفالات بعد كل واحدة من هذه الزيجات. فبعد عرسه مع زينب بنت جحش (والتي سأخبرك عنها لاحقًا) بقي بعض المدعوين في بيت محمد بعد أن غادرها محمد. وفي الصباح التالي تقدم منه الثقاة من أصحابه وقدموا له هذا الاقتراح قائلين (والرواية لعمر):

> فقلت: «يا رسول الله! يدخل عليك الجيد والرديء، لذا فنحن نقترح عليك أن تأمر أمهات المؤمنين (والمقصود بهنّ هنا زوجاته) أن يتحجبن». فأنزل الله عليه سورة الحجاب.

وفي اليوم نفسه جاء جبريل إلى محمد بالوحي والآية التي تفرض على النساء المسلمات أن يتحجبن.

> يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
>
> (سورة **٣٣: ٥٩** والأية **٣٣** وسورة **٢٤: ٣١**والآية **٥٨**)

فبدأت النساء يحتجبن، حيث علّقت عائشة زوجته الثانية على كيفية اتباع النساء هذا الوحي بقولها:

> عند نزول الآية: «وإنهم يجب عليهن أن يغطين أعناقهن

وأنحارهن» قامت النساء بقص أطراف ثيابهن الوسطى ليغطين بها وجوههن.

كان هدف محمد من الحجاب واضحًا، لذلك فالنساء المسلمات اليوم يغطين وجوههن. والمسلمون المتحفظون اليوم يتبعون القرآن حرفيًا والنساء يتحجبن. أمَّا المسلمات المتحررات فإنهن يفضلن المحتشم من الملابس المعاصرة بدلًا من الحجاب الكامل.

النساء كغنائم حرب

كانت كل القبائل والمناطق التي تقاوم محمدًا وجيشه تُقهر بالقوة وتُخضع، وكان للمسلمين الحق في سبي نسائهم وأولادهم واستعبادهم. فالفصل **٢٩** من الكتاب ٨ من صحيح مسلم يتضمن شرعية الحق التالي:

> يؤذن بممارسة الجماع مع الأسيرة بعد تطهرها (انتهاء طمثها أو حبلها)، أمَّا إذا كانت امرأة ذات بعل، فإن زواجها يعتبر لاغيًا بعد أسرها.

ويمضي الحديث بالكلام عن أوان وضع هذا التشريع فيشرح ذلك بقوله:

> أرسل رسول الله إبان معركة حنين جيشًا إلى أوطاس والتقى بجيش العدو وقاتلهم، وعند الانتصار عليهم وسبيهم كأسرى امتنع صحابة رسول الله عن جماع نسائهم بسبب كون أزواجهم من المشركين. أنزل الله تعالى الآية بخصوص ذلك تقول: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

(سورة ٤: ٢٤)،

رعاية محمد للنساء

على الرغم من بعض التعليقات والتصرفات تجاه النساء، فقد أكد محمد على أن النساء المسلمات كن يحصلن على الرعاية خصوصًا الأرامل والفقراء. فالمجتمع الإسلامي كان فيه عدد لا يستهان به من الأرامل بسبب حروب الجهاد. فقد أمَّنَ عيشهم من أسلاب الحرب والزكاة التي كان يجمعها من الشعوب الواقعة تحت السيطرة الإسلامية.

تعاليم يسوع عن شخص المرأة

على الرغم من أن يسوع لم يعلق على شخص المرأة بالذات كونه يختلف عن شخص الرجل، غير أننا نستطيع استخلاص موقفه من الطريقة التي كان يتعامل بها معهن. فالإنجيل يصف يسوع بأنه كان يشجع الإيمان فيهن، شافيًا أسقامهن، طاردًا الأرواح الشريرة منهن غافرًا خطاياهن كما كان يفعل مع الرجال.

يسوع يقوي إيمانهن ويشفيهن

المرأة التي كانت تنزف لأثنتي عشرة سنة، شاهدت يسوع بين الجموع فاقتربت منه ولمست حافة ثوبه فأحس هو بذلك فتساءل قائلًا: «من لمسني؟». فجاءت المرأة ترتعد من الخوف لتعترف بأنها

هي التي لمسته. وكانت خائفة بسبب نزفها. واستنادًا إلى ناموس اليهود فإنها تعتبر غير طاهرة وعليها ألا تلمس أحدًا. غير أن يسوع قال لها: «يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ». (مرقس ٥: ٢١–٣٤)

فيسوع قدّر إيمانها وأثنى عليه. وبكلماته لها يخالف تعاليم محمد القائلة «إنهن ناقصات عقل ودين». والمرأة الأخرى التي قيَّم إيمانها هي المرأة (ولم تكن يهودية) التي كانت تلح في طلبها منه أن يطرد الأرواح الشريرة من ابنتها فقال لها يسوع: «يَا امرأة عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ» (متى ١٥: ٢٨).

ولم يتوقف يسوع عند هذا الحد بل تعداه إلى القول بأن تقدمة (عطاء) أرملة قد يكون أحسن بكثير من تقدمة رجل غني.

> وَتَطَلَّعَ فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ وَرَأَى أيضًا أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: «بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ لأَنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا».
>
> (لوقا ٢١: ١–٤)

في هذا يتعارض موقف يسوع مع موقف محمد كل التعارض حيث إن محمدًا ألح على مجموعة من النساء أن «يتصدقن» لتعويض نقصهن عقلًا ودينًا.

طرد الأرواح الشريرة منهن

كان بعض أتباع يسوع من النساء اللواتي أنقذهن من الأرواح الشريرة.

وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمَعَهُ الاِثْنَا عَشَرَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ وَيُوَنَّا امرأة خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَّةُ وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ (لوقا ٨: ١–٣)

وقد شفى يسوع المرأة التي أقعدتها الأرواح الشريرة لثماني عشرة سنة (لوقا ١٣: ١٠–١٣).

غفرانه خطايا النساء

كان يسوع وتلاميذه يجتازون منطقة السامرة حيث توقفوا قرب بئر ماء على أطراف إحدى مدنها للراحة. وجلس يسوع عند البئر ليستريح لأنه كان متعبًا بينما ذهب تلاميذه إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا لهم. في هذه الأثناء أقبلت امرأة إلى البئر لتستقي فبدأ يسوع يكلمها. وحقيقة كون يسوع يكلمها كان ذلك في حدّ ذاته شيئًا غير عاديّ، وذلك لسببين: أولًا كونها امرأة، وثانيًا أنها كانت سامرية، حيث كان اليهود يعتبرون السامريين غير طاهرين.

استمر الكلام بينهما حتى فاجأها يسوع بالإشارة لها بأنها كانت تعيش مع رجل ليس زوجها. فهرعت المرأة عائدة إلى المدينة متعجبة من معرفته بتفاصيل حياتها، وأخبرت الجميع عنه. فطلبوا من يسوع أن يبقى معهم ليومين آخرين لتعليمهم، حيث شجعت شهادتها له السامريين أن يؤمنوا به. (يوحنا ٤: ١–٤٢). وبدلًا من أن يدينها يسوع لخطاياها، فقد أعطاها الفرصة لتتبعه.

وفي حادثة أخرى اقتربت امرأة من يسوع بينما كان يتناول الطعام في بيت أحد الفريسيين (رؤساء اليهود)، وكانت المرأة معروفة

بحياة الخطيئة التي كانت تعيشها. فاقتربت منه ورمت بنفسها تحت قدميه وهي تبكي وتنتحب. ثم أخرجت قنينة عطر باهظ الثمن ومسحت به رجليه. وبينما كان هذا يحدث كان رؤساء اليهود يتهامسون ويقولون لبعضهم: «لو كان هذا نبيًا حقًا، لأدرك أن هذه المرأة خاطئة». فأجابهم يسوع بقوله: «نعم إن هذه المرأة خطاياها كثيرة، ولكنها أحبت كثيرًا» ثم قال لها «إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ! اِذْهَبِي بِسَلاَم.» (لوقا ٧: ٣٦–٥٠).

وكذلك تدخَّلَ يسوع في مسألة المرأة التي ألقى الجمع القبض عليها متلبسة بالزنى، وكان رؤساء اليهود على وشك أن يرجموها. فقال يسوع للمدعِين عليها: «من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها أولاً» وللحال ترك الجمع المرأة فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «ولاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أيضًا». (يوحنا ٨: ١١).

الزواج

تعاليم محمد عن النساء في الزواج

تماشيًا مع مواقفه من النساء عَرَّف محمد العلاقة الزوجية حيث يكون الرجل هو الأعلى منزلة والمرأة عليها أن تكون خاضعة له. أما بالنسبة إلى الزوج فالقرآن يقول:

> الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
>
> (سورة ٤: ٣٤)

أما الجزء الثاني من هذه الآية فإنه يعطي الزوج الحرية بمعاقبة الزوجة إذا تصرفت بصورة غير لائقة حيث يقول:

وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً

النساء ملعونات إذا رفضن أن ينمن مع أزواجهن:

قال النبي: «إذا دعا الرجل زوجته إلى أن تنام معه ورفضت أن تأتي إليه، عندها فإن الملائكة سترسل لعناتها عليها إلى الصباح».

يعتبر الطلاق جزءًا من الحياة في النظام الإسلامي ويستطيع الرجل أن يطلق زوجته بأن يقول ثلاث مرات: «أنت طالق» وله الخيار في أن يعود ويتزوجها من جديد بينما إذا قال: «أنت مثل أمي لي»، عندها سيجعله طلاقا باقيًا ولا يستطيع أن يتزوجها مرة أخرى ما لم تتزوج من رجل آخر وتطلق منه. وبعد حدوث الطلاق الثاني فالزوج الأول له الحرية في أن يتزوجها مرة أخرى إذا رغب في ذلك (سورة ٢: ٢٢٦–٢٣٢). والزوجة غير مسموح لها أن تبدأ بالطلاق ولا أن تمنع الزوج عن طلاقها (وهذا التشريع مستند إلى سورة ٤: ٣٤).

وحتى اليوم في العالم الإسلامي حيث يطبق القانون الإسلامي ما زال غير مسموح للنساء أن يبدأن أو يوقفن الطلاق (كما في السعودية وإيران والسودان). أما في باقي البلدان الأكثر تحررًا، فإن النساء يُمنحن بعض حقوق الطلاق. فعلى سبيل المثال في سنة **٢٠٠٣** سنت مصر قانونًا يعطي المرأة الحق أن تطلب الطلاق في ظروف معينة كخيانة الزوج أو عدم صلاحيته.

كل هذه ونصوص أخرى مختلفة عن الطلاق والتعويضات وفترة الانتظار قبل السماح بالزواج مرة أخرى كلها مفصلة في الحديث. فالقانون الإسلامي يسمح بالطلاق في ظروف عديدة حتى في الأمور الصغيرة، وهذا عائد إلى موقف الزوج وظروفه. فهو يستطيع أن يطلق

زوجته لمجرد صعوبة الحياة معها. فالقرآن يجيز للرجل أن يقتني أربع زوجات إذا تمكن من إعالتهنّ.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً

(سورة ٤: ٣)

وأما محمد فقد كان مسموحًا له أن يكون له أكثر من أربع زوجات كما سترى في لاحقًا في هذا الفصل.

تعاليم يسوع عن النساء في الزواج

بالمقارنة مع محمد، فإن يسوع أكد أن اللجوء إلى الطلاق يجب أن يكون محدودًا.

فَتَقَدَّمَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَسَأَلُوهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ؟» لِيُجَرِّبُوهُ. فَأَجَابَ: «بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى؟» فَقَالُوا: «مُوسَى أَذِنَ أَنْ يُكْتَبَ كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلَّق». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ وَلَكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللهُ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ». ثُمَّ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ أيضًا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. وَإِنْ طَلَّقَتِ امرأة زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي».

(مرقس ١٠: ٢–١٢)

فيسوع منح منزلة روحانية عليا للزواج. فقد أكد على تعاليم العهد القديم والتي تنص على أن الله بارك العلاقة بين الرجل والمرأة وأن هذه الآصرة هي من الخصوصية بمكان بحيث إنها توصف كاتحاد شخصين منفصلين ليصبحا جسدًا واحدًا (تكوين **٢: ٢٤**).

فعلى الرغم من أن يسوع لم يتكلم بالذات عن تفاصيل الزواج، غير أن أتباعه ساهموا بنصائحهم في بعض جوانب الزواج والطلاق، وهي مذكورة في العهد الجديد.

والآن عزيزي القارئ، لننظر إلى الدور الذي لعبه الزواج في العلاقات الشخصية في حياة كل من يسوع ومحمد.

أشهر زوجات محمد

كما تغير موقف محمد من غير المسلمين بعد انتقاله إلى المدينة، تغير أيضًا موقفه في ما يتعلق بزيجاته. فلنتعرف إلى زوجته الأولى ثم زوجاته الاثنتي عشرة الأخريات اللاتي اقترن بهن في فترة حياته في المدينة.

خديجة، زوجته الأولى

تزوجها وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره. وكانت خديجة في العقد الرابع من عمرها وكانت تدعم محمدًا وتقدم له كل أنواع الدعم والإسناد. فعندما بدأ الوحي بالنزول عليه وخلال تعرضه للرفض والمقاومة من قبل أهل مكة بقي محمد زوجًا لها طيلة فترة حياتها، حيث دام زواجهما خمسة وعشرين عامًا.

عائشة، الطفلة العروس

بعد حوالى عام واحد من انتقاله إلى المدينة، اختار محمد زوجة

قد تكون غير اعتيادية حتى بأعراف المجتمع العربي آنذاك. فعائشة ابنة أخلص أتباعه أبي بكر، وهي في مرحلة طفولتها، إذ لم تكن قد تجاوزت السادسة من عمرها بعد.

> كتب النبي كتابه على عائشة وهي مازالت طفلة في السادسة من عمرها ودخل عليها حال بلوغها التاسعة. وبقيت زوجة له حتى وفاته بعد تسع سنوات من زواجه منها.

وبالإضافة إلى كون قصة زواجها غير اعتيادية كعروس طفلة، فإن عائشة لعبت دورًا ملموسًا في التاريخ الإسلامي. فقد روت الكثير من الحديث واصفة حياة محمد وتعاليمه في ما عدا حالة تورطها في حادثة عرضت مصداقية الإسلام إلى خطر عظيم. ففي إحدى الغزوات (وكان من عادة محمد أن يختار إحدى زوجاته لترافقه) في السنة الخامسة للهجرة صاحبته عائشة وكانت غزوة الإغارة على قبيلة بني المصطلق اليهودية. وتروي عائشة التي لم يكن عمرها يناهز الحادية عشرة وقتها، أنها ركبت في هودج مغطّى على ظهر جمل حتى توقف الركب الغازي في الليل. استغلت عائشة هذه الفرصة وذهبت لتقضي حاجتها في الصحراء. وفي طريق عودتها أدركت فجأة أنها قد فقدت قلادتها، فعادت أدراجها باحثة عنها حيث وجدت القلادة. غير أنها عند وصولها إلى مكان نزول الركب ولدهشتها كانوا قد رحلوا وتركوها وراءهم وهم يعتقدون أنها راكبة معهم في هودجها، فأسقط في يدها. فجلست تنتظر في الصحراء إلى أن مر بها أحد الجنود المسلمين حيث أعادها على ظهر جمله عند الصباح.

اتُهمتْ عائشة بأنها ارتكبت الفحشاء مع منقذها الشاب وقد قضت الليلة معه في الصحراء. وكان على رأس متهميها شاعر الرسول حسان ابن ثابت. وحيث لم يستطع محمد أن يثبت براءتها، بدأ الناس بالقول:

«إذا كان هذا الرجل نبيًا، لكان له أن يعرف ما حدث لزوجته!» استمر هذا الوضع المتأزم على هذا الحال لمدة أكثر من عشرين يومًا.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن صدى هذه الحادثة لم يتوقف عند هذا الحد. فقد ترامى إلى سمع عائشة، أن عليًا (ابن عم محمد ورفيق صباه) كان يلح عليه ويحفزه أن يطلق عائشة، فحقدت عليه وبيتت له الضغينة طوال حياتها. ونرى أنها بعد مقتل عثمان ثالث الخلفاء واختيار علي لخلافة المسلمين رفضت الاعتراف بالبيعة لخلافته. فحشدت جيشًا من مؤيديها وزحفت ضده فنشبت بينهما ما عرف بعد ذلك بمعركة الجمل وهي المعركة التي حصدت أرواح عشرة آلاف من المسلمين.

فعائشة تلك العروس الطفلة، أصبحت شخصية بارزة في التاريخ الإسلامي. والآن لنتعرف إلى زوجة أخرى وكانت الأكثر شأنًا بين زوجات الرسول.

زينب، زوجة ابنه بالتبني

ذهب محمد يومًا إلى بيت زيد بن حارثة ابنه بالتبني. وإذ لم يكن في البيت، فتحت زوجته زينب الباب للنبي. وحال ما التقت نظراتهما قال محمد: «سبحان مغير القلوب». وإذ شعر بحبها يسري في قلبه، أحست زينب بأنه يشتهيها لنفسه. فعند عودة زوجها أعلمته بالذي قد حدث. ولم يكن هذا بالموقف السهل على محمد؛ فإلى جانب كون زينب امرأة متزوجة وذات بعلٍ، وزوجها هو ابنه بالتبني، فقد حرمت الشريعة الإسلامية زواج الرجل من زوجات أبنائه.

ومنذ ذلك اليوم بدأت زينب بإساءة معاملة زيد مشعرة إياه بأنها لم تعد تحبه البتة. وفي كل مرة يحدث فيها ذلك، كان زيد يتوجه إلى محمد بمشكلته ليشتكي له. وكان محمد يهدئ من روعه بقوله: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ» (سورة **٣٣: ٣٧**).

استمر الحال على هذا المنوال لأيام طوال، مما حدا بزيد أن

ينزل عند رغبة زوجته ويطلقها. ويذكر التاريخ الإسلامي أن محمدًا عندها قرر أن يطلب يد زينب للزواج، حتى وإن كان هذا العمل في حدّ ذاته يعتبر تحدّيًا للشريعة الإسلامية إذا اقترفه أي مسلم ناهيك عن محمد.

والأغرب من ذلك كله أن محمدًا أرسل زيدًا، من دون كل المسلمين، إلى زينب بالعرض. فذهب زيد إلى بيت أهل زينب زوجته السابقة، ووجدها تنقي الدقيق بغية عجنه لعمل الخبز. ويقول زيد عن هذه اللحظة: «حال رؤيتي لها، غضضت ناظري فلم أتمكن من النظر إلى وجهها، فأنا مازلت أحبها» ولكن وبكل التزام أدى الواجب وأوصل رسالة محمد إليها. فأجابت زوجته السابقة بقولها: «يجب أن يعلمني الله بزواجي منه». وأخبرته بنيتها الذهاب إلى الجامع للصلاة. فعاد زيد إلى محمد برسالة زينب راويًا له ما حدث. وبينما كانت زينب ما تزال في الجامع، أبلغ محمد عن نزول وحي جديد من الملاك جبريل يقول:

> وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا
>
> (سورة ٣٣: ٣٧– ٣٨)

فالآية ذكرت بالحرف أن الله أمر زينب أن تتزوج من محمد. وأشارت الآية أيضًا إلى أن هذا الزواج بالذات سيساعد المسلمين الآخرين بإظهار أن الرجل يستطيع أن يتزوج من زوجة ابنه المتبنى

السابقة إذا أبطل الزواج بالطريقة الصحيحة. وبعد حين نزلت آية أخرى على محمد لتُبطِل التبني «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ» (سورة **٣٣: ٤**). وبناءً على هذا فإن زيدًا لم يعد يُعتبر ابن محمد مما جعل زواج محمد من زينب زواجًا شرعيًا.

وأخيرًا وافقت زينب على الزواج من محمد لتصبح الزوجة الخامسة. وقد عاشت زينب سعيدة بتطور الأمور لصالحها، حيث كانت تتباهى بين قريناتها إذ يسجل الحديث لها قولها:

كان من عادة زينب أن تتباهى أمام زوجات النبي قائلة: «أنتن زَوّجكن أهلكن، أما أنا فقد زوجني الله من النبي من فوق السماوات السبع».

أما زوجها السابق زيد بن حارثة، ابن محمد بالتبني، فقد قتل في غزوة مؤتة بعد ذلك بثلاث سنوات.

والآن فلننظر إلى مثال مميز حول كيفية حصول محمد على إحدى زوجاته – فهي كانت قد أسرت في إحدى غزواته.

صفية، الحسناء اليهودية

استطاع محمد بحلول العام السابع للهجرة أن يطرد معظم اليهود من الجزيرة، ولم يبق منهم إلا إحدى القبائل التي كان تدعى خيبر. حاصر محمد وجيشه خيبر ليلًا والناس نيام. فأعمل فيهم السيف وقتل كل رجالهم وشبابهم البالغين. أما النساء والأطفال فساقهم ليكونوا أسراه. فلفتت نظر محمد أسيرة تدعى صفية. كان أبوها زعيم عشيرة خيبر، أول من قتله محمد وقتل عريسها أيضًا في الليلة نفسها، وهي ما تزال عروسًا في الأيام الأولى لعرسها، فسأل محمد: «أسيرة من هذه؟» فقالوا «إنها تعود لقيس بن ثابت الشماس». فاستبدل محمد قيسًا بنتَيْ عم صفية الاثنتين وأخذ صفية عنهما. فرحلت مع محمد باتجاه المدينة.

وأثناء سفرهم دخل عليها حال انقطاع طمثها. وفي ليلة دخلتها كان أحد أتباعه قد قضى الليل حول خيمة محمد وسيفه مستلٌ في يده. فسأله محمد في الصباح عن سبب ذلك فأجاب: «يارسول الله كنتُ خائفًا عليك من تلك المرأة، لأنك قد قتلت أباها وزوجها وأهلها وهي مازالت حديثة العهد بالاسلام، فخفت عليك منها».

زوجات محمد الأخريات

وراء كل زوجة من زوجات محمد قصة، وقد أخبرتك عزيزي القارئ عن اللواتي كان لهن دورٌ مميز في التاريخ الإسلامي. والآن إليك بيان بهن بتسلسل زيجاتهن:

١- خديجة بنت خويلد (تزوجها في مكة لخمسة وعشرين عامًا).
٢- عائشة بنت أبي بكر (بنت أخلص أصحابه، وأول خلفاء المسلمين وكانت صغيرة وغيورة. وعلى الرغم من كونها المفضلة فقد سببت الكثير من المشاكل).
٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب (ابنة أعنف مقاتلي محمد).
٤- رُملة بنت أبي سفيان (ابنة قائد قريش في مكة الذي تحول إلى الإسلام قبل غزو محمد لمكة).
٥- زينب بنت جحش (الزوجة السابقة لابنه بالتبني زيد).
٦- أم سلمة هند بنت أبي أمية.
٧- ميمونة بنت الحارث الهلالية.
٨- سودة بنت زمعة الأموية.
٩- جويرية بنت الحارث (فتاة يهودية أسرت في غزوة بني المصطلق وهي الغزوة نفسها التي تخلفت فيها عائشة عن الركب).
١٠- صفية بنت حُيي (فتاة يهودية أسرت في غزوة خيبر).
١١- ريحانة.

١٢- ماريا.
١٣- أم شريك.

وكما تذكر عزيزي القارئ فإن القرآن أذن للمسلمين مثنى وثلاث ورباع، أما محمد فقد كان الاستثناء في هذا حيث أعلن محمد أن الوحي عرَّف النساء اللائي كان مسموحًا له أن يتزوج:

> يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ
>
> (سورة **٣٣: ٥٠**)

فعندما توفي محمد ترك تسع زوجات، وكان محمد قد منعهن من الزواج بعد وفاته (سورة **٣٣: ٦ و٥٢**).

نساء محمد الأخريات

كان لمحمد بالإضافة إلى زوجاته مجموعة من النساء تحت تصرفه. وهذه المجموعة كن الأسيرات من غزواته أو اللواتي أشتراهن حيث يشير القرآن بـ«مُلك اليمين» إلى كل العبيد سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا. والعبيد الذكور كانوا العبيد الذين يخدمون محمدًا وزوجاته في الأمور اليومية من عناية ورعاية لبيوتهم ودوابهم، وقسمٌ آخر منهم كان يجلب الماء للوضوء قبل الصلاة. وقد ذكر التاريخ الإسلامي أسماء ثلاثة وأربعين من أولئك العبيد الذكور. أما الإناث منهم، فكان

لهن واجباتهن أيضًا. غير أن الشريعة الإسلامية حللت لمحمد أن يستخدمهنّ جنسيًا دون أن يتطلب ذلك منه أن يتزوجهن. أما أبناؤه من هذه العلاقات المتعددة فلا يحملون اسم محمد ولا ينالون أي حق من ميراثه حيث إن المولود الجديد سيعتبر عبدًا يباع ويشترى كباقي عبيد محمد. وفي هذا فالشريعة تحلل «ملك اليمين» لأي مسلم، ويذكر التاريخ الإسلامي أسماء ثلاث وعشرين من أولئك النساء الرقيق.

علاقات محمد مع زوجاته بصورة عامة

كانت حياة محمد الاجتماعية مليئة بالعراقيل بينه وبين زوجاته من جهة وفيما بين زوجاته أنفسهن من جهة أخرى. فالتاريخ الإسلامي دَوَّنَ الكثير عن هذه المناوشات والتطاولات. في إحدى المرات عندما قامت نساؤه يطالبنه بالمال ألححن عليه في الوقت الذي لم يكن معه أي مال يعطيهن. حينئذٍ غضب وسخط وعزل نفسه عنهن لفترة تسعة وعشرين يومًا، عرض عليهن في نهايتها أن يتطلقن منه، ناصحًا عائشة العروس الطفلة أن تستشير أبويها في ذلك. وفي نهاية المطاف انتهى الأمر بإذعان الزوجات في البقاء على عصمته وفي بيته. ومن أجل ذلك قرر محمد أن يخصص لكل واحدة من زوجاته يومًا لها يقضيه معها. غير أن هذا لم يكن ممكنًا دائمًا؛ فعندما كانت عائشة تسبب له المشاكل، كان يأخذ يومًا من إحدى زوجاته ويقضيه معها. فشكت إحداهن فهددها محمد بالطلاق. ولكونها متقدمة في السن رضخت له قائلة: «لاتطلقني، أنا راضية أن أتنازل عن ليلتي لعائشة على أن أبقى معك».

يسوع والنساء اللواتي ساعدنه

لم يوجد أي ذكر في الإنجيل أو كتب التاريخ المسيحي عن أن يسوع كان قد تزوج أو كانت له زوجة أبدًا. ولكنها تذكر أنه كانت تربطه

علاقة صداقة وثيقة بعائلة اليعازر وأختيه مريم ومرثا (لوقا ١٠ ويوحنا ١٢). ويذكر الإنجيلي أنه كان هناك مجموعة صغيرة من النساء اللواتي كن يسافرن معه ومع التلاميذ للعناية بهم، حيث يقول:

> وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمَعَهُ الاِثْنَا عَشَرَ. وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ وَيُوَنَّا امرأة خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَّةُ وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ.
>
> (لوقا ٨: ١–٣)

أولئك النسوة كن تابعات وفيات له، حيث بقين معه خلال وبعد أحداث صلبه.

> وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي.
>
> (متى ٢٧: ٥٥–٥٦)

بعد رفع جسد يسوع عن الصليب من قبل يوسف من بلدة الرامة، جاءت اثنتان من النسوة تتبعان يوسف وتتطلعان وهو يسجي الجسد في القبر ويدحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر (متى ٢٧: ٥٧–٦١). بعدها ذهبتا لتحضرا الطيوب لمسح جسد يسوع بعد أن ينتهي السبت. وأولئك النسوة أول من رأى يسوع بعد قيامته.

> وَبَعْدَ السَّبْتِ عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ.... وَفِيمَا هُمَا مُنْطَلِقَتَانِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ إِذَا يَسُوعُ لاَقَاهُمَا وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكُمَا». فَتَقَدَّمَتَا

وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ. فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لاَ تَخَافَا. اذْهَبَا قُولاَ لإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلى الْجَلِيلِ وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي».
(متى ٢٨: ١و٩–١٠)

إذًا، فنحن نستطيع أن نرى أن النسوة تبعن يسوع وساعدنه ويسوع خصهن بأن يكنَّ أول من رآه بعد قيامته. غير أنه ليس هناك أي دليل على أنه كان له علاقات شخصية أو علاقة زواج مع أي منهن. ودليل ذلك أن المجتمع اليهودي لم يدنه بأي تصرف من هذا القبيل.

الخلاصة

ما الذي تعلمناه، بعد كل هذا، حول موقف كل من يسوع ومحمد من المرأة؟

شخص المرأة: محمد وصف المرأة سلبيًا بينما عاملها يسوع بالطريقة نفسها التي عامل بها الرجل.

الزواج: وصف محمد الزواج كعلاقة، فيها المرأة خاضعة للرجل بكل إذعان. وسمح للرجل أن يطلِّق زوجته لأسباب عديدة. أما يسوع فقد وصف الزواج كعلاقة اتحاد أسسها الله على ألا تُفصل إلا بخيانة أحد الشريكين.

العلاقات مع النساء: كان لمحمد عدة زوجات وعانى من تحديات عديدة معهن. أما يسوع فلم يتزوج قط إلا أنه كان هناك نسوة من عائلات تلاميذه يساعدنه في حله وترحاله.

ومرة أخرى نرى هنا الفرق الشاسع بين شخصية كل من يسوع ومحمد وصفاتهما. وإنه لمن المثير للاهتمام ملاحظة كيف لعبت هذه الفروقات تأثيرها عندما واجهتهما التحديات نفسها. وسنتعرض في الفصل التالي إلى أربعة مواقف مثيرة للدهشة تتوازى في أحداثها في حياتهما وأسلوب تعرضهما لها.



١٧

مفارقات مثيرة للتأمل

بينما كنت أدرس حياة يسوع، كانت إحدى أهم التجارب التي اكتشفتُها هي حادث فريد من نوعه في حياته تردد صداه في حياة محمد. في هذا الفصل عزيزي القارئ، سترى كيف استجاب كل من يسوع ومحمد إلى المواقف التالية والمتماثلة ضمنًا وموضوعيةً:

- امرأة ضُبطَتْ تزني.
- ضرير يلتمس عونًا.
- يتخلّى عنهم أتباعهم في الضيق.
- جياع في البرية.

الحكم على امرأة ضُبطَتْ تزني

محمد

جاءت امرأة إلى محمد وقالت له: «قد ارتكبت الفحشاء فطهرني». {كان غرض المرأة أن يعاقبها محمد لكي يغفر الله لها ويدخلها الجنة}. غير أن محمدًا قال لها أن تعود بعد أن تضع الجنين.

بعد أن وضعت جنينها، عادت ثانية إلى محمد وقالت له: «هذا هو طفلي الذي ولدته». فأجابها محمد: «إذهبي وأرضعيه حتى يُفطم». فقفلت راجعة إلى بيتها.
فُطِم الطفل، فعادت إلى محمد بالطفل ممسكًا كسرة خبز يقضمها وكان عمره وقتذاك لايتجاوز السنتين، وهي السن التي ذكرها القرآن لفطام الطفل، قائلة لمحمد: «هوذا يا رسول الله، قد فطمته وهو قادرٌ على الأكل الآن». أخذ محمد الطفل ودفعه إلى أحد المسلمين وأصدر حكمه على المرأة. دفنت المرأة إلى صدرها في حفرة، ومن ثم دعا الناس لرجمها. (راجع هذه القصة في موطأ ابن مالك).

ومن غرابة الأطوار أن قصة هذه المرأة كثيرًا ما تستعمل كمثل للرحمة عند محمد!

يسوع

وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امرأة أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسَطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ المرأة أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هَذَا لِيُجَرِّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إلى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ انْحَنَى أيضًا إلى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ

فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إلى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالمرأة وَاقِفَةٌ فِي الْوَسَطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى المرأة قَالَ لَهَا: «يَا امرأة أَيْنَ هُمْ أولئك الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ يَا سَيِّدُ». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «ولاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أيضًا».

(يوحنا ٨: ٣-١١)

ضرير يطلب المساعدة

محمد

جاء بعض أشهر شيوخ مكة إلى أحد اجتماعات محمد الذي كان يحاول جاهدًا أن يقنعهم باعتناق الإسلام. وفي هذه اللحظة اقترب رجلٌ ضرير منه يلتمس عونًا في تفهم نقطة بخصوص الإسلام. لم يستحسن محمد مقاطعته له فغض الطرف عنه. وبعد هذا الحادث، أعلن محمد أن الله وبخه لتجاهله الضرير (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى) (سورة ٨٠: ١-٤).

محور النقاش هنا هو أن محمد قد تجاهل الضرير بدلًا من أن يقدم له يد العون كما طلب.

وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِسًا علَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازًا سَأَلَ: «مَا عَسَى أَنْ

يَكُونَ هَذَا؟» فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ. فَصَرَخَ: «يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!». فَانْتَهَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ لِيَسْكُتَ أَمَّا هُوَ فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيرًا: «يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي». فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ: «مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ أَنْ أُبْصِرَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللهَ.

(لوقا ١٨: ٣٥–٤٣)

أدرك هذا الضرير أن يسوع كان يشفي الناس، فالتمس منه العون فما كان من يسوع إلا أن منحه ما كان يصبو إليه بإعادة نعمة البصر إليه.

أتباعهما يتخلون عنهما في وقت الشدة

محمد

بعد أن قام محمد بغزو مكة، تحالفت باقي القبائل في محاولة لهزيمته. فقام محمد على حصانه الأبيض بقيادة جيشٍ جرار قوامه إثنا عشر ألف مقاتل. ولكن على الرغم من خروجه عليهم فقد استطاع هؤلاء أن يهزموه بالهجوم عليه في الصباح الباكر. ونجحوا في تشتيت قواته وزعزعة أركانها فلاذ مقاتلوه بالفرار فزعين. فانسحب محمد إلى اليمين صارخًا بهم: «إلى أين تذهبون يارجال؟ تعالوا إليَّ، فأنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله». بقي بعضهم معه غير أن معظم المقاتلين كانوا قد ولوا الأدبار فأمر محمد رجلًا ذا صوت جهوري أن ينادي على السامعين ليعودوا لحمايته. فعاد ما يقارب المائة مقاتل ليبقوا مع محمد. وأخيرًا استطاع جيش المسلمين الجرار أن يهزم العدو في ذلك اليوم. وهذه عرفت في ما بعد بموقعة حُنَين.

مغزى الكلام هنا هو أن محمدًا طالب أتباعه أن يحموه.

يسوع

وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا يَهُوذَا أَحَدُ الاِثْنَيْ عَشَرَ قَدْ جَاءَ وَمَعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخِ الشَّعْبِ،... فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ لِمَاذَا جِئْتَ؟» حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوُا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟ فَكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟». حِينَئِذٍ تَرَكَهُ التَّلاَمِيذُ كُلُّهُمْ وَهَرَبُوا..

(متى ٢٦: ٤٧ و٥٠-٥٤ و٥٦)

والنقطة هنا هي أن يسوع لم يسمح لأتباعه أن يقاتلوا من أجله، ولم يدعُهم للعودة إليه عندما هربوا.

معاناة الجوع في الصحراء

محمد

وقَّع أهل مكة اتفاقية لمقاطعة محمد وعشيرته والمسلمين، رافضين التعامل معهم في أي بيع أو شراء. واستمر الحال على هذا المنوال لمدة سنة. وأخيرًا أُجبر محمد والمسلمون على الخروج من مكة ليمضوا إلى

الوادي الصحراوي القريب من مكة. ويقول التاريخ الإسلامي إن اليأس والجوع بلغا مبلغهما منهم إلى درجة أن بعضهم بدأ يأكل روث الحيوانات وأوراق الأشجار. وقد عُرفت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي بعام المجاعة. ولم يبقهم على قيد الحياة إلا ما كان يجود به أصدقاؤهم والمتعاطفون معهم. وبعد انقضاء هذه الأشهر الطويلة قرر شيوخ مكة أن يرفعوا الحصار عنهم طوعًا. كل هذا ومحمد لم يكن بإمكانه أن يوفر للمسلمين الطعام بعمل أيّ أعجوبة.

يسوع

وكان يسوع قد واجه الظروف نفسها حين كان أتباعه جياعًا. فقد كان هناك ما يقارب الخمسة آلاف رجل وكانوا قد تبعوه إلى الخلاء ليستمعوا إلى تعليمه. ونَفَدَ ماكان معهم من الطعام فجاعوا أخيرًا ولم يجد التلاميذ طعامًا يكفي لإطعام هذه الألوف الجائعة. وكان هناك صبيٌ معه سمكتان وخمسة أرغفة خبزٍ، فأعطاها ليسوع. فصلى عليها يسوع وباركها وقال للتلاميذ أن يعطوا للجمع. وكان هناك من الطعام ما يكفي لإطعام كل تلك الجموع وأكثر. (يوحنا ٦: ١-١٤)

خاتمة

هاتان الحادثتان المتماثلتان توفران لنا منظورًا آخر لرؤية الاختلافات بين يسوع ومحمد. أما في هذا الفصل فسأقدم لك عزيزي القارئ بعض هذه التباينات المتناظرة في تعاليمهما لتتمكن بنفسك من مقارنة كلمات كل من يسوع ومحمد مباشرة عن موضوعات مختلفة مثل: الحكم على الآخرين والثأر والعفو وغيرها من الموضوعات الأخرى.



مقارنة بين التعاليم العملية

والآن بعد أن مررت عزيزي القارئ بمرحلة المقارنة بين يسوع ومحمد، سورة بسورة ومقولة بمقولة لتوضيح المقارنة لك، إليك الآن ثمانية من التعاليم العملية.

ما حُرِّمَ من الطعام والشراب

محمد

من بين الأشياء التي حُرّمت على المسلم، تعاطي المسكرات ولحم الخنزير حيث اعتبرها القرآن من المنكرات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

(سورة ٥: ٩٠)

قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ

(سورة ٦: ١٤٥)

وقد عاقب محمد بنفسه بعض شاربي المسكر:

روى أنس أن رسول الله كان عادة ما يضرب متعاطي المسكر أربعين مرة بالحذاء وبسعف النخيل.

يسوع

لم يربط يسوع مفهوم الطهارة والبر بمأكل الشخص ومشربه فقال:

«أَفَأَنْتُمْ أيضًا هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إلى قَلْبِهِ بَلْ إلى الْجَوْفِ ثُمَّ يَخْرُجُ إلى الْخَلاَءِ وَذَلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً فِسْقٌ قَتْلٌ سرقَةٌ طَمَعٌ خُبْثٌ مَكْرٌ عَهَارَةٌ عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ تَجْدِيفٌ كِبْرِيَاءُ جَهْلٌ. جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ».

(مرقس ٧: ١٨–٢٣)

الصوم

محمد

فرض محمد على المسلمين أن يصوموا خلال شهر رمضان بين صلاة الفجر (الصلاة الأولى) أي حوالى الساعة الرابعة صباحًا وصلاة المغرب (الصلاة الرابعة) أي حوالى الساعة الخامسة مساءً.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(سورة ٢: ١٨٥)

يسوع

أما يسوع، فهو لم يتطلب الصيام من أتباعه:

وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيُّونَ وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ.

(مرقس ٢: ١٨–٢٠)

فيسوع نادرًا ما كان يذكُر الصوم، عدا المرة التي قال فيها إن هناك نوعًا من الأرواح الشريرة لا تطرد إلا بالصوم والصلاة (متى ١٧: ٢١ ومرقس ٩: ٢٩).

إدانة الآخرين

محمد

فرض محمد على المسلمين أن يتدخلوا إذا ما شاهدوا أحدًا يخرق القانون الإسلامي وأن يقوّموه.

سمعت رسول الله يقول مرةً: ومن رأى منكم اعوجاجًا فليقومه بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان.

يسوع

دعا يسوع أتباعه إلى فحص ذاتهم ومحاسبة أنفسهم بدلًا من مراقبة تصرفات الآخرين.

«لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!

(متى ٧: ١–٥)

في الثأر

محمد

ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب.

يسوع

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ

لَهُ الآخَرَ أيضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أيضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ».
(متى ٥: ٣٨-٤٢)

في لعن الأعداء

محمد

كان محمد في بعض الأحيان يلعن الناس أثناء صلاته، فقد روى أحد المسلمين الحادثة التالية:

روي أنه سمع مرة النبي بعد أن رفع رأسه من الانحناء في صلاة الفجر يقول: «سبحان ربي الأعلى». وفي الركعة الأخيرة قال: «يا الله العن فلانًا وفلانًا وفلانًا».

يسوع

سأترك لك عزيزي القارئ مسألة المقارنة بين موقف محمد وموقف يسوع الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة على الصليب:

وَصَلَبُوا مَعَهُ لِصَّيْنِ وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ». وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «آهِ يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ! خَلِّصْ نَفْسَكَ وَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!» وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَهُمْ مُسْتَهْزِئُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَعَ الْكَتَبَةِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ

أَنْ يُخَلِّصَهَا. لِيَنْزِلِ الآنَ الْمَسِيحُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الصَّلِيبِ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ». وَاللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ كَانَا يُعَيِّرَانِهِ.

(مرقس ١٥: ٢٧–٣٢)

فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا.

(لوقا ٢٣: ٣٤)

في الصفح عن المسيئين إليك

محمد

وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ

(سورة ٤٢: ٤٠–٤٣)

يسوع

«مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أيضًا وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أيضًا. وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ. وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أيضًا بِهِمْ هَكَذَا. وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أيضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ

يُحِبُّونَهُمْ. وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إلى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أيضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا. وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أيضًا يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ. بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ.»

(لوقا ٦: ٢٩–٣٥)

عن السيف

محمد

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ

(سورة ٨: ٦٥)

يسوع

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «يَا صَاحِبُ لِمَاذَا جِئْتَ؟» حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَأَلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!

(متى ٢٦: ٥٠–٥٢)

عن الأسرى

محمد

«مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ»
(سورة ٨: ٦٧)

يسوع

«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ».
(لوقا ٤: ١٨–١٩)



الفصل الرابع
الخاتمة



موجز للنقاط الأساسية

كما وعدتك عزيزي القارئ في البداية، فنحن اطلعنا سويًا على حياة كل من يسوع ومحمد وعلى الكثير من المعلومات المتعلقة بحياتهما. لذا فقد ارتأيتُ في هذا الفصل أن نراجع ملخصًا سريعًا للنقاط الأساسية لأهميتها.

قصة حياتهما

الفصل الرابع: مصير الطفولة (من الولادة إلى البلوغ)

محمد

ولد محمد في ٥٧٠ ميلادية، حوالى ستمائة عام بعد يسوع. عندما كان طفلًا أمضى بعض الوقت في الكعبة التي كانت مركز عبادة الأصنام في مدينة مكة مسقط رأس محمد. ويذكر التاريخ الإسلامي أن راهبًا نسطوريًا تنبأ عنه عندما كان في الثانية عشرة من عمره. بدأ محمد مبكرًا يرتاب في عبادة أهله الأصنام ويشكك بها.

يسوع

ولد يسوع بين عامي ٦ و٥ قبل الميلاد من عائلة يهودية. اعتنق يسوع مذهب آبائه ونشأ عليه وكان معتادًا على زيارة الهيكل في أورشليم للاحتفال بالأعياد الدينية اليهودية. وكان قد تُنبِّئَ له في طفولته من قبل كاهن في الهيكل ونبية كانت تتردد على الهيكل.

الفصل الخامس: بداية الوحي

محمد (في الأربعين)

ساهم محمد في قيادة إحدى قوافل مكة وهو مازال شابًا يافعًا، وتزوج في الخامسة والعشرين من خديجة صاحبة أكبر القوافل. كان محمد معتادًا على زيارة الكعبة غير أنه كان يقضي عدة أيام من كل سنة في التأمل في أحد كهوف الجبال المحيطة بمكة. وعند بلوغه الأربعين، أعلن محمد أن كائنًا خارقًا قد زاره أثناء فترة تأمله فأقنعته زوجته وابن عمها بأن الوحي قد جاءه من الإله الحقيقي بواسطة الملاك جبريل.

يسوع (بين ٣٠و٣٣ عامًا)

عاش يسوع فترة صباه في الناصرة ويرجح أنه أتقن مهنة النجارة التي تعلمها من يوسف. وليس لدينا أي دليل على أنه كان متزوجًا. وغالبًا ما كان يزور الهيكل ويقرأ التوراة للناس هناك. ففي بداية العقد الثالث من عمره قدم نفسه لابن خالته يوحنا، الذي كان يدعو الناس إلى التوبة وترك خطاياهم ليتعمدوا منه في نهر الأردن. وبعد أن تعمد يسوع أعلن يوحنا قائلاً: «وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللهِ». (يوحنا ١: ٣٤).

مر كل من يسوع ومحمد باختبار في الأيام الأولى لنشر رسالتهما. فالإنجيل يخبرنا عن قهر يسوع لإغواء الشيطان له بالخطيئة. ومن ناحية

أخرى فالحديث يعلمنا عن الفترة التي انقطع فيها الملاك جبريل عن الظهور لمحمد حيث أراد محمد الانتحار نتيجة لذلك. وأخيرًا عاد الملاك جبريل ليؤكد لمحمد بأنه نبي حقيقي.

الفصل السادس: الناس تتجاوب

محمد – الثلاث عشرة سنة الأولى في مكة (العمر بين ٤٠ و٥٣ عامًا)

في الأعوام الثلاثة الأولى لنزول الوحي، نشر محمد رسالته بصورة سرية فصدقه زوجته وابن عمه الذي كان آنذاك في العاشرة من عمره والقليل من الناس. أما رؤساء عشيرته في مكة فقد رفضوا أفكاره الجديدة عن الله. وكان المتحولون إلى الدين الجديد يعانون الكثير من التحرشات إلى حد التعذيب. أخيرًا قرر رؤساء مكة أن يقاطعوا محمدًا وأتباعه. استمرت هذه المقاطعة لمدة سنة حيث قرر رؤساء قريش إنهاء المقاطعة. وعلى الرغم من أن قرار إلغاء المقاطعة جاء طواعيةً من قريش غير أن محمدًا أدرك أنه في حاجة إلى حماية. فوقّع معاهدة مع أقوى قبائل المدينة ليوفروا له هذه الحماية. وعندما بلغ الخمسين من عمره، انتقل محمد وأتباعه إلى المدينة وقد أختار اثني عشر من رؤساء تلك العشائر ليصبحوا مساعدين له.

يسوع – السنة الأولى والثانية من خدمته إلى الوقت الذي أرسل الحواريين (التلاميذ) للتبشير من دونه. (العمر ٣٤ سنة)

أمَّا يسوع فقد توجه للحال بعد معموديته إلى الهيكل ووبخ الممارسات المادية التي وجدها هناك مسترعيًا بذلك انتباه كل اليهود، حيث بقى في أورشليم يعلّم ويقوم بالعجائب (يوحنا ٢: ٢٣). فبدأ

الناس بالإيمان به واتّباعه. وقد قام باختيار اثني عشر رجلًا ليكونوا تلاميذه وأتباعه المقربين.

الفصل السابع: نشر الرسالة

محمد – أول سبع سنوات في المدينة (العمر بين٥٣ و٦٠)

تغيرت حياة محمد العامة والخاصة بصورة غير عادية بعد أن انتقل إلى المدينة. وبمساعدة معاهدته مع أقوى قبيلتين استطاع تكوين جيش صغير وبدأ بشن الغزوات فحقق نصرًا كبيرًا ضد جيش مكة في موقعة بدر. وبعد هذا النصر أعلن محمد أن وحيًا نزل عليه من الملاك جبريل يفرض على كل المسلمين أن يقاتلوا غير المؤمنين (سورة ٨: ٣٩). أما بالنسبة إلى الاثني عشر مساعدًا فمعظمهم أصبحوا قوادًا عسكريين. وكان محمد يسمح لكل جندي أن يحتفظ لنفسه بنسبة من الأسلاب التي ينهبها من القبائل التي كان يغزوها المسلمون.

في المدينة، كان محمد يعيش بالقرب من أكبر تجمع يهودي في الجزيرة. كان اليهود قد رفضوا رسالة محمد منذ البداية. وبعد أن تفاقمت قوته العسكرية وأدركوا خطورته، تعاونوا مع أهل مكة لتنظيم هجوم عسكري ضد محمد. وشاءت الأقدار ألا يُكتَب النجاح لهذا الهجوم. نتيجة لذلك هاجم محمد كل القبائل اليهودية في الجزيرة فقتلهم وسلب ممتلكاتهم. وفي إحدى هذه الغزوات وكانت ضد قبيلة بنو قريظة، قام محمد وأتباعه بقتل كل رجالهم (ما بين ستمائة وتسعمائة رجل) وسبي نسائهم وأولادهم كأسرى حرب.

وأخيرًا فإن حياة محمد الخاصة في المدينة كانت تختلف كليًا عن حياته التي عاشها في مكة؛ فقد تزوج اثنتي عشرة امرأة أصبحن مصدر نزاع وإجهاد في حياته.

يسوع – السنتان الأخيرتان من خدمته إلى رحلته الأخيرة إلى أورشليم (العمر بين ٣١ و٣٣)

بينما كان يسوع يقترب من السنة الثالثة والأخيرة من خدمته، استمر في التبشير برسالته كما سبق وفعل. غير أنه قام بالتعجيل بتبشيره حيث أرسل حوارييه (تلاميذه)، كل اثنين سوية للتبشير، موصيًا إياهم بشفاء المرضى وإقامة الموتى وطرد الأرواح الشريرة. وحذرهم من حمل أو قبول أي مال.

كان يسوع نفسه يهوديًا، غير أن معظم رؤساء اليهود رفضوه، وخططوا لقتله. لكن رد يسوع عليهم كان كلاميًا وبلهجة شديدة، غير أنه لم يقاتلهم أو يحاربهم بأي شكل من الأشكال.

أما بالنسبة إلى حياة يسوع الخاصة، فقد ذكر الإنجيل صداقات حميمة متعددة غير أنه لم يذكر قط أنه كان متزوجًا.

الفصل الثامن: الأيام الأخيرة

محمد – السنوات الثلاث الأخيرة من حياته (العمر بين ٦٠– ٦٣)

في العام الثامن لوجوده في المدينة، غزا محمد مدينة مكة بتخطيط واستراتيجية عسكرية متفوقة. وركب فرسه حول المدينة وبسط سيطرته على الكعبة باسم الله فنزل الملاك جبريل عليه بآياتٍ تدعو المسلمين لقتال من لا يبايع النفوذ الإسلامي. فأرسل معظم رؤساء العشائر وزعماؤها رسائل إلى محمد بالمبايعة.

في عامه الحادي عشر في المدينة، أصيب محمد بالمرض وصاحبته حمى شديدة. ولم يمهله المرض سوى عشرين يومًا فارق الحياة بعدها بين يدي أصغر زوجاته، عائشة.

يسوع – الأشهر الأخيرة من حياته (العمر حوالى ٣٣)

في الأيام الأخيرة من حياته، ذهب يسوع إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح عند اليهود فدخل المدينة راكبًا حمارًا بين هتاف الجموع وتشجيعهم. وبعد تناوله وجبة الفصح، ذهب برفقة الحواريين إلى الجبل للصلاة، حيث جاء رؤساء الكهنة اليهود وألقوا الأيدي عليه وساقوه إلى المحاكمة. هناك حكم عليه بالموت صلبًا ونُفذ الحكم ودفن في اليوم نفسه. وبعد ثلاثة أيام ظهر لتلاميذه حيًا مرة أخرى حيث يذكر الإنجيل وصيته لهم بالتبشير بالتوبة ومغفرة الخطايا باسمه إلى كل شعوب الأرض.

تعاليمهما

الفصل العاشر: رسائلهما إلى العالم

محمد

وصف محمد نفسه بأنه نبي قد جاء ليقدم صورة الله الحقيقية إلى العالم. وقد أعلن أنه ليس لديه الإمكانية على غفران الذنوب وقال إن الإسلام هو الدين الحقيقي الذي مارسه إبراهيم غير أنه قد حُرِّفَ من قبل اليهود والمسيحيين. أما من يريد أن يُرضي الله ويدخل الجنة فعليه أن يتبع تعاليم الإسلام وخاصة أركان الإسلام الخمسة؛ فان ارتكب أحدٌ إثمًا فبإمكانه أن يعمل أعمالًا حسنة لنيل الغفران. ولكن إذا كان الأثم عظيمًا فإن الله وحده هو الذي يقرر ما إذا كان سيغفر له أم لا. أمَّا بخصوص ما بعد الموت الجسدي، فإن الموتى يرقدون في قبورهم إلى يوم الحساب. عندها سيقف كل شخص أمام الله الذي سيزن أفعاله ويقرر ما إذا سيكون نصيبه الجنة أم النار.

يسوع

أعلن يسوع أنه ابن الله ولديه القدرة على مغفرة الخطايا وهو مكمِّل كتب اليهود والأنبياء. قال يسوع إنه وعِندَ «انقضاء الدهر» سَيُدين الأحياء والأموات ويأخذ الأبرار إلى فردوس السماء والأشرار إلى نار جهنم. فلدخول الفردوس على الشخص أن يؤمن بيسوع المسيح ويطيع وصاياه.

الفصل الحادي عشر: تعاليمهما عن بعضهما البعض

محمد

ذكر محمد يسوع أكثر من مرة في تعاليمه ببالغ الاحترام له. على الرغم من ذلك فإن محمدًا كان يصر على أن يسوع لم يكن سوى نبي من أنبياء الله وليس ابنه. أمَّا فكرة ولادته من عذراء فقد قبلها غير أنه لم يقبل صَلبه وقيامته، مع شجبه للمسيحيين عبادتهم ليسوع كرب وإله.

يسوع

لم يذكر يسوع أي شيء عن محمد مباشرة، لأنه عاش قبل محمد بستمائة سنة. غير أننا نستطيع أن نخرج ببعض الاستنتاجات عما قد يكون قد قاله يسوع عن محمد بناءً على تعاليمه الأخرى. فأنا أستطيع أن أقترح أن يسوع كان سيتحدى نبوّة محمد في ثلاثة مجالات:

١- معاملة محمد للآخرين.

٢- وَصْف محمد متطلبات إرضاء الله.

٣- وَصْف محمد طبيعة الله.

الفصل الثاني عشر: شفاء العلل والمعجزات

كان شفاء العلل والمعجزات يمثل جزءًا مركزيًا من سيرة يسوع غير أن النقطة ذاتها في حياة محمد مازالت تمثل نقطة تنازع بين المسلمين حتى الآن. وعلى الرغم من أن الحديث ذكر بعض المعجزات غير أن القرآن أنكر أن يكون محمد قد أعطى أي علامة. واستنادًا إلى ذلك فقد رفض بعض المسلمين قصص المعجزات هذه. على أي حال فإن شفاء العلل والمعجزات لم تلعب دورًا ملحوظًا في حياة محمد، لذا فعندما تقارن القصص في ما يتعلق بكل منهما عزيزي القارئ، ستجد الآتي:

١- في ما يتعلق بشفاء العلل، هناك القليل من القصص في حياة محمد أما في حياة يسوع، فإنك سترى أن جزءًا كبيرًا من خدمته يتمحور حول شفاء الناس من عللهم.

٢- وفي ما يتعلق بطرد الأرواح الشريرة فأنا لم أتمكن أن أجد أي ذكر لقيام محمد بطرد الأرواح الشريرة إطلاقًا. غير أن الإنجيل يذكر مرارًا كيف كان يسوع يطرد الأرواح الشريرة من الناس بقدر ما كان يشفيهم من أمراضهم.

٣- أما بخصوص المعجزات الميتافيزيقية (الخارقة للطبيعة)، فإن معظم ما قيل عن محمد كان ما يمكننا أن نطلق عليه معجزات الطبيعة، ولم يتوافر أي ذِكر لتأثير فعال لهذه المعجزات على أتباعه. بينما نجد أن الإنجيل يخبرنا عن عمل يسوع العجائب لدعم ما قاله عن نفسه بالقول والعمل.

الفصل الثالث عشر: معنى الحرب المقدسة

كما كانت المعجزات وشفاء العلل تشغل حيزًا رئيسيًا في حياة يسوع، فقد لعب الجهاد دورًا مهيمنًا في حياة محمد وفي نشر الإسلام.

مارس محمد ولمدة ثلاثة عشر عامًا مبدأ التسامح والتحمل في وجه الاضطهاد والظلم عندما كان في مكة. ولكن بعد نجاحه في تشكيل جيشه في المدينة نادى بالجهاد ضد الذين اضطهدوه وغير المسلمين. وقد وعد محمد المسلمين أن الله سيكافئهم إذا ما خرجوا للقتال. ولم يتوقف عن الدعوة إلى الجهاد حتى ساعة موته. غير أنه وعلى الرغم من قدوة محمد، فإن المسلمين المعتدلين يعتقدون أن الجهاد يجب أن يُفهم اليوم على أنه كفاح روحي داخلي.

يشير بعض المسلمين إلى عدة مراجع من العهد الجديد (خاصة متى ١٠: ٣٤)، حيث يدَّعون بأن يسوع قد نادى بالحرب المقدسة، مع أن دلالة هذه العبارات، استنادًا إلى قرينة الكلام، لا تدعم هذا الاستنتاج؛ بل عوضًا من ذلك فإن يسوع رفض، وبالكثير من الاعتداد، أن يدافع عن نفسه وكان يبتعد إلى مكان آخر حين يُهَدَد؛ وقد شدد يسوع على حوارييه بتطبيق الرحمة والسلام والمغفرة حتى وإن كانوا المعتدى عليهم. (متى ٥)

الفصل الخامس عشر: التبشير بالمحبة

من الضروري أن نفهم المحبة ضمن سياق العلاقة لذا فإن هذا الفصل سيتطرق إلى وصف العلاقة بين الله ورسوله (سواء كان يسوع أو محمد) وبين المؤمنين وغير المؤمنين؛ فالعلاقة بين الله ورسوله تُنظم كل ما يفعل الرسول أو يُعلمه

فيسوع صَوَّرَ علاقة محبة بينه وبين الله الآب. ونتيجة لذلك فإن يسوع أحب حوارييه وشجعهم على محبة الآخرين حتى غير المسيحيين.

أما محمد فقد تكلم عن علاقةٍ مع الله أشبه ما تكون بعلاقة العبد بسيده. فهو لم يتكلم عن حُب الله ولا عن حُب المسلمين. فقد كان يضبط أتباعه بالجزاء أو القصاص. وقد قال لأتباعه بأن يعاملوا الآخرين

بالطريقة نفسها – أي مكافأة المسلمين بالعطف ومعاقبة غير المسلمين عن طريق الجهاد.

الفصل السادس عشر: تعاليمهما عن الصلاة

الصلاة في الإسلام حدث منصوص مكون من كلمات وحركات بدنية. وهي مفروضة لخمس مرات في اليوم، وتُركز على تسبيح الله والخضوع له. وعلى الرغم من أن المسلمين لم يُمنعوا من ذكر صلوات أخرى إضافية عدا المنصوص عليها غير أنه ليس من المستحسن أن يفعلوا ذلك. فالتواصل الشخصي مع الله ضمن الصلاة غير محبذ (باستثناء طائفة صغيرة تدعى الصوفيين)؛ فالصلاة تعتبر طريقة لكسب استحسان الله.

رفض يسوع ترديد الصلاة صمًا، فعَلَّم تلاميذه أن يصلوا بأن يسألوا الله أن يغفر خطاياهم وأن يهبهم كفاف حاجتهم. واستخدم يسوع الصلاة كوسيلة للتواصل مع الله كما يفعل الطفل مع أبيه. وبعكس محمد فقد أوصى يسوع أتباعه أن يصلوا من أجل أعدائهم أيضًا.

الفصل السابع عشر: الموقف من المرأة

اختلف موقف يسوع كل الاختلاف من المرأة عن موقف محمد. وقد نظرنا إلى ثلاثة مجالات متباينة في هذا الخصوص.

– **شخص المرأة:** على الرغم من اتخاذ محمد موقفًا سلبيًا ضد المرأة كشريحة في المجتمع، غير أنه دون ريب، أكد على إشباع حاجات المرأة المسلمة المادية في المجتمع. أمَّا يسوع فإنه لم يتعرض إلى شخص المرأة كونها مختلفة عن الرجل، بل قَيَّمَ إيمان النساء وشفى العليلات منهن ورحب بمساعداتهن عندما عرضن عليه.

– **تعاليمهما عن الزواج:** في الزواج، أمر محمد بأن على الزوج

الإعالة وعلى الزوجة الإذعان. والعصمة في يد الزوج وله أن يطلِّق زوجته لمجموعة من الأسباب، الكبيرة منها والصغيرة. في الوقت نفسه ليس للمرأة العصمة وليس لها أن توقِف الطلاق، بينما وعلى النقيض من ذلك، لم يُحبذ يسوع الطلاق إلا في حالة واحدة فقط ألا وهي حالة الزنى. فقد شبَّه يسوع الزواج باتحاد روحي وجسدي يؤسسه الله.

– **الزواج في حياتهما الشخصية:** تزوج محمد ما مجموعهُ ثلاث عشرة زوجة في وقتٍ واحد، وترك عند وفاته تسع أرامل. أمَّا يسوع فلم يتزوج قط.

الخلاصة

كلي أمل عزيزي القارئ أن تكون إعادة النظر هذه كاستعراض وتذكير للنظرة العامة عن العلاقة بين يسوع ومحمد. وعلى الرغم من محاولة الكثيرين من الباحثين استنباط تشابه وتقارب بينهما، غير أني استطيع أن أخلص إلى القول بأن الاختلافات الأساسية تفوق بكثير التشابهات السطحية التي قد تتواجد هنا وهناك. والأهم من ذلك، فقد أدركت أني وصلت إلى نقطة حيث وجب عليَّ أن أتخذ لنفسي قرارًا شخصيًا ألا وهو: أي طريقٍ علي أن أتبع؟ وما هي خياراتي؟ وهذا ما سأتكلم عنه بإسهاب في الفصل التالي.



٢٠

الفصل في قراري الشخصيّ

أصبح ذهني كشعاع من أشعة ليزر قد تمَحور وتَرَكَّز حول إنجيلٍ ذي غلافٍ أسود جلديٍ وضعْتُه أمامي طوال الليل. لم أشعرٍ بالوقت ينسل من حولي حتى سمعتً صوتًا خلال مكبر الصوت، يدعو إلى صلاة الفجر. فنظرت بدهشة إلى ساعة المنبه بجانب الفراش وإذا بعقاربها تشير إلى الرابعة صباحًا. وسمعت أهلي وهم يتنقلون في أطراف البيت يتأهبون للذهاب إلى الجامع. غير أن هذا الصباح لم يكن كأي صباح آخر؛ فأنا لم أشعر حتى بالرغبة في التظاهر بأني أُصلي، فاليوم يغمرني إحساس بالسلام ويدب الدفء في أوصالي. يغمرني شعور من الهدوء والسكينة لم أعهده من قبل، وكل ما أردت أن أنعم به اليوم هو الراحة والراحة فقط.

أورثتني تجربتي في السجن القلق الدائم، فقد عانيت الأمَرين من الأرق في كل ليلة، وغالبًا ما كنتُ أقضي ساعات الليل الطويلة أتلوى متقلبًا في فراشي حتى يبلغ الإرهاق مني مبلغه فأخُرّ نائمًا من التململ والضنى. غير أن هذا الصباح لم يكن كغيره، فما أن لمست رأسي الوسادة حتى أبحرتُ في غياهب النوم غير مدرك بأن صداعي قد فارقني.

استيقظت في السابعة صباحًا وأنا أشعر بانتعاشٍ كلي ونشاطٍ متجدد. وكنت مستعدًا لاتخاذ قراري، فقد وجدتُ أخيرًا إله السماوات الكلي

القدرة والذي طال بحثي عنه. فصلَّيتُ دون أن يراودني أي شك في أن صلاتي هي إلى رب الإنجيل أناشده وأنذر حياتي له.

عدت بعدها إلى الكتاب المقدس وكنت قد أنهيت لتوي قراءة الأناجيل (الكتب الأربعة الأولى) وأعمال الرسل والرسالة إلى أهل رومية، ولم أكن أعرف أين سأبدأ لإكمال القراءة! لذا فقد فتحت نسخة الكتاب المقدس التي أعارتني إياها الصيدلانية، وبدون سابق تعيين أو ترتيب، على مزمور **٩١** فقرأت المزمور بأكمله وأعدت قراءته مرارًا. وكنت كلما انتهيت من قراءته أحسست به كرسالة شخصية موجهة لي وخاصة في ظروفي الحالية.

> اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ. أَقُولُ لِلرَّبِّ: [مَلْجَإِي وَحِصْنِي. إِلَهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ]. لأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِ وَمِنَ الْوَبَإِ الْخَطِرِ. بِخَوَافِيهِ يُظَلِّلُكَ وَتَحْتَ أَجْنِحَتِهِ تَحْتَمِي. تُرْسٌ وَمِجَنٌّ حَقُّهُ. لاَ تَخْشَى مِنْ خَوْفِ اللَّيْلِ وَلاَ مِنْ سَهْمٍ يَطِيرُ فِي النَّهَارِ وَلاَ مِنْ وَبَأٍ يَسْلُكُ فِي الدُّجَى وَلاَ مِنْ هَلاَكٍ يُفْسِدُ فِي الظَّهِيرَةِ. يَسْقُطُ عَنْ جَانِبِكَ أَلْفٌ وَرِبَوَاتٌ عَنْ يَمِينِكَ. إِلَيْكَ لاَ يَقْرُبُ. إِنَّمَا بِعَيْنَيْكَ تَنْظُرُ وَتَرَى مُجَازَاةَ الأَشْرَارِ. لأَنَّكَ قُلْتَ: [أَنْتَ يَا رَبُّ مَلْجَإِي]. جَعَلْتَ الْعَلِيَّ مَسْكَنَكَ لاَ يُلاَقِيكَ شَرٌّ وَلاَ تَدْنُو ضَرْبَةٌ مِنْ خَيْمَتِكَ. لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. عَلَى الأَسَدِ وَالصِّلِّ تَطَأُ. الشِّبْلَ وَالثُّعْبَانَ تَدُوسُ. لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ.

أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. مِنْ طُولِ الأيام أُشْبِعُهُ وَأُرِيهِ خَلاَصِي.
(مزمور ٩١)

أدركت من هذه الكلمات بأن الله قد عَلِم بالمخاطر التي ستنجم عن اتخاذي قراري هذا. وبالفعل فعندما عرفت عائلتي وأخواني وأبي وأهلي تحولي عن الإسلام كانوا السباقين لمحاولة قتلي. غير أن هذا المزمور كان بمثابة رسالة شخصية لي، وكأن الله يقول لي، «أنا سوف أحميك». عندها قلت في نفسي: «حسنًا، هذا المزمور هو وعد الله وهذا هو السلاح الذي سأحمله لأخوض به معركتي». وبالفعل قبيل مغادرة غرفتي كنت قد أتممت حفظ المزمور ٩١ بأكمله.

إعلام الصيدلانية

عدت إلى الصيدلانية والساعة لم تتعدَ الحادية عشرة صباحًا مُمسكًا بالأقراص بيد والإنجيل باليد الأخرى، لأعيدها إليها. فسألتني منذهلة:

– «هل قرأت الإنجيل؟». فقلت:

– «نعم قرأته وقررت أن أصبح مسيحيًا.»

فوثبت من فرحتها وهي تمجد الله بصوتٍ عالٍ، هارعة إلي من وراء مكتبها لتعانقني وتقول:

– «تفضل، تفضل، إجلس» مشيرة إلي بالدخول خلال الباب الدوار إلى الخلف. وبابتسامة ما زالت مشرقة على محياها جلبت لي كرسيًا لأجلس، وحال جلوسي قالت:

– إنتظر لحظة! وبدأت بتدوير قرص الهاتف لتكلم شخصًا ما على الطرف الآخر من الخط. عندها انتابني هاجسٌ أربكني وأقلقني: فماذا لو أنها كانت تتصل بالشرطة السرية لتسلمني لهم! وماذا لو كان الأمر كله لايتعدى كونه مجرد خدعة! وماذا!... وماذا!.. غير أني سرعان ما

تنفست الصعداء حالما بدأت بالكلام مع الشخص الآخر على الخط الذي كان زوجها. وسمعتها تقول له:

– «تعال هنا الآن وفي هذه اللحظة».

استغرق وصول زوجها حوالى نصف الساعة. وكان زوجها طبيبًا بيطريًا يعمل كموظف حكومي لدى الدولة. فبادرني بالقول حال وصوله:

– «نود أن تخبرنا عن أحداث الليلة الماضية».

وفيما أنا أتكلم كانت الصيدلانية تمطرني بوابلٍ من الأسئلة بينما كان زوجها يراقبني بصمتٍ واهتمام. وأخيرًا قلت:

– «أود أن أقرأ لكما شيئًا حفظته بالأمس!» فقرأت المزمور **٩١**، وما أن انتهيت من قراءتي حتى اغرورقت عينا الزوج بالعبرات، فبادرتنا زوجته بالقول:

– «قد قاربت الساعة من الثانية عشرة، وأنا سأغلق الصيدلية وسنأخذك معنا إلى الغداء، وبعد ذلك سنذهب إلى كنيستنا».

وكانت أسئلتهما وقت الغداء لا تتوقف عن تجربتي مع الإنجيل ليلة أمس. وعلى ذِكر الإنجيل، سألتها ما إذا كانت تريد استرجاع نسخة الإنجيل الذي أعارتني إياه؟ فقالت:

– «كلا، فأنا أريدك أن تحتفظ به».

بعد أن انتهينا من تناول الغداء بدآ بإعطائي الكثير من التحذيرات حول كيفية التصرف من الآن فصاعدًا، فقالت:

– «لا تقم بإخبار الكثير من الناس بما جرى لك ولا تتردد على الكنيسة علنًا خوفًا من أن يراك بعضهم. ولكنك تستطيع أن تحضر معنا إلى دراسة الإنجيل في البيت كلما رغبت في ذلك».

قالا ذلك لأنهما كانا متحمسين لفكرة تقديمي إلى القسيس وراعي

أبرشيتهما. زرنا القسيس في مكتبه في الكنيسة وتحدثنا لوهلة قبل أن يتوصل إلى قرار أثار فينا الدهشة والاستغراب، فقد قال:

– يا أستاذ إذهب وعد إلى بيتك وعائلتك فلسنا في حاجة إلى من يضيف إلى شعب الكنيسة رقمًا. كما لو أنك عدت إلى بيتك فإن شعب الكنيسة لن يَقِل عدده فنحن لا نرغب في هذا وليس لنا مصلحة في ذلك.

على الرغم من شعورنا جميعنا بخيبة الأمل التي أصابتنا من هذا الموقف غير المتوقع، فأنا أستطيع أن أتفهم موقفه نوعًا ما. فقد كان يخاف من رد فعل المسلمين إذا ما علموا بأن مسلمًا مرتدًا قد التجأ إلى كنيسته فإنهم وبالتأكيد سيهاجمونها ويحرقونها. فكان جوابي له:

– «أنا لايهمني ما فعلته معي الآن، لأن الذي قد خلصني سيساعدني ويرعاني. على الرغم من رفضك لي، فهو سيكون وفيًا معي أينما ذهبتُ ولكنك أنت بحاجة إلى مساعدته.»

كانت خيبة الأمل والإحراج قد أصابا الصيدلانية وزوجها، فقد واصلا الاعتذار لما حدث. فأنا أيضًا كنت مستاءً من ذلك، وكان واضحًا لي أن موقف القسيس لم يتطابق مع ما قد قرأته للتو في الإنجيل، وقد بدأتُ أدرك المبادئ الأساسية للفصل بين القادة والأتباع، وهو مبدأ أحتاج أن أطبقه في كلٍّ من الإسلام والمسيحية.

مسيحيّ في السر

عشت كمسيحيّ في مصر لمدة عام، ولم أخبر عائلتي خلالها بالذي حدث. ولكني كنت أذهب بين الحين والآخر إلى محل الصيدلانية كلما شعرت بالحاجة إلى الكلام. وعلى الرغم من أني كنت أطلب منها أجوبة على الكثير من الأسئلة عن المسيحية وعن الإنجيل غير أني لم أطلب منها قط دواءً للصداع؛ فمنذ ذلك اليوم صداعي كان قد شُفي نهائيًا.

واجهت الكثير من الصعوبات في إيجاد كنيسة تسمح لي أن أحضر خدمتها. فقد ذهبت سرًا إلى ثلاثة من القساوسة وكلهم أجابوني بالاعتذار عن عدم تمكن كنائسهم من قبولي فيها. وأخيرًا فكرتُ في الذهاب إلى ديرٍ بعيد في الصحراء خارج القاهرة. فاستقليت سيارة إلى هناك. كان الدير من البعد بمكان بحيث إني اعتقدت أنهم لن يخافوا تدخل الشرطة السرية في شأنهم بسببي. التقيت عند وصولي براهب خارج سور الدير وقد أعلمني بما توقعت أن يكون رده، غير أن هذا الراهب أرشدني إلى قسيس آخر يستطيع أن يساعدني.

في صباح اليوم التالي ذهبتُ إلى تلك الكنيسة لمقابلة قسيسها. لم يكن لقائي معه سهلًا. فقد حاول جاهدًا أن يتحقق من صدقِ إيماني. وبعد تأكده من حسن نواياي وافق على انضمامي إلى شعب الكنيسة، فبدأت بالتردد على هذه الكنيسة وحضور خدمتها ولكن بالكثير من الحذر والتيقظ لمدة سنة كاملة وذلك قبل مغادرتي مصر. والاحتراس كان واجبًا هنا كيلا أجلب الأنظار إلى شخصي والغرض من ترددي على هذا المكان.

وضمن هذا التخطيط، كنتُ أستقل الحافلة العمومية في ذهابي إلى الكنيسة بدلًا من استعمال سيارتي الخاصة لتجنب المراقبة أو المتابعة المحتملة التي قد يكون قد وضعني تحتها – دون علمي– المسلمون المتطرفون. ومن الناحية الأخرى فإني لم أُفصح عن قصتي لأي من المؤمنين من شعب الكنيسة. وكانت العادة أن يكون للكنائس الكبيرة رجل من الشرطة المصرية «لحراستها». وكنت، تجنبًا له، أحاول أن أحتجب ضمن مجموعة من المؤمنين أثناء دخولي وخروجي من باب الكنيسة. وبقيت على هذا المنوال حتى تعَوّد رؤيتي بين المؤمنين ولم يعد يثير وجودي أي تحفظات؛ فقد كان عليَّ أن أتأكد من أنه لن يستوقفني ليكتشف هويتي.

مغادرة مصر

كانت المسألة مجرد وقت قبل أن تعلم عائلتي. ففي أحد الأيام ومن دون سابق إنذار بُحْتُ بالحقيقة لأبي. وما أن سمع أبي بذلك حتى سحب مسدسه الذي كان معتادًا أن يخفيه تحت إبطه، وبدأ بإطلاق النار عليَّ بغية قتلي؛ فأطلق خمسة رصاصات باتجاهي لم تصبني أي منها. ولم تمضِ على هذه الحادثة إلاَّ ساعات قلائل حتى قررت ترك أهلي وبيتي ومصر كلها إلى الأبد. كان هذا القرار بداية رحلة طويلة أخذتني من مصر إلى جنوب أفريقيا ليحط بي الرحال في الولايات المتحدة حيث كتبتُ ما بين يديك اليوم.

مازلتُ أحمل معي الإنجيل الذي وهبته لي الأخت الصيدلانية إلى هذا اليوم، الهبة التي دفعت هذه الأخت وعائلتها ثمنها غاليًا. فعقب مغادرتي مصر، قام المسلمون المتطرفون بمهاجمتها وأحرقوا صيدليتها بغية قتلها. وقد أعلمني بعض أصدقائي من الأقباط المسيحيين بهروبها وزوجها من مصر إلى كندا.

حياتي اليوم

إحدى عشرة سنة مرت وأنا أعيش كمسيحيّ مكرسًا نفسي لتبشير المسلمين وغير المسلمين ولإعطائهم الفرصة لمعرفة يسوع كما عرفته. وبرأيي يجب ألا يفرض اعتقاد ما على أحد. ولكن كل شخص يجب أن تتوافر له الفرصة للحصول على أي معلومات يرغبُ فيها والفرصة لاتخاذ قراره دون خوف أو وجل ممّا قد يقوله الآخرون عنه.

أصلي إلى الله متضرعًا أن تمهِد كلماتي هذه الطريق لك للوصول إلى النور الذي يقودك إلى السلام والفرح ومغفرة الخطايا مِن الذي له كل المجد، ربنا كلي القدرة.

خاتمة

إذا أخبرك شخص ما حكاية ما وأردتَ أن تتأكد من صحتها، فماذا ستفعل يا ترى؟ الجواب هو أنك ستعود إلى المصدر الأصلي للأحداث لتتحقق منه بنفسك، وهذا هو بالضبط مغزى هذا الكتاب وهدفه: إنه لمساعدتك على فهم الإسلام والمسيحية. ويتحقق ذلك عن طريق إيصالك إلى مؤسسيهما. تذكَّر عزيزي القارئ أنك لن تستطيع أن تفهم المسيحية بمحاولة فهم ممارسات المسيحيين، ولا أن تفهم الإسلام بمحاولة فهم ممارسات المسلمين، لذا فعليك أن تذهب إلى المصادر الأصلية، وهذا الكتاب منفرد في خصوصيته.

غير أنه يترك الفرصة للفروقات والتباينات بين يسوع ومحمد تعرض نفسها وتتكلم عن نفسها بنفسها، لذا فإن كل قارئ لهذا الكتاب سيكون له رد فعل مختلف عن القارئ الآخر:

- فبعضهم سيشكُّ في أني أحاول أن أُسيء إلى سمعة المسلمين، وطبعًا هذا ليس هدفي لأني أعرف أن هناك الكثيرين من المسلمين الطيبين وهم كرام ولطفاء ويتوقون إلى العيش بسلام مع الجميع. وعلى الرغم من أني تركتُ المجتمع الإسلامي غير أني مازلت أحب المسلمين.
- وبعضهم الآخر ستزعجهم فكرة تحدي محمد بهذه الطريقة، وهذه فكرة مجتمعات المسلمين المحافظين حيث نشأتُ. ولكن كلي أمل أنهم سيتخطون هذا الموقف وينظرون إلى المعلومات المطروحة بعقلٍ متفتح.

- وقسم سيكونون مترددين متسائلين عما إذا كنتُ قد تجنبتُ ذكر بعض المعلومات أو قد زُغتُ عن الصورة الحقيقية، وأنا أشجع هذه النخبة من القراء وأحثهم على مراجعة المراجع الأصلية بنفسهم وتمحيصها.
- أما القسم الآخر وأغلبهم من المسيحيين سيقررون أن يغيروا رأيهم بخصوص كون مفاهيم المسيحية والإسلام مبنية على شخصية الإله نفسه. وأقول لهؤلاء أن يحيطوا باقي المسيحيين علمًا بما تعلموه. أدعو الله بأن يكون هذا الكتاب حافزًا يحثُ المسيحيين كي يبذلوا كل جهدهم لدراسة الإنجيل مع المسلمين.
- وأصلّي إلى البعض الآخر أن يأتوا إلى يسوع ورسالته وهذه أفضل حصيلة تدرها قراءة هذا الكتاب.

فأنا ليس لي أن أعرف ماذا سيكون رد فعلك بالذات. غير أنك لو تمكنت أن ترى الحق في يسوع، فأنا أشجعك أن تقرأ الإنجيل وأن تتكلم مع المسيحيين الحقيقيين عن طريقة الحياة الرائعة هذه، «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٨: ٣٢)، حيث قال يسوع:

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إلى الآبِ إِلاَّ بِي.»
(يوحنا ١٤: ٦)

يَهبُ يسوع نوعًا من المحبة والراحة لم يسبقه إليه أي نبي في التاريخ على الإطلاق، حيث يقول:

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.
اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ
فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ».
(متى ١١: ٢٨–٣٠)

أصلي إلى الله أن يقودك إليه لترتاح في محبته، آمين.

الملحق الأول

مصادر المعلومات حول يسوع ومحمد

هل سبق أن تحدثتَ مع صديقٍ لك وكان يخبرك عن موضوع ليس لديك أي معلومات سابقة عنه! فأنت تفهم الكلمات التي يستعملها لشرح الفكرة لك غير أنه قد غاب عن باله أن يعلمك بموضوع الحديث نفسه.

هكذا بالضبط يشعر العديد من القراء في الغرب عندما يحاولون قراءة القرآن أو الحديث، فهم يستطيعون قراءة الترجمة الإنجليزية ولكنهم يحتاجون إلى معلومات أكثر لكي يستوعبوا المعنى وراء الكلمات.

فأنا سأعتمد كليًا في هذا الكتاب على استعارات من القرآن والحديث والإنجيل لشرح قصص يسوع ومحمد. هذا الملحق سيعطيك الحقائق التاريخية لتفسير القرآن والكتابات الإسلامية الأخرى. وبالإضافة الى ذلك فإن هذا الملحق سيناقش مسألة أساسية ومبدئية لكل من الإسلام والمسيحية، ألا وهي صحة الإنجيل. يعتقد المسلمون أن اليهود والمسيحيين قد قاموا بتحريف بعض أجزاء الإنجيل وحذفوا بعض الكلمات وأضافوا بعضها الآخر. (سورة ٥: ١٢–١٥). ونحن سننظر الى حقيقة وجود أو عدم وجود أي أدلة أو براهين لدعم هذا الادعاء.

فهذا الملحق هو أحد أهم الفصول في هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ. فهو لن يساعدك على فهم واستيعاب ما ستقرأه في هذا الكتاب فحسب بل إنه سيعينك على تفسير ما يقوله الآخرون عن الإسلام والمسيحية.

مصادر المعلومات عن محمد

١- القرآن.

٢- الحديث.

٣- السِيَر الشخصية لمحمد.

٤- التاريخ الإسلامي.

والآن دعنا عزيزي القارئ ننظر إلى مفتاح الاستيعاب لكل مصدر من المصادر الآنفة الذكر.

القرآن

يعتمد الإيمان الإسلامي برمته على القرآن وهذا الكتاب يعتبر أقصر بقليل من كتاب العهد الجديد. أملى محمد القرآن على أتباعه اعتمادًا على الوحي الذي كان يأتيه عن طريق الملاك جبريل، حيث ادّعى محمد بأن جبريل جاءه بهذا الوحي من الله مباشرة.

لذا فإن لغة القرآن تعتمد على مبدأ أن الله كان يكلم محمدًا. لذلك نلاحظ العديد من السور تبدأ بعبارة: «يا محمد..»، فصيغة القرآن تتجسد بفكرة أن الله يخبر محمدًا عما سيقوله للناس. ويبدأ العديد من السُوَر بعبارة «تَذَكّرْ..»، وهذه هي الصيغة المتبعة عندما كان الله يريد أن يُذَكِّرُ محمدًا بشيء ما.

وعندما ترى ذِكْرًا لضمير المتكلم المفرد في القرآن فإن ذلك يشير إلى الله. وأحيانًا سترى كلمة «نحن». وهذه أيضًا تشير إلى الله؛ فصيغة الجمع تستعمل لتجسيد عظمة الله دون أي ذكرٍ أو إشارة إلى وجود أكثر من إله واحد.

أما بخصوص المعلومات عن محمد، فالقرآن هو المصدر الذي يمكن الثقة به لأن محمدًا كان على علمٍ تامٍ بكل ما كُتب كوحي قرآني وكان هو

الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يعلن أن كلمة ما جاءت من الله ويجب أن يتضمنها القرآن. أُبلِغ محمد بالوحي من قبل جبريل الملاك لمدة ثلاثة وعشرين عامًا، والكثير من هذا الوحي كان استجابة لأحداث تاريخية وقعت كحدوث معركة أو استجابة لاستفسارٍ ما عن تصرف معين في المجتمع الإسلامي آنذاك. والقرآن بهذا قد يعكس رؤية غير واضحة لمفهوم الآية إلا إذا كان القارئ مدركًا لهذه الأحداث ذات الصلة الوثيقة بها. قد تعطيك بعض نسخ القرآن معلوماتٍ عن فحوى بعض المقاطع المعينة، وكذلك فإن المسلمين يعتمدون على تفاسير القرآن لترشدهم في هذا المجال. أحد هذه التفاسير والذي يسهل الحصول عليه هو كتاب «معنى القرآن» لمؤلفه سيد مودودي. لذا فأنا في كتابي هذا سأزودك عزيزي القارئ بخلفية من المعلومات ذات صلة تاريخية بالمقولات التي استعرتها من القرآن.

مسألة اللغة

يؤمن المسلمون الأصوليون بأن القرآن لا يمكن فهمه إلا عن طريق لغته الأصلية أي اللغة العربية الفصحى. فعندما كنت طفلًا كان عمي لا يألو جهدًا في تعليمي اللغة العربية الفصحى. فبدون هذا التدريب الخاص لا يستطيع حتى الناطقون بالعربية أن يفهموا لغة القرآن والتي استخدمت أيضًا في الحديث والكتابات المبكرة. ولغرض استيعاب هذه النصوص يعتمد المسلمون على التفاسير وما قد يكونون قد تعلموه في الجامع أو من وسائل الإعلام الإسلامية. يتوجس المسلمون المتمكنون من اللغة العربية الفصحى من ترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية ويترددون بسبب أن التقاليد الإسلامية تنص على أن اللغة العربية هي لغة السماء. لذا فإن معظم الترجمات الإنجليزية للقرآن كُتبت من قبل أناس لم تكن العربية لغتهم الأصلية. فترجمات أولئك الأشخاص هي ملخص لفكرة النص ولذلك فإن اختيارهم الكلمات الإنجليزية غير واضح في معظم الأحيان لكون معرفتهم باللغة العربية محدودة جدًا.

فعادة بعد أن أقرأ مراجع المصادر العربية، وأجد المعلومات في كتبي العربية أقوم بمقارنتها بالترجمات الإنجليزية، وفي معظم الأحيان فإن الترجمات يُعتمَد عليها. وأحيانًا أستخدم ترجمتي الشخصية لغرض الإيضاح. المزيد من المعلومات حول المصادر العربية والإنجليزية موجود في الملاحظات وقائمة المراجع (البيبليوغرافيا).

الحديث

ليس لدى العديد من المثقفين الغربيين فهم يُعَول عليه لثاني أهم المصادر الأدبية في علم الدين ألا وهو الحديث. فبدلًا من أن أقدم لك عزيزي القارئ تفسيرًا أكاديميًا للحديث، أفضل أن أبدأ بإخبارك عن الكيفية التي جاء بها إلى الوجود.

دعني أبدأ برسم صورة عن حياة محمد؛ لنتصوره في بيته في المدينة مع أحد خدامه (أبو هريرة) عندما أُدخل عليه رجلٌ سكير من متعاطي الخمر خلافًا للأعراف الإسلامية. فيأمر محمد المسلمين بأن يضربوه عقابًا له. الخادم أبو هريرة يشاهد هذا الذي يجري أمامه ويحفظه في ذاكرته إلى أن يتكرر الحادث بصورة مماثلة. عندها يقوم الخادم بإخبار الملأ عن الحادث الذي شهده وماذا كان رد فعل محمد على الموقف المشابه.

بعد وفاة محمد أصبحت المعلومات عن حياته وتعاليمه ثمينة جدًا مما وضع الخادم في موقف محرج إذ إنه في حالة مرضه أو وفاته فإن القصة ستضيع بالتأكيد. لذا فقد كان يطلب من أحد الأشخاص ممن يجيدون القراءة والكتابة أن يدون هذه الرواية لتُحفظ للأجيال القادمة. هذه القصة هي مثال على الحديث. وكلمة الحديث ذاتها تعني «تفاصيل عن شيء قام به محمد أو قاله». وكذلك فإنك تستطيع أن تتكلم عن حديث واحد أو مجموعة من الحديث.

الخادم في القصة السابقة هو مثال على راوي الحديث، وعادة ما يبدأ الحديث بتقديم الراوي، ويسمى الحديث باسم راويهِ الذي ذكره لأول مرة. ويعزى لهذا الخادم ذكر الآلاف من الأحاديث، وكذلك يعزى جزء من الحديث إلى خدمه الآخرين وأصحابه وزوجاته (وخاصة عائشة). فعندما أذكرُ مصدر حديث معين أذكر اسم الراوي؛ والغرض من ذلك أن اسم الراوي أحيانًا يوفر دلائل عن صحة الحديث.

فلنر الآن كيف جُمعت هذه الأحاديث وحُفظت إلى يومنا هذا. فبعد وفاة محمد بحوالى مئتي عام بدأتْ حركة نشطة لتأسيس تقليد إسلامي من قِبلِ مجموعة من الفقهاء لدراسة ما توافر لهم من الحديث. أدرك أولئك الدارسون الحاجة إلى جمع الأحاديث من مصادرها المختلفة وحفظها في مكان واحد، فقاموا بالاتصال بالأشخاص الذين تحدروا من سلالة الرواة الأصليين والذين كانوا على اتصال مباشر بمحمد. وقد روى أولئك الرواة هذه الأحاديث عن محمد في تاريخ شفوي أو كتابي على اللفائف تناقلًا من جيلٍ إلى جيل. وأشهر كتب الحديث هما صحيح البخاري (الذي عاش بين عامي ١٩٤- ٢٥٦ هجرية) وصحيح مسلم (الذي عاش بين عامي ٢٠٢ - ٢٦١ هجرية). لم يتقبل أي منهما الروايات التي كان يتناقلها العامة عن محمد، بل كانا يعودان إلى الأصل أي إلى الراوي نفسه لكي يستقصيا عن صحتها وعن راويها فيقررا أصالة سرده ومصدر معلوماته عن الحديث. ولم يكتفيا بذلك بل كانا يقارنان الأحداث الأخرى لغرض معرفة تماسكها وانسجامها مع المعروف عن حياة محمد، وعندها فقط كان الحديث يقبل ويضاف إلى مجموعة الأحاديث.

وعلى الرغم من أن البخاري تمكن من جمع ٩٠٨٢ حديثًا، غير أن هذا العدد الهائل لم يقتصر على الأحاديث المروية فقط بل تضمن أيضًا الروايات التي أُعيدَ سردها. فلو استثنينا تلك منها فإن مجموع ما جمعه البخاري يصل إلى ٢٦٠٢ حديث منفصل بخصوص حياة محمد. أما ما قام مسلم بجمعه

فقد بلغ ما يقارب الأربعة آلاف حديث بما فيها الأحاديث التي أعيدت روايتها.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هنا هو هل يحتوي الحديث على أي روايات مختلقة ولاصحة لها على الأطلاق؟ والجواب على ذلك هو نعم بالطبع. فحتى الباحثون المسلمون يدركون أن عملية كهذه لا يمكن أن تكون كاملة متكاملة. لذا فقبل مئات السنين قام الباحثون بتقييم صحة المجاميع المختلفة من الأحاديث، ومن هذه كلها اختار الباحثون ستة مجاميع والتي تعتبر الأكثر صحة بين الأحاديث جمعاء وسميت بالكتب الصحيحة والأجدر بالثقة بينها كتابان؛ الأول هو «صحيح البخاري» والثاني «صحيح مسلم»، وقد وضعت هذه الكتب في الأزمنة المعاصرة تحت التدقيق والتمحيص، فهناك علم الحديث المعقد والذي يقيِّم كل رواية على أساس التعويل على صحتها. أشهر الباحثين المسلمين في علم الحديث هو الألباني والذي قسَّم الحديث من الكتب الستة الصحيحة إلى مجموعتين، إحداهما صنفها بالصحيحة والأخرى دعاها بالركيكة.

قد يبدو هذا للشخص الغربي كمناهضة أكاديمية ولكن إذا كنت تعمل في الشرق الأوسط كإمام أو كمحاضر فأنك ستحتاج إلى هذه المعلومات كل يوم. وأنا نفسي كإمام أتذكر رجلًا رآني مرة أتوضأ قبل الصلاة فاعترض على الطريقة التي كنت أغسل بها شعري قائلًا: «لماذا تغتسل هكذا؟» وأضاف: «حديث المُوَطَى ينص على طريقة مختلفة». فقلت له: «نعم أنا أعرف ذلك وأعرف ما يقول الموطى، ولكن البخاري ينص على هذه الطريقة والبخاري هو أصح من الموطى!»

ما الفرق بين الحديث والقرآن؟

لغرض تحصيل المعلومات عن محمد، نحتاج إلى أن نعرف فرقًا أساسيًّا بين القرآن والحديث. فمحمد كان له دورٌ فعال فيما أضيف إلى الآيات القرآنية، أما عندما نأتي إلى الحديث فعلى العكس من ذلك

تمامًا. فبعض الأحيان كان الناس يرْوون ما شاهدوه من أعماله، وبعض الأحيان كان الناس يرددون ما كان يخبرهم به محمد من روايات، غير أنه لم يكن له (أي محمد) أي قدرة للسيطرة على المعلومات التي كان الناس يرددونها وكذلك مدى صحتها.

فالفرق يصبح موضوعيًا عندما يتعلق الأمر بشيء أساسي مثل عمل المعجزات. فالقرآن يذكر بأن محمدًا لم يكن إلاّ رجلًا لا قدرة له على عمل المعجزات لإثبات أنه كان نبيًا من عند الله. غير أن الحديث احتوى قصصًا كثيرة عن محمد وهو يصنع العجائب. (أنظر الفصل ١٢، «شفاء الأمراض والعجائب».)

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو كيف نستطيع أن نتعامل مع هذا التناقض؟ فبما أن القرآن جاء مباشرة من فم محمد، فعلينا أن نعتبر المعلومات القرآنية مصدر ثقة بخصوص ما فعله محمد في الواقع. لذا فالباحثون المسلمون يميلون إلى القول بأن معظم المعجزات التي جاءت في الحديث قد اختلقها أتباع محمد.

مصادر أخرى للمعلومات عن محمد

بالإضافة إلى القرآن والحديث يعتمد الباحثون المسلمون على مصدرين آخرَين من الكتب ألا وهما حياة محمد والتاريخ الإسلامي، واللذين استخدمتُهما شخصيًا في هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ. ومن أكثر المصادر التي يمكن الاعتماد عليها عن حياة محمد هو كتاب ابن إسحاق (٨٣-١٣٢ هجرية). فكتاباته ولو أنها سبقت البخاري ومسلم بحوالى سبعين سنة، إلا أنها لا يعتمد عليها كما يعتمد على هذين المصدرين. ولكن على الرغم من ذلك فإن ابن إسحاق اعتمد على الأحاديث نفسها التي كان سيقوم بجمعها وتصنيفها مسلم والبخاري بعده بسبعين عامًا. فعمل ابن إسحاق كان قد دُقِّق وعُمِّم بعد سبعين سنة من قِبل ابن هشام. فنسختي العربية له قد نُشرت في ثلاثة

أجزاء بما مجموعه ١٠٢٠ من الصفحات. ومن مفارقات القدر أن جد ابن إسحاق كان مسيحيًا من العراق وقد أُجبر بالقوة على ترك المسيحية والتحول إلى الإسلام من قِبل خليفة المسلمين بعد وفاة محمد.

كذلك فقد استعملتُ المعلومات من أحد كتب التاريخ الإسلامية الأكثر شمولية، ألا وهو كتاب البداية والنهاية لكاتبه ابن كُثَير (٧٠٠–٧٧٤ هجرية)، حيث نشر ابن كثير إنتاجًا ضخمًا يسرُد تاريخ العالم من وجهة النظر الإسلامية منذ بداية الخليقة حتى قبل وفاته في عام ٧٧٤ هجرية. وأنا شخصيًا قد قرأت هذا الكتاب مرارًا. فهذا الكتاب الذي يتألف من تسعة أجزاء (وهي غير متوافرة باللغة الإنجليزية) كان من الكتب المنهجية المقررة علينا في الأزهر. ولو أن هذا الكتاب ليس له نفس التقدير والقبول الذي لكتب الصحاح في الحديث لكنه مفيد في تأكيد المعلومات عن محمد.

دعنا الآن عزيزي القارئ ننظر إلى التحدي الذي يعرضه المسلمون بخصوص الإنجيل.

هل حُرِّف الإنجيل؟

ادعى محمد أن المسيحيين واليهود قد حرفوا الإنجيل. معنى ذلك أن الإنجيل كان صحيحًا عندما دوِّن لأول مرة ولكنه ادعى بأن اليهود والنصارى غيروه لاحقًا ليناسب أغراضهم.

فبخصوص اليهود يقول القرآن:

> «... (بنو إسرائيل) يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ....»
>
> (سورة ٥: ١٣)

أما بخصوص النصارى فالقرآن يقول:

«وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ...»

(سورة ٥: ١٤ وانظر الآية ١٥)

ادعى محمد بأنه لو لم يكن الإنجيل محرفًا لكان مازال يحتوي على النبوءات التي تتكلم عن مجيئه.

هل شرح محمد متى أو كيف حُرِّفَ الإنجيل أو من قام بذلك؟ الجواب هو كلا! هل قدَّم أي دليل على هذه التغييرات بإظهار النسخة الأصلية من الإنجيل؟ الجواب وللمرة الثانية هو: كلا!

الدراسات الأثرية التي أُجريت في القرن الماضي ونتائجها تدحض تعاليم محمد. هناك كتابان مسيحيان مشهوران ومتوافران الآن يشرحان كيف حفظ العهد الجديد على هذا النحو الصحيح وبهذه الدقة. وهذان الكتابان هما كتاب لي ستروبل[١] وعنوانه «القضية للمسيح»[٢] (نشر دار هاربر كولينس/زونديرفان[٣] (وخاصة في الفصل الثالث من هذا الكتاب). الكتاب الآخر هو بعنوان «يسوع: المناظرة الكبرى» لمؤلفه جرانت ر. جيفري.[٤] والآن لننظر عزيزي القارئ إلى الأدلة المتعلقة بصحة الإنجيل. بصورة عامة إذا كنتَ تبحث في صحة أي وثيقة قديمة، فأنتَ بالتأكيد ستضع ثلاث نقاط أساسية نصب عينيك وهي:

١- الفترة الزمنية التي مرت بين النسخة الأصلية للمخطوطة وأقدم نسخة معروفة.

٢- عدد المخطوطات المعروفة من المصادر القديمة.

٣- التطابق بين المخطوطة القديمة وبين الحديثة وتماثلها.

(١) Lee Strobel

(٢) The Case for Christ

(٢) Harper Collins /Zondervan

(٤) Grant R. Jeffrey

النقطة الأولى: عُمر أقدم مخطوطة للوثيقة

القرائن التاريخية المتوافرة لصحة العهد الجديد تجعل بقية المناهضات تفقد من فعاليتها وشفافيتها مقارنة بأي مخطوطة قديمة أخرى. فأقدم وثيقة مكتشفة كانت خمسة إصحاحات من إنجيل يوحنا وجدت على لفافة من ورق البردي في مصر. واستنادًا إلى أسلوب الكتابة فإن الوثيقة يعود تاريخها إلى مابين عامي ١٠٠و ١٥٠ للميلاد، وهذا التاريخ لايزيد على فترة تاريخية بين ١٥ إلى ٦٠ عامًا بعد كتابة إنجيل يوحنا. وهذا دليل قاطع على صحة هذه المخطوطات خاصة إذا ما قورن بأدلة أخرى تتعلق بمخطوطات أخرى من نفس الحقبة. فعلى سبيل المثال فإن أقدم جزء من التاريخ المدون لتاسيتوس[٥] والذي كتب حوالى عام ١١٦ قبل الميلاد يعود تاريخه إلى عام ٨٥٠ قبل الميلاد.

أكثر الاكتشافات أهمية في ما يتعلق بالعهد الجديد هو المخطوطات التي وجدت في حوالى سنة ٣٠٠ ميلادية على ورق البردي والتي تحتوي على مقاطع من الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل ومخطوطات من فترة ٢٠٠ ميلادية والتي تحتوي على أجزاء من الرسائل وسفر العبرانيين. أما الاكتشاف الآخر والذي قد لا يقل أهمية عن نظيره الأول فهو اكتشاف نسخة كاملة من العهد الجديد[٦] يعود تاريخها إلى عام ٣٥٠ ميلادية.

النقطة الثانية: عدد المخطوطات

هنالك ما يقرب من ٥٦٤٤ مخطوطة تسجل أجزاءً من العهد الجديد بلغته الأصلية أي اللغة اليونانية، هذا بالإضافة إلى ١٩٠٠٠ نسخة موجودة

(٥) Roman public official and historian whose two greatest works, Histories and Annals, concern the period from the death of Augustus (A.D. 14) to .(the death of Domitian (96

(٦) المسماة Codex Sinaiticus

في لغاتٍ مختلفة مثل اللغة اللاتينية والأثيوبية والسلافية والأرمنية. وبالمقارنة بعدد النسخ الموجودة لمخطوطات قديمة يعتبر هذا العدد هائلًا. وتأتي بعد العهد الجديد من حيث العدد الهائل من النسخ المنسقة مخطوطة الإلياذة لهوميروس والتي لها اليوم ٦٥٠ مخطوطة باقية فقط وهي باللغة اليونانية.

النقطة الثالثة: تناسق المخطوطات وتوافقها

هناك سؤالٌ يطرح نفسه الآن، ألا وهو هل هناك أي اختلاف أو عدم توافق بين المخطوطات المختلفة للعهد الجديد؟ الجواب هو كلا، عدا بعض الأخطاء الاستنساخية البسيطة والتي لم يتأثر بها أي مبدأ من المبادئ المسيحية. وهذا في حدّ ذاته يوفر برهانًا قويًا على أن العهد الجديد الذي كان متداولًا في زمن محمد والعهد الجديد المتداول اليوم هو نسخة وثيقة من الكتب الأصلية. والآن عزيزي القارئ بعد أن أثبتنا صحة الإنجيل لنلقِ نظرة على الطريقة التي كتب بها الإنجيل.

مصادر المعلومات عن يسوع

لقد اعتمدتُ على الأناجيل الأربعة الموجودة في العهد الجديد، ألا وهي متى ومرقس ولوقا ويوحنا لجمع المعلومات عن يسوع، حيث تجسد هذه الأناجيل سيرة يسوع وتعاليمه حسب ما دونت من قبل أتباعه كما هو الحال مع الحديث.

قرائن جديدة تشير إلى أن هذه الأناجيل كتبت في خلال أقل من ستين عامًا بعد وفاة يسوع من قِبلِ كُتَّاب كانوا شهود عيان لما حدث للجموع، أو كانوا أناسًا على ارتباطٍ وثيق بشهود عيان لهذه الأحداث. إليك الآن سيَر مختصرة لحياة كل كاتب من كتَّاب الأناجيل.

سيرة حياة الإنجيلي متى

كان متى جابي ضرائب قبل أن يدعوه يسوع إليه ليكون أحد التلاميذ الاثني عشر. وكيهودي، فإن متى كتب إنجيله لليهود خاصةً مستشهدًا بالعهد القديم ونبوءاته المشيرة إلى يسوع. وقد كتبه مابين عام **٦٠** و**٦٥** للميلاد والذي يعني حوالى ثلاثين سنة بعد وفاة يسوع. من هذا نستطيع أن نستخلص بأن متى كان بعمر يسوع عندما أصبح تلميذه، ممّا يعني أنه كان في عقده الستيني عندما كان يكتب هذا الكتاب. ويشير التاريخ الكنسي إلى أنه عاش إلى أن بلغ التسعين من عمره. أمّا وفاته فكانت إما بالسيف أو وفاة طبيعية.

سيرة حياة الإنجيلي مرقس

لم يكن مرقس أحد التلاميذ الاثني عشر بل على الأرجح أنه كان أحد الاثنين والسبعين الذين أرسلهم يسوع للتبشير وعمل المعجزات للناس. وقد أتى ذكره في كتاب أعمال الرسل باسم مرقس يوحنا. وصفه لحياة يسوع أظهر شخصية يسوع من خلال تعاليمه وعجائبه. وقد كَتب إنجيله عندما كان في روما مع المؤمنين بين عامي**٥٥** و**٦٥** ميلادية، ويعتبر إنجيله أول إنجيل كتب. ختمت حياة مرقس الإنجيلي باستشهاده في الإسكندرية، حيث ربط بحبل وسحل خلال شوارع المدينة حتى لقي حتفه.

سيرة حياة الإنجيلي لوقا

ينفرد لوقا ككاتب للإنجيل بعدة مزايا، فقد كان طبيبًا يونانيًا والأممي الوحيد بين كتَّاب الأناجيل، وأيضًا الكاتب الوحيد الذي لم يكن رفيق سفرٍ ليسوع. كان شريكًا للرسول بولس في معظم رحلاته التبشيرية وقد تعلم سيرة يسوع من خلال بولس واحتكاكه بالمسيحيين الآخرين. كتب لوقا إنجيله موجهًا إياه إلى القارئ الأممي، وكان يرمي

من ذلك الى إعطاء شرح وافٍ عن حياة يسوع وأن يقدم يسوع كرجل مثالي وأيضًا كمُخلِّص.

يعتقد باحثو الإنجيل بأنه كَتبَ إنجيله في روما أو في قيصرية حوالى عام ٦٠ للميلاد.

سيرة حياة الإنجيلي يوحنا

كان يوحنا رجلًا عجوزًا في الثمانين من عمره حينما كتب إنجيله، بعد تدمير أورشليم بين عامي **٨٥** و**٩٠** للميلاد، وهذا كان آخر الأناجيل التي كُتِبت. وكتابة يوحنا كانت من وجهة نظر لاهوتية، فقد كان غرضه أن يُعلن للملأ بأن يسوع المسيح هو ابن الله الذي وهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به. بعد أن أنهى كتابة إنجيله أُرسل إلى جزيرة بطمس وتُرِكَ بقصد الموت جوعًا هناك. غير أنه أُطلق سراحه بعد ذلك لتنتهي حياته بميتة طبيعية.

الفروق بين الإنجيل والحديث

ربما قد لاحظتَ عزيزي القارئ بأن هناك العديد من الفروق العرضية بين الأناجيل والحديث. فدعنا ننظر إلى هذه الفروق لنرى إذا ما كانت تؤثر على دراستنا هذه عن يسوع ومحمد.

أول هذه الفروق الأساسية هو الوقت الذي أُقيمت وثبتت فيه هذه الكتب. فالحديث لم يكن قد جُمع رسميًا إلا بعد مرور مئتي عام بعد وفاة محمد بينما ثلاثة من الأناجيل الأربعة كتبت من قبل أشخاصٍ سايروا يسوع وعاشوا معه. وعلى الرغم من اعتقادي الجازم بإمكانية احتواء الحديث على أخطاءٍ كثيرة فأنا مازلت أعتقد أن الصورة العامة التي صورها لمحمد كانت دقيقة وصحيحة.

الفرق الأساسي الثاني هو في أسلوب تنظيم المواد. فالحديث ليس

معروضًا استنادًا إلى تسلسل أوان حدوثه في حياة محمد. فعلى القارئ أن يبحث عن دقائق المعلومات لكي يتمكن من الحصول على الصورة مكتملة. ولكن بسبب طبيعة تكوين الحديث فعملية فهمه تكون من الصعوبة بمكان لمن ليس لديه التعليم الخاص الذي يؤهله لذلك، بينما على العكس فإن الإنجيل يبدأ بولادة يسوع ويستمر إلى حين مماته وصعوده، مما يجعله سلسًا وسهل الفهم دون الحاجة إلى أية معلومات إضافية.

ثالثًا فإن كمية المعلومات ليست متكافئة، فهناك ما يقارب النصف مليون من الحديث مقارنة بما مجموعه تسعين إصحاحًا في الإنجيل. وعلى الرغم من أن سجل الإنجيل قصير فأنه ما برح يقدم صورة متكاملة عن حياة يسوع.

وفي الختام، حتى ولو كان هناك بعض الظروف الموضوعية المتباينة بين الحديث والأنجيل فأنا مازلت أعتقد بأن كليهما يقدمان لنا معلومات صحيحة.

الخاتمة

عزيزي القارئ، أصبحتَ الآن مستعدًا لأن تفهم بوضوح المقولات التي قرأتها في هذا الكتاب من مصادرنا الأساسية الخمسة عن حياة كل من يسوع ومحمد:

- القرآن
- الحديث
- سيرة حياة محمد
- التاريخ الإسلامي
- الإنجيل.

الملحق الثاني

التعاليم الإسلامية المتعلقة بنبوءات الإنجيل بخصوص محمد

هل عرفت عزيزي القارئ أنه بناءً على ما ورد في القرآن فإن مجيء محمد كان قد ذُكِرَ في الإنجيل؟

«وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ»

(سورة ٢٦: ١٩٦)

فلماذا إذًا لايرى غير المسلمين تلك النبوءات بهذا الوضوح؟ فالقرآن يذكر أن اليهود والنصارى غيروا معظم أجزاء كتابهم والتي تكلمتْ عن محمد.

«... (بنو إسرائيل) يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ....»

(سورة ٥: ١٣)

غير أن الباحثين المسلمين يقولون «وعلى الرغم من ذلك ما زال يوجد في التوراة والإنجيل وبعد تغيير النص الأصلي، دلالات واضحة تشير إلى مجيء النبي محمد.»

فدعنا عزيزي القارئ نلقي الآن نظرة على آيات الإنجيل التي ذُكِرَتْ من قِبل أولئك الباحثين المسلمين حسب التسلسل التاريخي لهذه الآيات.

النبي

في الآية التالية نرى الرب يكلم موسى:

أُقِيمُ لهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلكَ وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ.

(تثنية ١٨: ١٨)

كان الرب يُعلِم موسى بأنه سيعطي بني إسرائيل نبيًا لكي لا يسمع القوم صوت الرب مباشرةً، وقد تحقق هذا في تاريخ بني إسرائيل حيث أعطاهم الرب عدة أنبياء.

حجر الزاوية

الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا.

(مزامير ١١٨: ٢٢–٢٣)

قام يسوع بذكر هذه النبوءة في متى **٢١: ٤٢–٤٣** مشيرًا بذلك إلى تحقيقها.

النور الآتي

هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ..

..أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلأُمَمِ لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ

لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ.

(إشعياء ٤٢: ١–٢ و٦–٧)

يؤمن المسيحيون كل الأيمان – وللمرة الثانية – بأن هذه النبوءة تشير إلى يسوع والذي عاش ستمائة عام قبل محمد. هذا إلى جانب أن محمدًا لم يقم بأي من هذه المعجزات خلال حياته وذلك بشهادة القرآن نفسه فكيف يمكن أن تشير إليه هذه الآية؟

ذلك القدوس من جبل فران

«اَللهُ جَاءَ مِنْ تِيمَانَ وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ. سِلاَهْ. جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ.»

(حبقوق ٣: ٣)

الجزء الذي يركز عليه المسلمون في هذا الإصحاح هو القائل «ذلك القدوس من جبل فران»، وحسب اعتقاد المسلمين فإن جبل فران يقع في مكة مسقط رأس محمد، ولكن الحقيقة أن جبل فران لايقع في الجزيرة على الإطلاق بل في جزيرة سيناء، لذا فإن هذه الآية لا تشير من قريب أو بعيد إلى مسقط رأس محمد إطلاقًا.

المُعزي

وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.

(يوحنا ١٤: ١٦–١٧)

يتفق المسيحيون بأن هذا ما هو إلاَّ إشارة إلى الروح القدس الساكن داخل المسيحيين المؤمنين، بالإضافة إلى ذلك فإن الإصحاح يذكرعدة مرات أشياء لا تنطبق على محمد. فعلى سبيل المثال تقول الآية بأن «المعزي» سيبقى معهم إلى «الأبد». وكما تعرف عزيزي القارئ فإن محمدًا لم يبقَ مع أتباعه إلى الأبد، بل مات. وأيضًا تنص الآية على أن العالم لن يراه أو يعرفه، لكن محمدًا كان يُرى وقد عُرِفَ من قِبَل كثيرين. وأخيرًا تضيف الآية بأن «المعزي» سيعيش في داخل الناس، وهذا حتمًا ما لم يستطعه محمد لأنه لم يكن روحًا.

> «وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ.»
> (يوحنا ١٤: ٢٦)

تظهر هذه الآية وبكل وضوح بأن «المعزي» المقصود هو الروح القدس.

> «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ.»
> (يوحنا ١٦:٧)

مرة أخرى، فإن نبوءة يسوع عن الروح القدس الآتي كمعزٍّ، فُسِّرَت على أنها تشير إلى محمد. ولكن تذكر عزيزي القارئ أن يسوع لاحقًا أضاف على هذه النبوءة. فعندما رُفع إلى السماء قال: «وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ لَيْسَ بَعْدَ هَذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ.» (أعمال ١: ٤–٥). هذا الوعد تحقق واستُكمِلَ لاحقًا في يوم الخمسين عندما سُمِعَ هدير ريحٍ عاتيةٍ

وشاهدوا ألسنةً من نارٍ وامتلأوا بالروح القدس. (أعمال ١:٢-٤).

الخاتمة

كما تستطيع أن تلاحظ بنفسك عزيزي القارئ، فإن النبوءات قد تحققت من دون محمد، وهذا دليلٌ آخر على ضعف حجة المبدأ الإسلامي حول ادعاء أن الإنجيل مزيف.

الملحق الثالث

إن أحد أهم البراهين القاطعة على صحة أقوال يسوع هو نبوءات العهد القديم والتي تحققت واكتملت في حياته. في الأسطر التالية قائمة ببعض هذه المراجع من العهدين القديم والجديد.

١- أن يسوع انحدر من سلالة إبراهيم

العهد القديم	العهد الجديد
تكوين ٢٢: ١٨**	متى ١: ١-١٦
تكوين ٤٩: ١٠	
إشعياء ١١: ١	

٢- أن يسوع هو م ّ بيت يسّى

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ١١: ١ و١٠	متى ١: ٥-١٦

٢- أن يسوع ولد في أورشليم

العهد القديم	العهد الجديد
ميخا ٥: ٢	متى ٢: ١

٤- أن يسوع المسيح ولد من عذراء

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ٧: ١٤	لوقا ١: ٢٦- ٣٣

٥- أن يسوع المسيح دعي من مصر

العهد القديم	العهد الجديد
هوشع ١١: ١	متى ٢: ١٤-١٥

٦- خدمته كانت تتسم بالتواضع والمعجزات

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ٣٥: ٤-٦	متى ١١: ٢٨-٣٠
إشعياء ٤٢: ١-٤	متى ١١: ٢-٥

٧- يسوع هو مخلص العالم

العهد القديم	العهد الجديد
تكوين ٣: ١٥	متى ١٨: ١١
	لوقا ١٩: ١٠
	يوحنا ١٢: ٤٧

٨- يسوع يدخل أورشليم راكباً على جحشٍ

العهد القديم	العهد الجديد
زكريا ٩:٩	متى ٢١: ٧-١١

٩– يسوع المسيح وخيانتهم له

العهد القديم	العهد الجديد
زكريا ١١: ١٢–١٣	متى ٢٧: ٣–٨

١٠– فرار التلاميذ وتركهم ليسوع

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ٥٣: ١–٣	متى ٢٦: ٥٦

١١– يسوع يلتزم الصمت في محاكمته ويموت ليخلص العالم

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ٥٣: ٤–٨	متى ٢٦: ٦٣–٦٤
	متى ٢٧: ١٤
	يوحنا ١٨: ١٤

١٢– يسوع وأحداث صلبه

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ٥٠: ٦	متى ٢٦: ٦٧
مزمور ٢٢: ١–١٨	متى ٢٧: ٢٦ و٣٤–٣٥
مزمور ٦٩: ٢١	٣٩ و٤١ و٤٦– ٤٨

١٢– صُلبَ يسوع بين لصين ودُفنَ في قبر رجلٍ غني

العهد القديم	العهد الجديد
إشعياء ٥٣: ٩	متى ٢٧: ٣٨، ٥٧–٦٠

١٤- يسوع يقوم من بين الأموات ويحرر نفوس الذين ماتوا على رجاء القيامة

العهد القديم	العهد الجديد
مزمور ١٦: ١٠	متى ٢٨: ٥-٧
مزمور ٢٤: ٧-١٠	١ بطرس ٣:٩

الملحق الرابع

يسوع في القرآن والإنجيل

هذا الجدول عزيزي القارئ يركز بالذات على تعاليم يسوع كما ذُكِرت في القرآن والتي يؤيدها الإنجيل، لذا فهو لا يحوي التعاليم المذكورة في القرآن والتي لا تتفق مع الإنجيل. هذا الجدول سيزودك بثروة من المعلومات لتَتَفَهَّمَ الطريقة التي يفكر بها المسلمون عندما يتعلق الأمر بيسوع.

	الموضوع	في القرآن	في الإنجيل
١	رجل السلام	١٩: ٣٣–٣٤	إشعياء ٩: ٦ دانيال ١٠: ١٩
٢	الإنسان السوي	١٩: ١٧	١كو ١٣: ١٠
٣	الرسول	٢: ٨٧ و٢٥٣ و٣: ٤٣–٤٩	عب ٣: ١ ومتى ١٠: ٤٠
٤	روح الله	٤: ١٧٠–١٧١	**
٥	كلمة الله	٣:٤٥ و٤:١٧١	يوحنا ١: ١ و١٤
٦	قَولُ الحق	١٩: ٣٤–٣٥	**
٧	المثال	٤٣: ٥٧–٥٩	يوحنا ١٣: ١–١١

	الموضوع	في القرآن	في الإنجيل
٨	صاحب الحكمة	٤٣: ٦٣	لوقا ٢: ٤٠–٥٢
٩	العفيف	**	**
١٠	السامي في هذا العالم والوجيه في الآخرة	٣: ٤٢–٤٥	**
١١	حامل الأخبار السارة	٦١: ٦	لوقا ٤: ١٨–١٩ ** وأعمال ١٠: ٣٨ **
١٢	علم الساعة**	٤٣: ٦١	** يوحنا ٤: ٢٥
١٣	عالم بالكتاب المقدس	٣: ٤٥–٤٨ و٥: ١١٠	** يوحنا ٤: ٢٥
١٤	مثال آدم	٣: ٥٩	١كو ١٥: ٤٥–٤٧
١٥	المسيح	٣: ٤٢–٤٥ و٤: ١٥٧	متى ١٦: ١٦–١٧ ويوحنا ١: ٤١
١٦	رحمة لنا	١٩: ٢١	متى ٩: ٢٧–٣١
١٧	صانع العجائب	٣: ٤٩	مرقس ١: ٣٤ و٥: ٤١–٤٢
١٨	السيد، النبيل، الرب	**	متى ٢١: ٨–١٠
١٩	من الصالحين	٣: ٤٦	متى ٢٧: ١٩
٢٠	أقربهم إلى الله	**	يوحنا ١٤: ٩–١٠
٢١	النبي	٢: ١٣٠–١٣٦ و٤: ١٦١–١٦٣	متى ٢١: ١١ ولوقا ٤: ٢٤
٢٢	الآية	١٩: ٢١	لوقا ٢: ١٠

	الموضوع	في القرآن	في الإنجيل
٢٣	عبد الله	٤: ١٧٠–١٧٢ و١٩: ٣٠	**
٢٤	آية للبشرية جمعاء	٣: ٤٤–٥٠ و١٩: ٢١ و٢١: ٩١	**
٢٥	علامة الساعة (يوم القيامة)	**	** **
٢٦	ابن مريم	٣: ٤٢–٤٥ و٤: ١٥٧–١٧١	لوقا ٢: ٤٨
٢٧	المبارك	١٩: ٣١–٣٢	متى ٢١: ٩
٢٨	الابن الزكي	١٩: ١٩	لوقا ٢٣: ٤، ١٤ **
٢٩	الروح القدس	** ٢: ٢٥٣	** **
٣٠	المتبوع	٤٣: ٦١	يوحنا ١: ٣٧ و١٠: ٢٧
٣١	المطاع	٣: ٤٣–٥٠	متى ٨: ٢٧، ١٧: ٥ **
٣٢	الحق من ربك	٣: ٥٩–٦٠	يوحنا ٨: ٣١–٣٦ و١٤: ٦
٣٣	الشاهد على القيامة	**	**
٣٤	الشاهد على البشر	٥: ١١٧	يوحنا ٥: ٣٠

قائمة المراجع

المراجع الإنجليزية:

- ابن إسحاق. **حياة محمد: ترجمة سيرة رسول الله لابن إسحاق** ترجمة A.Guillaume. Karachi, Pakistan: Oxford University Press, 16th printing, 2003. هذه هي الترجمة الإنجليزية للكتاب الذي يشار إليه في ثبت المراجع العربية بابن هشام. وابن هشام هذا كان الرجل الذي جاء بعد ابن إسحاق بعدة سنوات وأدخل بعض الإضافات إلى كتابه، ويشير المسلمون إلى عمله بقولهم ابن إسحاق أو ابن هشام.

- Jeffrey, Grant R. **Jesus: The Great Debate**. Nashville, TN: Word, 1999.

- **Life Application Bible.** Arabic version. Netherlands: Tyndale House Publishers, 1999.

- **صحيح البخاري (الكتب الصحيحة للبخاري)**، الترجمة الإنجليزية للدكتور محمد محسن خان. جمعت المواد من موقع الإنترنيت لجامعة جنوب كاليفورنيا في **٢٠٠٣**.

- **صحيح مسلم (الكتب الصحيحة لمسلم)**، الترجمة الإنجليزية لعبد الحميد صدِّيقي، لناشرين معاصرين هما Kitab Bhaven, New Delhi, India, 2000 and Kazi Publications in Chicago, IL, جمعت المواد من موقع الإنترنيت لجامعة جنوب كاليفورنيا في **٢٠٠٣**.

Strobel, Lee. **The Case for Christ**. Grand Rapids, MI: – Zondervan, 1998.

The Holy Bible, New International Version. Grand Rapids, – MI: Zondervan, 1973, 1978, 1984.

المراجع العربية:

– ابن هشام، **حياة محمد**، الطبعة الثالثة، دار الفضل **١٩٩٨**، بيروت، لبنان. وهذا هو الكتاب نفسه المشار إليه باسم ابن إسحاق في جزء اللغة الإنجليزية في قائمة المراجع هذه.

– ابن كثير، **البداية والنهاية**، نشر دار إحياء التراث العربي **٢٠٠١**.

– **صحيح البخاري**، ترجمة محمد محسن خان، نشر دار إحياء التراث النبوة، مكة، المملكة العربية السعودية، **١٩٧٨ (١٣٩٨ هجرية)**. وهذا الكتاب يحتوي على اللغتين العربية والإنجليزية.

– **صحيح مسلم**، دار السلام للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية **١٩٩٩**.

– الدكتور أ. شلبي، **دائرة معارف التاريخ الإسلامي**، دار النهضة **١٩٧٣**، القاهرة، مصر.

اعتمادات المؤلف الأكاديمية

تشتمل اعتمادات الدكتور جبريال الأكاديمية في الزمالات الإسلامية على:

- ليسانس وماجستير ودكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية من جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
- تخرج بترتيب الثاني على دفعته المكونة من ستة آلاف طالب بدرجة ليسانس، وهذا التقييم شمل العلامات الكلية في الامتحانين الشفهي والتحريري المقررين في نهاية كل عام دراسي.
- من أصغر مَنْ اختير للعمل كمحاضر في جامعة الأزهر حيث بدأ تدريسه بعد إتمامه لشهادة الماجستير وكان يعمل لنيل شهادة الدكتوراه.
- محاضر منتدب، أرسله الأزهر إلى بلدان الشرق الأوسط لتدريس التاريخ الإسلامي.
- تعتبر جامعة الأزهر أكبر المؤسسات العلمية نفوذاً في العالم الإسلامي منذ تأسيسها قبل أكثر من ألف عام.
- بالإضافة إلى خبرته الأكاديمية فقد اكتسب الدكتور جبريال خبرته العملية خلال فترة عمله كإمام لأحد جوامع ضواحي القاهرة.
- بعد اعتناق الدكتور جبريال المسيحية استمر في طلب العلم. ويشتمل تعليمه الأكاديمي المسيحي على:

- مدرسة التدريب والتلمذة للشباب مع البعثة التبشيرية في كيب تاون في جنوب أفريقيا.
- شهادة الماجستير في ديانات العالم من جامعة ولاية فلوريدا في أورلاندو، فلوريدا.
- شهادة الدكتوراه في التعليم المسيحي من جامعة ولاية فلوريدا في أورلاندو، فلوريدا.
- حصل على درجة الزمالة من جمعية العلماء في جامعة أوكسفورد.

«أنا لم أقم ببحثٍ عن الإسلام فحسب بل عشته لأربعٍ وثلاثين سنة»
– كتاب للمؤلف مارك جبريال

كتاب الإسلام والإرهاب – اقرأ بنفسك البراهين الدامغة، الأستاذ السابق للتاريخ والحضارة في جامعة الأزهر بالقاهرة يعينك على تفهم الدوافع خلف النشاط الإرهابي المتأصل في فلسفة الإسلام.

كتاب الإسلام واليهود – اكتشف السبب وراء استبعاد معركة الإسلام «غير المنتهية» لفرص قبول اتفاقيات السلام والسبب وراء مهاجمة الإسلاميين المتطرفين لمؤيدي إسرائيل. إقرأ عن الدافع وراء قيام أتباع الإسلام «السلمي» بإبادة اليهود صغارًا وكبارًا رجالًا ونساءً.



عن يسوع و محمد

يعرض هذا الكتاب المثير تحليلاً واقعياً لشخصيتين تعتبران من أكثر الشخصيات تأثيراً على مدى التاريخ: يسوع مؤسس الديانة المسيحية التي يعتنقها مليارا مؤمن، ومحمد مؤسس الديانة الإسلامية التي يعتنقها مليار ونصف مؤمن.

يمهّد الدكتور مارك أ. جبريال الطريق أمام القارئ ليسير جنباً إلى جنب يسوع ومحمد منذ ولادتهما حتى وفاتهما ويعرض لعدد من نبوءاتهما خلال مرحلة طفولتهما. كما يفسّر كيف أنّ كلاهما دُعِم من أقربائه ورُفض من أهل مدينته ثمّ اختار اثني عشر تلميذاً. وبالاطلاع على سيرة حياتهما، تصبح عزيزي القارئ مؤهلًا للمقارنة بين تعاليمهما استنادًا إلى:

- **كيفية وصف كلّ واحد لنفسه**
- **كيفية الرد على تحدّيات اليهود**
- **المعجزات التي قام بها كلّ واحد**
- **شروط الصلاة المقبولة**
- **العدو والوقت المناسب لمُحارَبته**
- **التعاليم الخاصة بالمرأة**

يضع الدكتور جبريال بمقارناته التاريخية المتوازنة حدّاً للصورة المزيفة ويعطي نظرة جوهرية حقيقية حول تأثير يسوع ومحمد على عالمنا اليوم.



ترعرع **الدكتور مارك جبريال** كمسلم ورع في مصر وسعى إلى تحصيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية. درَّس في جامعة الأزهر في القاهرة وهي أشهر جامعة إسلامية في العالم. بعد أن اعتنق المسيحية حصل على شهادة الدكتوراه الثانية في التعليم المسيحي.

بعض مؤلفاته السابقة تشمل: **تصادم الحضارات**، **رحلة في عقل إرهابي**، **الإسلام واليهود**، **الإسلام والإرهاب**.

